

الجزء الأول

من كتاب

مروج الذهب

و

معادن الجوهر

فى

التاريخ

تأليف العلامة الامام

أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الشافعى

المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية

قال صاحب كشف الظنون

مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ لأبى الحسن على بن الحسين
ابن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية * أوله الحمد لله أهل الحمد
ومستوجب الثناء * وذكر فيه أنه صنف كتابا كبيرا سماه
أخبار الزمان ثم اختصره وسماه الأوسط ثم أراد اجمال
ما بسطه واختيار ما وسطه فى هذا الكتاب وقال نودعه لمع
ما فى ذينك الكتابين مما ضمناه وغير ذلك من أنواع العلوم
وأخبار الأمم ثم قال * وسميته بمروج الذهب لنفاسة ما حواه
وجعلته تحفة الأشراف * ولم نترك نوعا من العلوم ولا خبرا
من الأخبار الا أوردناه مفصلا أو مجملا الى آخر ما قال اهـ ملخصا

التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر بمصر

طبع بالمطبعة البهية المصرية ادارة الملتزم

سنة ١٣٤٦ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد ومستوجب الثناء والمجد وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما إلى يوم الدين

﴿باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب﴾

أما بعد فانا صنفنا كتابنا (١) فى أخبار الزمان وقدمنا القول فيه فى هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار وأخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرفة وذكر شأن المبدا وأصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهراً فصار بحرا وما كان بحراً فصار برا وما كان برا فصار بحرا على مرور الايام وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكى والطبيعى وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الأوتاد ومقادير النواحى والآفاق وتباين الناس فى التاريخ القديم واختلافهم فى بدئه وأوليته من الهند وأصناف الملحدين وما ورد فى ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانيين ﴿ثم اتبعنا ذلك﴾ باخبار الملوك الغابرة والامم الدائرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على مر سيرهم فى تغير أوقاتهم وتضيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقايل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم واخبار العناصر إلى ما فى تضاعيف ذلك من أخبار الانبياء والرسل والاتقياء إلى أن افضى الله بكرامته وشرف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فذكرنا مولده ومنشأه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه إلى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين إلى الوقت الذى شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله أمير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ﴿ثم أتبعناه﴾ بكتابنا الاوسط فى الاخبار على التاريخ وما اندرج فى السنين الماضية ﴿ومن لدن البدء إلى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط رأينا﴾ إيجاز ما بسطناه واختصار ما وسطناه فى كتاب لطيف نودعه ملع ما فى ذينك الكتابين مما ضمناهما وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم

---

(١) قوله كتابنا أى الاعظم كما يؤخذ من لاحقه كتبه مصححه الاول

يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان ونتنصل من إغفال أو عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والرانج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية وأذربيجان والهوات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشأم فسيرى فى الآفاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم:

تيمم أقطار البلاد فتارة * لدى شرقها الاقصى وطورا إلى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى * إلى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا بمسلك مسلك من مواقفهم على ان العلم قد بادت آثاره وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا مموها جاهلا ومتعاطيا ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم يرالاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن أصول الديانة وكتاب المقادير فى أصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة فى أصول الملة وما اشتمل عليه من أصول الفنون وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد فى الاحكام ووقع الرأى والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهى والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وأفعال النبى صلى الله عليه وسلم وما ألحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أنباء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم فى شئ منه وكتاب الاستبصار فى الامامة ووصف أقاويل الناس فى ذلك من أصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والجلى والخفى الداثر وإيقاظنا على ما يرتقيه المرتقون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر أنباؤها المنجلى أوائلها إلى سائر كتبنا فى السياسة كالسياحة المدنية واجزاء المدينة ومثلها الطبيعية واقسام أجزاء تكور المدينة ومثلها الطبيعية منه واقسام أجزاء الملة والابانة عن المواد وكيفية تركيب العوالم والاجسام السماوية وما

هو محسوس وغير محسوس من الكثيف واللطيف وما قال أهل النحلة فى ذلك وكان مادعانى إلى تأليف كتابى هذا فى التاريخ وأخبار العالم وما مضى فى أكناف الزمان من أخبار الانبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التى قصدها العلماء وقفاها الحكماء وأن يبقى للعالم ذكرا محمودا وعلما منظوما عتيدا فانا وجدنا مصنفى الكتب فى ذلك مجيدا ومقصراً ومنتهيا ومختصرا ووجدنا الاخبار زائدة مع زيادة الايام حادثة مع حدوث الازمان وربما غاب البارع منها على الفطن الذكى ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته ولكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهله وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى اليه من الاخبار عن اقليمه كمن قسم عمره على قُطع الاقطار ووزع أيامه بين تقاذف الاسفار واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس من مكمنه وقد ألف الناس كتبا فى التاريخ والاخبار مما سلف وخلف فأصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه وأظهر مكنون جوهر فطنته كوهب بن منبه وأبى مخنف لوط بن يحيى العامرى ومحمد بن اسحاق والواقدى وابن الكلبى وأبى عبيدة معمر بن المثنى وأبى العباس الهمدانى والهيثم بن عدى الطائى والشرقى بن القطامى وحماد الراوية والاصمعى وسهل بن هرون وعبد الله بن المقفع واليزيدى ومحمد بن عبد الله العتبى والآمدى وأبى زيد سعيد بن أوس الانصارى والنضر بن شميل وعبيد الله بن عائشة وأبى عبيد الله القاسم بن سلام وعلى بن محمد المدائنى ودماذ بن ربيع بن سلمة ومحمد بن سلام الجمحى وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وأبى زيد عمرو بن شبة النميرى والزرقى الانصارى وأبى السائب المخزومى وعلى بن محمد بن سليمان النوفلى والزبير بن بكار والانجيلى والرياشى وابن عائذة وعمار بن وسيمة المصرى وعيسى بن لهيعة المصرى وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى وابى حسان الزيادى ومحمد بن عيسى الخوارزمى وأبى جعفر محمد بن أبى السرى ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراسانى صاحب كتاب الدولة واسحق بن ابراهيم الموصلى صاحب كتاب الاغانى وغيره من الكتب والخليل بن الهيثم الهرثمى صاحب كتاب الحيل والمكايد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد بن سليمان المنقرى الجوهرى ومحمد بن زكريا الغلابى المصرى المصنف للكتاب المترجم بكتاب الاجواد وغيره وابن أبى الزينى مؤدب المكتفى بالله وأحمد بن محمد الخزاعى المعروف بالخاقانى الانطاكى

وعبدالله محمد بن محفوظ البلدى الانصارى صاحب أبى يزيد عمارة بن زيد اليمنى ومحمد البرقى بن خالد الرقى الكاتب صاحب التبيان وولده احمد بن محمد بن خالد البرقى وأحمد بن أبى طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وأبى الوشاء وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب اخبار ابراهيم بن المهدى وغيرها ومحمد بن الحرث الثغلبى صاحب الكتاب المعروف بأخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وابى سعيد السكرى صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن دارية فانه كان إماما فى التأليف متنوعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من يعتمد وأخذ منه ووطىء على عقبه وقفا أثره واذا أردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه أجمع هذه الكتب جدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة فى المسالك والممالك وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته واذا تفقدته حمدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى أيامهم واخبارهم تأليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ومافتح فى ايامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم فى فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود ابن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن اخت عيسى بن فرخان شاه بلغ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما أنبأت به التوراة وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى أيامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الاموى وكتاب القاضى أبى بشر الدولابى فى التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبى بكر محمد بن خلف وكيع القاضى فى التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب

السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فاما عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ أبي عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فحشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تأليفا وأملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد بن يحيي الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس وبني أمية وشعرائهم ووزرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة فانه بلغ في تصنيفه الى آخر أيام الراضي بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معربا للمعاني واذا اردت علم ذلك فانظر في كتابه في الاخبار المعروفة باخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه في كتابه في الاخبار الذي يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهم بن ماهويه الفارسي الذي عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطي الكاتب في اخبار الوزراء الذي عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح في الوزراء وكتاب علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق في اخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصري وكتاب التاريخ تأليف عبدالرحمن بن عبدالرزاق المعروف بالجوزجاني السعدي وكتاب التاريخ واخبار الموصل تأليف أبي ذكوة الموصلي وكتاب تاريخ أحمد بن أبي يعقوب المصري في اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب

التاريخ فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبى الازهر فى التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الجرجانى حين انتحل ماليس من صناعته واستنهج ماليس من طريقته قد ألف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام فى اخلاق النفس وأقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون فى كتابه فى السياسة المدنيـة وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم انها صحت عنـده ولم يشاهـدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامـه السالفـة ثم ترقى الى خليفة خليفـة فى التصـنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهـل التآليف وهو وان أحسن فيـه ولم يخرجه عن معانيه فأعاعيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ماليس من مهنته ولو أقبـل على الذى انفرد به من علـم اقليدس والمعظمات والمجسطى والمدورات ولو استـفتح بسـقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيا ت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لـكان قد سلم مما تـكلفه وأتى بما هو أليق بصنعته ولـكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلة مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضـع كتابا فقد استهدف فان أجاد فقد استشرف وان أساء فقد اسـتقذف (قال أبو الحسن) على بن الحسين بن على المسعودى ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ اصحاب الاحاديث فى معرفة أسماء الرجال واعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من ان نأتى على ذكره فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعـين وأهـل كل عصر على اختـلاف أنواعهم وتنازعهم فى آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من أهـل الآراء والنحل والمذاهب والجـدل الى سـنة اثنتـين وثلاثـين وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والـكتاب الاوسط .

(وقد وسمت كتابي هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر)
لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنته كتبنا
السالفة في معناه وغرر مؤلفاتنا في مغزاه وجعلته تحفة للاشراف من الملوك وأهل
الدرايات لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة اليه وتنازع النفوس الى علمه من
دراية ما سلف وغبر في الزمان وجعلته مسهما على اغراض ما سلف من كتبنا
ومشتملا على جوامع يحسن بالاديب العاقل معرفتها ولا يعذر في التغافل عنها ولم
نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الآثار الا أوردناه في هذا
الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه
بفحوى من العبارات فمن حرف شيأ من معناه أو ازال ركنا من مبناه أو طمس واضحة
من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيره أو بدله أو شحنه أو اختصره أو نسبه
الى غيرنا أو أضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه
ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية
للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع
السموات والارض من أي الملل كان والآراء انه على كل شيء قدير وقد جعلت
هذا التخويف في أول كتابي هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى أو غلبه شقاء
فليراقب أمر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا
حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منها من
أنواع الاخبار وبالله التوفيق

﴿ ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب ﴾

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا الاغراضه فلنذكر الآن جملا من كية
أبوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكي يقرب تناولها على مريدها
فأول ذلك

(قال المسعودى) فهذه جوامع ما حوى هذا الكتاب من الابواب على انه يأتى فى كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الاخبار والآثار مالم تأت عليه تراجم الابواب وهو مرتب على حسب ما قدمناه من أبوابه على تفصيل منا التاريخ الخلفاء ومقادير أعمارهم بابواب تفردها عن سيرهم وأخبارهم ثم نعقب بعد ذلك بالغرر من أخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان فى أعصارهم وأخبار وزرائهم وماجرى من أنواع العلوم فى مجالسهم ملوحين بذلك إلى ماسلف من تصنيفنا وتقدم من تأليفنا فى هذه المعانى والفنون وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون باباً أولها ذكر جميع اغراض هذا الباب والثانى ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب وآخرها ذكر من حج بالناس من أول الاسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل القابهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله ﴾

﴿ ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية ﴾

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام أن الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير اصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن فى قوله تعالى (ن والقلم وما يسطرون) والحوت فى الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه (يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها الجبال فقرت الارض وذلك قوله تعالى (وجعل فيها رواسى أن تميد بكم) وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وسخرها وما ينبغى لها فى يومين فى يوم الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وانما سمى الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال (وأوحى فى كل سماء أمرها) يقول خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور قد طبقها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت الارض السابعة ورءوسهم تحت العرش من غير ان تبلغ العرش وهم يقولون لا إله إلا الله ذو العرش المجيد فهم على ذلك منذ خلقوا الى أن تقوم الساعة وتحت العرش بحر تنزل منه

أرزاق الحيوان يوحي الله تعالى اليــه فيمطر ماشاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي إلى موضع يقال له الابرم فيوحي الله الى الريح فتحمله الى السحاب فتغربله وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يطفح فيــه من الدواب مثل مافي بحور الارض مستمسك بالقدرة وان الله تعالى أسكن ظهر الارض لما فرغ من خلقها الجن قبل آدم فجعلهم من مارج من نار وابليس فيهم فنهاهم الله أن يسفكوا دم البهائم ويظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس لا يقلعون عن ذلك سأل الله تعالى ان يرفعه إلى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة وأرسل الله الى الجن وهم حزب ابليس قبيلا من الملائكة فطردوهم الى جزائر البحار وقتلوا من شاء الله منهم وجعل الله ابليس على سماء الدنيا خازنا فوقع في صــدره كبر ثم شاء الله عز وجل ان يخلق آدم فقال الله للملائكة إني جاعل في الارض خليفة فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تكون له ذرية ويفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فقالوا ربنا أتجعــل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون ثم بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض اني أعوذ بالله منك ان تنقصني فرجــع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فاخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين في الالوان وسمي آدم لانه أخذ من اديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك الموت بالموت وجبله الله تعالى وتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى (من حمأ مسنون) أي متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكوراً) فكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضرب به برجله فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى (من صلصال كالفخار) وقد قيــل ان الصلصال غير ماذكرنا وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيــه الروح قال للملائكة (اسجدوا لآدم فسـجدوا الا ابليس أبى واستكبر) وقال يارب أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته

من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذى كنت مستخلفا فى الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك فقال الله تعالى (اخرج منها فانك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذى من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى ان آدم كان محرابا للمأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى فى آدم من روحه فكان كلما دخل فى بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى (وكان الانسان عجولا) ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودى) وماذكرناه من الاخبار فى مبدأ الخليقة هو ماجاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقى عن الماضى فعبرنا عنهم على حسب مانقل الينا من الفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف من وافق ذلك وانقاد اليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وقد ذكرنا فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا جملا من علوم النظر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحل على طريق الخبر وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال ان الله حين شاء تقدير الخليقة وذرء البرية وإبداع المبدعات نصب الخلق فى صور كالهباء قبل دحو الارض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح نوراً من نوره فلمع ونزع قبساً من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور فى وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من أجلك أسطح البطحاء وأموج الماء وارفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وانصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمى مالا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرتى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والاخلاص بالوحدانية فقبل أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمداً وآله وأراهم ان

الهــداية معه والنور له والامامة فى آله تقديماً السنة العدل وليكون الاعذار متقدماً
ثم أخفى الله الخليقة فى غيبه وغيبها فى مكنون علمه ثم نصب العوالم وبسط الزمان
وموج الماء وأثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على المـاء فسطح الارض على ظهر
الماء ثم استجابهما الى الطاعة فاذعنتا بالاستجابة ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار
أبدعها وأرواح اخترعها وقرن توحيده بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت فى
السماء قبــل بعثته فى الارض فلما خلق الله آدم أبان فضلــه للملائكة وأراهم ماخصه به
من سابق العلم حيث عرفه عند استنبائه اياه أسماء الاشياء فجعل الله آدم محراباً
وكعبة وباباً وقبلة أسجد اليها الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه
وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ماسماه اماماً عند الملائكة فكان حظ آدم من
الخير ما أراه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان الى ان وصل
محمداً صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وإعلاناً
واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذى قدمه الى الذر قبل النســل فمن وافقه
واقتبس من مصباح النور المقــدم اهتــدى الى سيره واستبان واضح أمره ومن
ألبســته الغفلة اســتحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولمع فى أئمتنا فنحن أنوار
السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العــلم والينا مصير الامور وبمهدينا
تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن
أفضــل المخلوقين وأشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك
بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ماروى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على
عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله
وجهــه ولم نتعرض لكثير من أسانيد هذه الاخبار وطرقها الا ناقد أتينا على جميع
ذكرها واتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف
الاكثار والتطويل فى هــذا الكتاب وأما ماوجدت فى التوراة فهو ان الله تعالى
ابتدأ الخلق فى يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت
عيداً وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا
ذلك اليوم عيداً وأما ماذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء
كان يوم الاحــد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ فى آدم الروح وهو اليوم السادس من
نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنــة لثلاث ساعات مضت منه فكثا ثلاث

ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس بيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذى خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتثر فى بلاد الهند فيقال والله أعلم إن علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفى جزائر بحره السنباذج وفى قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار منها عشرة ماله قشر وهى الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهى الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والعناب والمقل والشاهلوج وهذا اسم فارسى وتفسيره ملك الاجاص ومنها مالا قشر له ولا يزال دون مطعمها والنوى داخلها وهى التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذى يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمى الذكر قاين والانثى لويذاء ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى أقليمياء وقد تنوزع فى اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ماذكرنا ومنهم من رأى أن اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ماقدمناه وقد ذكر على ابن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذرء ذلك فقال :

واقتنيا الابن فسمى قاينا * وعاينا من نشئه ماعاينا

فشب هابيل وشب قاين * ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب أن آدم زوج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق فى النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام احتياطا لاقصى مايمكنه فى ذوى التحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب وقد زعمت المجوس ان آدم لم يخالف فى النكاح بين البطون ولم يتحر المخالفة ولهم فى هذا المعنى شعر

يدعون فيه الفضل في الصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به في الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم بأخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وان هابيل وقاين قربا قربانا فنحر هابيل أجود غنمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قاين شر ماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز من قتل قاين هابيل ويقال انه اغتاله في برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشأم وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير في توريته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فاسف قاين ثم قال ما حكاه القرآن عنه (ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي) فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودي) وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى آدم قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وبدل أهلها خمطا واثلا * بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس ينسى * لعين لا يموت فنستريح
وقتل قاين هابيل ظلما * فوا أسفا على الوجه المليح
فمالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غما * وما أنا من حياتي مستريح

ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والانساب ان آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

تنح عن البلاد وساكنيها * فقد في الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها * أآدم من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري * إلى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن أضحت * بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ما ذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت

أبا هابيل قد قتلا جميعا * وصار الحي بالموت الذبيح

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على الماضى والباقى وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه انى مخرج منك نورى الذى به السلوك فى القنوات الطاهرة والارومات الشريفة وأباهى به الانوار وأجعله خاتم الأنبياء وأجعله خيار الائمة الخلفاء وأختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم وانشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغش زوجتك على طهارة منها فان وديعتى تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور فى مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسرما يكون من الذكران وأتمهم وقاراً وأحسنهم صورة وأكملهم هيئة وأعدلهم خلقاً مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع فى أسارير جبهته وبسق فى غرة طلعته فسماه آدم شيئا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع ويفع وكهل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه وأعلمه انه حجة الله بعده وخليفته فى الارض والمؤدى حق الله الى أوصيائه وأنه ثانى انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين أدى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفى يوم الجمعة لست خلون من نيسان فى الساعة التى كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة وكان قد وصى ابنه شيثاً عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن أربعين ألفا من ولده وولد ولده وتنازع الناس فى قبره فنهم من زعم أن قبره بنى فى مسجد الخيف ومنهم من رأى أنه فى كهف جبل أبى قبيس وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وان شيثاً حكم فى الناس واستشرع صحف أبيه وما أنزل عليه فى خاصته من الاسفار والاشراع وان شيثا واقع امرأته فحملت بأنوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة أوعز اليه شيث فى شأن الوديعة وعرفه شأنها وانها شرفهم وكرمهم وأوعز اليه أن ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وأن ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة مادام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع الناس فيه من أهل الملة ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم الاباضية أهل الامامة من شيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخل عصراً من الاعصار من قائم

بحق الله اما أنبياء واما أوصياء منصوص عن أسمائهم واعيانهم من الله ورسوله وأصحاب الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من أصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض إلى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان أنوش قد لبث في الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيئا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قاين بن آدم قاتل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه في أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تموز بعد ما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد مأخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي أحدثت في ايامه أحدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قاين واكثر هذا النوع بأرض قمار من أرض الهند والى بلدهم أضيف العود القماري فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته في آذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلح) بن خنوخ فعمر البلاد والنور في جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس في كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات في ايلول وقام بعده (لمك) وكانت في أيامه كوائن واختلاف وتوفي وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد في الارض فاشتدت دياجي الظلم فقام في الارض داعيا الى الله فابوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله

عليهم فاوحى الله اليه أن اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رمته وكان ركوبهم فى السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار فاقام نوح ومن معه فى السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة أشهر ثم أمر الله الارض أن تبتلع الماء والسماء أن تقلع واستوت السفينة على الجودى والجودى ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلى وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر ان بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ما اسرع الى بلعه عندما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول اعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذى امتنعت الارض من بلعه انحدر الى قعور مواضع من الارض فمن ذلك البحار وهى بقية ماء غضب اهلك به امم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا اخبار البحار ووصفها ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ودبر عقب هؤلاء الثمانين نفسا وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده وقد اخبر الله عز وجل بذلك بقوله (وجعلنا ذريته هم الباقين) والله أعلم بهذا التأويل والمتخلف عنه من ولده الذى قال له يابنى اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث فى مسكن سام ووجدت فى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة فانطلق حام واتبعه ولده فتنزلوا امساكنهم فى البر والبحر على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل فى الارض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم ابن سام عاد بن عوض بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هودا وثمود بن غاثر بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الحجر بين الشأم والحجاز فارسل الله اليهم أخاهم صالحا وكان من امرهم مع صالح ما قد اتضح أمره واشتهر خبره وسنذكر

بعدهذا الموضع من هذا الكتاب لمعامن اخباره واخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشأم ومنهم العماليق تفرقوا فى البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر فى باب تنازع الناس وانساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرت باميم وقيل ان اميما نزل أرض وبار وهى التى غلبت عليها الجن على مازعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عميل بن عوض أخى عاد بن عوض مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماس بن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماس وهو الذى بنى الصرح ببابل وجسر جسرا ببابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفى زمانه فرق الله الالسن فجعل فى ولد سام تسعة عشر لسانا وفى ولد حام سبعة عشر لسانا وفى ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا فى موضعه الذى يوجد فى كتابنا هذا وتفرق الناس فى البلاد وماقالوا فى ذلك من الاشعار عند تفرقهم فى البلاد بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذى قسم الارض بين الامم ولذلك سمى فالغ وهو فالح أى قاسم بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذى قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر بن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو أول من حياه ولده تحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية لملك من ملوك الحيرة وقحطان أبو اليمن كلها على حسب مايذكر ان شاء الله تعالى فى باب تنازع الناس فى انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعانى وابانته عنها ويقطن بن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب مانورده من اخبارهم وقطورا بنو عم لهم ثم اسكنها الله اسماعيل عليه السلام ونكح فى جرهم فهم أخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان لمك بن سام بن نوح حى لان الله عز وجل أوحى الى سام ان الذى وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم فى وسط الارض فوكل لمكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك فى أيلول وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل ستمائة سنة وكان القيم بعد سام فى الارض ولده (ارفخشذ) وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل أربعمائة سنة وخمسا

وستين سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت فى ايامه كوائن وتنازع فى مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة وأربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى أن قبضه الله عز وجل مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنة وقد قدمنا ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بأرض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى أن قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور لضروب من العلل احدثت فى الارض وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتى سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله ساروغ قام بعده (ناحور) بن ساروغ مقتديا بمن سلف من آبائه وحدث فى ايامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام قبله وأحدثت فى ايامه ضروب من المحن والآلات وكانت فى ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتى سنة وستا واربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفى عصره كان نمروذ بن كنعان وفى ايام نمروذ حدثت فى الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب فى العبادات وكان فى الارض رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وقرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر أصحاب النجوم الى طالع السنة التى ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فاخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمروذ بقتل الولدان واخفى ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

﴿ ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل وغيرهم ﴾

ولما نشأ ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التى كان بها وتامل آفاق الارض والعالم وما فيه من دلائل الحدوث والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربى

فلما رأى القمر أنور منها قال هذا ربي فلما رأى الشمس أبهر مما رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من راى غير ذلك فأتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتي رشده من قبل ومن أوتي رشده فقد عصم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم المجوفات لهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمرود النار والقاه فيها فجعلها الله عليه برداو سلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسماعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة أول من آمن بابراهيم عليه السلام وهى ابنة بتوايل بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن أخي ابراهيم عليه السلام وأرسل الله (لوطا) الى سدوم وقراها الخمس وهى صبغة وعمرة وادماء وصبوغ و بالع وان قوم لوط هم اصحاب المؤتفكة وهذا الاسم مشتق من الافك وهو الكذب على رأى من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله فى كتابه بقوله والمؤتفكة أهوى وهذه بلاد بين تخوم الشأم والحجاز مما يلى الاردن و بلاد فلسطين الا ان ذلك فى حيز الشأم وهى مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس السفار سوداء فأقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فأخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسماعيل) هاجر الى مكة فاسكنهما بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم (رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأهلك الله قوم لوط فى عهد ابراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم ثم امر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم ولد لابراهيم من سارة (اسحاق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس فى الذبيح فنهم من ذهب الى انه اسحاق

ومنهم من رأى انه اسماعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسماعيل لان اسحاق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشأم فالذبيح اسحاق لان اسماعيل لم يدخل الشأم بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولدله منها ستة ذكور وهم مرق وتقس ومدن ومدين وسنان ومرح وتوفى ابراهيم بالشأم وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وأنزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحاق بعد ابراهيم يوحاء ابنة بتوايل فولدت له (العيص ويعقوب) فى بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحاق فى وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحاق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة فى ولده ودعا العيص بالملك فى ولده وكان عمر اسحاق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع ابيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس فى مسجد هنالك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى ارض الشأم وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثنى عشر وهم (لاوى ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان وتفتالى وكان واشار وشمعون وروبيل) هؤلاء الاسباط والنبوة والملك فى عقب أربعة منهم لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثر جزع يعقوب من أخيه العيص فامنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فاعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاقبه الله فى ولده لمخالفته لوعده فاوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولى فلاجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان احب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من امره مع اخوته ما قص الله عز وجل فى كتابه وأخبره على لسان نبيه واشتهر ذلك فى امته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة وأربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجده وقيل ان يوسف أوصى ان يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب

فى مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان فى عصره (أيوب) النبى صلى الله عليه وسلم وهو أيوب بن موص بن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك فى بلاد الشأم من أرض حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله فى نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من أخباره فى كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذى كان ياوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة فى ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشاء بن يوسف بن يعقوب نبى قبل موسى بن عمران وانه هو الذى طلب الخضر بن لمكان بن فالغ بن عابور بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض أهل الكتب ان (الخضر) هو خضرون بن عميائيل بن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه أرسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبى نمير بن الهلواس بن ليث بن هران بن عمر ابن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد استرقوا بعد مضى يوسف واشتد عليهم البلاء وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان مولودا سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وأمر بذبح الاطفال وكان من أمر موسى ما أوحى الله عز وجل الى امه فى امره أن اقذفيه فقذفته فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويت بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من أهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من امره معه وتزويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده بأخيه (هارون) وبعثهما الى فرعون فخالفهما فاغرق الله عز وجل فرعون وأمره الله عز وجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ وكانت الالواح التى أنزلها الله على موسى

ابن عمران على جبل طور سيناء من زمرذ أخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل رأى قوما من بنى اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فار تعد فسقطت الالواح من يده فتكسرت فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله فى الهيكل وكان هارون كاهنا وهو قيم الهيكل وأتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو فى التيه وقبض الله هارون فى التيه فدفن فى جبل مران من نحو جبل الشراء مما يلى الطور وقبره مشهور فى مغارة عادية يسمع منها فى بعض الليالى دوى عظيم يجزع منه كل ذى روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع فى تلك المغارة ولهذا الموضع خبر عجيب قد ذكرناه فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والممالك الدائرة ومن وصل الى هـذا الموضع علم ما وصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائة وعشرين وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشأم وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعريانين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشأم وغيرهم من الطوائف على حسب ما فى التوراة وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم أنزل الله عليه التوراة بالعربية وفيها الامر والنهى والتحريم والتحليل والسنن والاحكام وذلك فى خمسة أسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذى فيه السكينة من الذهب من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا فصار الكاهن بعد هارون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا لهارون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببنى إسرائيل الى بلاد الشأم وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشأم فاسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع فافتتح بلاد أريحاء من أرض الغور وهى أرض البحيرة المنتنة التى لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهى ماء بحيرة طبرية وهو الاردن ويبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كقولى وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا عن مائها فيغوص فى وسطها وهو نهر عظيم فلا يدرى اين غاص من غير ان يزيد من البحيرة

ولا ينقص منها ولهذه البحيرة أعنى المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد أتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا أخبار الاحجار التى تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودى وذكرته الفلاسفة واستعملته فى الطب لمن به وجع الحصاة فى المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة يخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله أعلم بحيرة لا يتكون فيها ذو روح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها ببلاد أذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة وهى المعروفة هناك بكنوذان وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كنوذان وينبغى على قياس قولهم ان تكون عينهما واحدة وسار ملك الشأم وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشأم وكانت مدة يوشع بن نون فى بنى إسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين ففى ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمى:

ألم تر ان العلقمى بن هوبر * بايلة أمسى لحمه قد تمزعا

تداعت اليه من يهود جحافل * ثلاثون ألفاً حاسرين ودرعا

فامست عداد العماليق بعده * على الارض مشيا مصعدين وفزعا

كان لم يكونوا بين أجبال مكة * ولم ير راء قبل ذاك السميدعا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور ابن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتأت له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى إسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب) بن يوقنا بن بارض بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى)

ووجدت فى نسخة ان القائم فى بنى إسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) الكعرى وأنه أقام فيهم ثمانين سنة وهلك وملك (عمايل) بن قائم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان بنى اسرائيل كفرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بنى إسرائيل (علان) الاخبارى أربعين سنة ثم قام (سمويه) الى ان وليهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص بن العازر بن هرون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خابية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فاذا مغارة فيها صخرة ثانية فوضع الخابية فيها وانضمت الصخرة على ذلك ككونها أولا ولما هلك فينحاس بن العزر دبر أمرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بنى إسرائيل وأخذهم بالبلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال بن قناز اخو كالاب من سبط يهوذا أربعين سنة ثم دبرهم عفلون ملك هاب بجهد شديد ثمان عشرة سنة ثم دبرهم أهوذ من ولد افرايم خمسا وعشرين سنة ولخمس وثلاثين سنة خلت من ايامه تم للعالم أربعة آلاف سنة وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن أهوذ خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعانى ملك الشأم عشرين سنة ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبط نفتالى يقال له بازاق أربعين سنة ثم تداولتهم رؤساء بنى إسرائيل وهم عريب وريبب وبرسونا ودارع وصلناع تسع سنين وثلاثة أشهر ثم دبرهم كذعون من آل ميشا أربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه أبيماخ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم توبع من آل فرابين ثلاثا وعشرين سنة ثم سابه من آل ميشا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثمانى عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم يحثون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ثم عالى الكاهن بعد ذلك أربعين سنة وفى زمانه ظفر البابليون ببنى اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وابنائهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فبقى منهم ثلاثة اسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة من جزائر البحر وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا

لحز قيل هل رأيت قوماأصابهم ماأصابناقال لا ولا سمعت بقوم فروامن الله فرارکم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام فماتوا عن آخرهم ودبر بنى اسرائيل بعدغيلام الكاهن شمويل بن بروحان بن ناحورا ونبيء فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح أمرهم تخلطوا بعدذلك فقالوا لشمويل ابعث لناملكا يقاتل معنا فى سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر بن اينال بن طرون ابن بحرون بن افيح بن سميداح بن فالح بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام بنى اسرائيل من مصر الى ان ملك على بنى اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما اخبر الله عز وجل فى كتابه (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة وكان مدة مامكث التابوت ببابل عشر سنين فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بنى اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وهو جالوت بن بايول ابن ريال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بني اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك فى كتابه وأمروا كيف يشربون من النهر فولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان فى مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة أحجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهي التى قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا في الماء وخالفوا ماأمر وابه كان القاتل لهم طالوت وقد أتينا على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت

عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها اصلحت على داود وما كان من هذه الحروب وخبر الدهن الذي استدار على رأسه وخبر طالوت وأخبار البربر وبدء شأنهم في كتابنا في أخبار الزمان وسنورد بعد هذا جملا من أخبار البربر وتفرقهم في البلاد في الموضع اللائق بها من هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واخمل ذكر طالوت وأبى طالوت ان يفى لداود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه ابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فاغتاله فنعه الله عز وجل من ذلك فابى داود أن ينافسه في ملكه ونما امر داود فبات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كمدا وانقادت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكانت مدة طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذي قتل فيه جالوت نيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل موات من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث مايكون مع بخت نصر ومايكون من أمره في المستقبل وثلث مايلقون من أهل أنور وثلث موعظة وترغيب ومخبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة باورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس أعلى منه في هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ماقص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فنهم من رأى ماوصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ماذكرنا وذلك قوله عز وجل (ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق) ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية اورياء بن حيان ومقتله على ماذكرنا في كتاب المبتدا والخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائما باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة ونشأ سليمان بن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه في قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله (وكلا آتينا حكما وعلما) ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ولده سليمان وقبض فكان

ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين ألفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب بأس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة فى عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن حسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا فمن الله عز وجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا فى الارض مظهر اللحكمة والزهد فى هذا العالم الى أيام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وغمر عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذى بارك الله عز وجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذى يسمى فى وقتنا هذا كنيسة القمامة وهى الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون ان فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك مالم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ماذكر الله عز وجل فى كتابه وكان ملك سليمان ابن داود على بنى اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة والله ولى التوفيق

﴿ ذكر مالك بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ومن تلاه من بنى اسرائيل وجمل من أخبار الانبياء ﴾

وملك على بنى اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الاسبط يهوذا وسبط بنيامين وكان ملكه الى أن هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة أسباط (نورهم) وكانت له كوائن وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (لودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف فى ولد داود عليه السلام فلم ينج منهم الا غلام فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعلها فقتلوها وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذى بقى من نسل داود فملك وله سبع سنين فاقام ملكا أربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (مليصا) وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان فى عصره (شعيب) النبى ولشعيب

معه اخبار وكانت له حروب قد أتينا على ذكرها فى كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوفا) بن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (اجام) فاظهر عبادة الاصنام قطعا وأظهر البغى فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعيعس وكان من عظماء ملوك بابل وكان للاسرائيلى معه حروب الى ان اسره البابلى وخرب مدن الاسباط ومساكنهم وكان فى أيامه تنازع بين اليهود فى الديانة فنبذ منهم الاسامرة وأنكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وأبوا ان يكون بعد موسى نبى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران والاسامرة فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفى قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعاراوهى بين الرملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس وأكثرهم فى هذه المدينة أعنى نابلس ولهم جبل يقال له طوريك وللاسامرة عليه صلوات فى أوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند أوقات الصلاة وهم الذين يقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هى بيت المقدس وهى مدينة يعقوب النبى عليه السلام وهناك مرعاه وهم صنفان متباينان كتباينهم لسائر اليهود وأحد الصنفين يقال له الكوسان والآخر الدورسان أحد الصنفين يقول بقدم العالم ومعان غير ذلك أعرضنا عن ذكرها مخافة التطويل وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحل وكان ملك اجام الى ان أسره الملك الثانى سبع عشرة سنة ولما أسر الملك اجام ولده ولد يقال له (حزقيل اجام) فاظهر عبادة الرحمن وأمر بتكسير التماثيل والاصنام وفى ملكه سار (سيجارك) ملك بابل الى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بنى اسرائيل وقتل من أصحابه خلق كثيرون وسبى من الاسباط عدداً كثيراً وكان ملك حزقيل الى ان هلك سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعد حزقيل ولده يقال له (ميشا) فغمر شره سائر مملكته وهو الذى قتل شعيبا النبى فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار اليه فى الجيوش فهزم جيشه وأسره فاقام فى أرض الروم عشرين سنة واقلع عما كان عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولده يقال له (أمون) بن ميشا فاظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر فى الجيوش فامعن فى القتل وأسره ومضى به الى مصر فمات هناك وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك وملك بعده أخ له يقال له (توفين) وهو أبو دانيال عليه السلام وفى عصر هذا الملك سار البخت نصر وهو

مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان ببلخ وكانت قصبة الملك فامعن البخت نصر في القتل لبني اسرائيل والاسر وحملهم الى ارض العراق وأخذ التوراة وما كان في بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبي من بني اسرائيل ثمانية عشر الفا وفي هذا العصر كان (أقدمنا) النبي عليه السلام وسار بخت نصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وافتتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني اسرائيل فاولدها ولدا فرد بني اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زربابل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور فاقام هذا الملك على عمارة ارضهم ستا واربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تلف منهم في حال السبي والاسامرة تزعم ان التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أورد موسى بن عمران عليه السلام وان تلك حرفت وبدلت وغيرت وان المجدد لها هذا الملك لانه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في ايدي الاسامرة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستا واربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بخت نصر وهو الذي ردهم ومن عليهم وفيه نظر ودبر اسمعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام ونبأه الله عز وجل وارسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان فآمن طائفة منهم وكفر أكثرهم وولد اسمعيل اثني عشر ذكرا وهم نابت وقيدار وأربل وميم ومسمع ودوما ودوام وميشا وحدادوحيم وقطورا وماش وكانت وصية ابراهيم الى ابنه اسمعيل عليه السلام ووصى اسمعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده نابت بن اسمعيل عليه السلام على منهج اسمعيل وملته وقيل ايضا انه كان وصى أبيه اسمعيل عليه السلام وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهما السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارمينيا ودانيال وعزير وقد تنازع الناس في نبوة أيوب واشعياء وحزقيل والياس واليسع ويونس

وذى الكفل والخضر وروى عن إسحق انه أرمينيا وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت أيساع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام وهو عمران بن ماثان بن يعاميم من ولد داود أيضا واسم أم أيساع ومريم حنة وولدت لزكريا يحيى بن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فقتلوه وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة فدخل فى جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت ايساع ابنة عمران أخت مريم أم المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الاحداث فى بنى اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا ألوفا من الناس وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته فى يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل فى كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان أشيوع الناصرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الاردن فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه فى بعض الايام كان يقرأ فى سفر اشعياء اذ نظر فى السفر الى كتاب من نور فيه انت نبيي وخالصتى اصطفيتك لنفسى فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله فى ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرب تتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين والقصارين وقد ذكر ان ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا هم الحواريون الاربع الذين تلقوا الانجيل فالفوا خبر عيسى عليه السلام وما كان من امره وخبر مولده وكيف عمده يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمدانى فى بحيرة طبرية وقيل

في بحر الاردن الذي يخرج من بحيرة طبرية ويجري الى البحيرة المنتنة ومافعل من الاعاجيب واتى من المعجزات وماقالت اليهود الى ان رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي الانجيل خطب طويل في امر المسيح ومريم عليهما السلام ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك في كتابه ولا أخبر به محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم ﴾

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم فمن الناس من رأى انهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فمن ذكر انه نبي حنظلة بن صفوان وكان من ولد اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وأرسل الى اصحاب الرس وكانوا من ولد اسمعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللأخرى يامن وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عز وجل فقتلوه فاوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا ان يامر بخت نصر يسير اليهم فسار اليهم فأتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثية له فقال

بكت عيني لاهل الرس * رعويل وقدمان
وأسلم من أبي زرع * بكال الحي قحطان

وقد حكي عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة وانه كان حلم حلما راى فيه انه دنا من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذي القرنين وللناس في ذي القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في اصحاب الكهف في أي الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا في زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكر ملوك الروم في هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد أدرك بعض الحواريين فارسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره ثالثة واحراقه وإذرائه في دجلة

فاهلك الله عزوجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ماوردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود فى كتاب المبتدا والسير لوهب ابن منبه وغيره وممن كان فى الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعواه الى الله عزوجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعربية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفاء وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وأن الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله عزوجل وقد اخبر الله عزوجل بذلك فى كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سليمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك فى خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وحرمهما فى كنيسة هناك قد ذكرناها فى الكتاب الاوسط عند ذكرنا لعجائب رومية وأخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم فى البلاد وسنورد فى هذا الكتاب لمعا من اخبارهم ان شاء الله تعالى فاما أصحاب الاخدود فانهم كانوا فى الفترة فى مدينة نجران باليمن فى ملك ذى نواس وهو القاتل لذى سار وكان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد فى الارض وملا ها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه فى النار فاتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فأنطق الله عزوجل الطفل فقال ياامه امضى على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها فى النار وكانوا امؤمنين موحدين لا على رأى النصرانية فى هذا الوقت فمضى رجل منهم يقال له دمعليان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشى لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من امر الحبشة وعبورهم الى ارض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من امر سيف بن ذى يزن

واستنجاده الملوك الى ان انجده انوشروان ماقد أتينا على ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه قصة اصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى وهو خالد بن سنان بن عتب بن عبس وقد ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبى أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت فى العرب فافتتنوا بها وكادت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدأ كل ذى دين يرد الى الله الاعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها وما بى سدى فاطفأها فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا أنا دفنت فانه سيجى عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فتضرب قبرى بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى فانى سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فارادوا ان يخرجوه فكره ذلك بعضهم وقالوا انخاف ان تنسبنا العرب الى نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله أحد فقالت كان ابى يقول هذا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخباره مما تدعو الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وممن كان فى الفترة رئاب السنى وكان من عبد القيس ثم من سن وكان على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت أحد من ولد رئاب فيدفن الا رأوا واسطا على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميرى وكان مؤمنا وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على أحمد انه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
والزم طاعته كل من * على الارض من عرب أو عجم

وهو أول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذى عظم الله ملاء مقصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذى يقول من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب

بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى

واحكم من قس وأجرى من الذى * بذى الغى من جفان أصبح خادرا

وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا اهلك فقال رحمه الله كانى أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت أما بعد فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو آرضى من دين أنتم عليه مالى أراهم يذهبون ولا يرجعون رضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف وقال أبياتا لا أحفظها فقام ابو بكر رضى الله عنه فقال انا أحفظها يارسول الله فقال هاتها فقال

فى الذاهبين الاوليـ * ـن من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر * ورأيت قومى نحوها * تمضى الاوائل والاواخر

لا يرجع الماضى ولا * يبقى من الباقين غابر

ايقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو أن يبعثه الله أمة (قال المسعودى) ولقس أشعار كثيرة وحكم واخبار مع قيصر فى الطب والزجر والفأل وانواع الحكم وقد ذكرنا ذلك فى كتاب اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وممن كان فى الفترة زيد بن عمرو بن نفيل أبو سعيد بن زيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وصار الى الشأم يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا ومنهم أمية بن ابى الصلت الثقفى وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشأم فتلقاه اهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لاشريك له * من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال فلا لغو ولا تأثيم فيها * وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتاسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم فى فتية يشرب اذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال أمية اتدرون ماقال قالوا الا قال فانه يقول لكم ان أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت فقال القوم لتكذبن قوله ثم قال حسوا كأسكم فحسوها فلما انتهت النوبة اليه اغمى عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما ها أناذا لديكما أنا من حفت به النعمة والحمد والشكر

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد فى الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما طويلا

ليتنى كنت عند ماقد بدالى * فى رءوس الجبال أرعى الوعولا

كل عيش وان تطاول حينا * فقصارى ايامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس واخبار من سلف كابى دأب والهيثم بن عدى وابى مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن السائب الكلبى ان السبب فى كتابة قريش واستفتاحها فى اوائل كتبها باسمك اللهم هو ان أمية بن أبى الصلت الثقفى خرج الى الشأم فى نفر من ثقيف وقريش فى عيرلهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بشئ فى وجهها فرجعت فشدوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها فقالت مامنعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية قالوا ومن أنت قالت ام العوام او تمت منذ أعوام أما ورب العباد لتفترقن فى البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلى ايابهم وأقفرى ركابهم فوثبت الابل فكان كل بعير منها على ذروة ما نملك منها شيأ حتى افترقت فى البوادى فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما انخناها عادت الى مقالتها مامنعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة الأطيلى ايابهم وأقفرى ركابهم فخرجت الابل ما نملك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما انخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل وأمسينا فى ليلة مقمرة وقد يئسنا من ظهورنا فقلنا لامية بن أبى الصلت أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فتوجه الى ذلك الكثيب الذى تأتى منه العجوز حتى

هبط منه من ناحية أخرى ثم صعد كثيباً آخر حتى هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه رفع رأسه الي وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن أين يأتيك صاحبك قلت من أذني اليسرى قال فباي الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكلمك في اذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فما جاء بك وما حاجتك فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى امية قد برص في عذاريه ورقبته وصدره واسود في أسفله فلما قدموا امكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى ان جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها في اخبار الزمان وغيره فيما سلف من كتبنا ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم لحا وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يابن أخي اثبت على ما أنت عليه فو الذي نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولكن ان أدركت ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه وقد اختلف فيه فنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزى بسيئة * ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة بن أبي ربيعة وكان من أهل نينوى ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم

أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الانصار من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الاوثان ودخل بيتا واتخذه مسجدا لاتدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * بمكة لايلقى صديقا مؤاتيا

ومنهم أبو عامر الأوسي وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج في خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشأم ومنهم عبد الله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بارض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فتحنا وصأصأتم يريد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد مايولد وهو جرو قد فتح واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجها اياه النجاشي وأمهرها عنه أربعمائة دينار ومنهم بحيرا الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرا في النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشأم في تجارة أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهما أبو بكر وبلال مروا ببحيرا وهو في صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فأنزلهم بحيرا وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته ومايكون من أمره وسأله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وأعلم قريشا بما أظهر

الله عز وجل من اظهار دلائل نبوته وما أخبر به وما كان منه فى طريقه (قال المسعودى) فهذه جمل مدة الخليقة الى حيث انتهينا من هذا الموضع ولم نشبه بشىء غير ما جاءت به الشرائع ونطقت به الكتب وأوضحت عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام ولنذكر الآن بدء ممالك الهند ولمعامن آرائها ونتبع ذلك بذكر سائر الممالك اذ كنا قدمنا ذكر ملوك الاسرائيليين على حسب ما وجدنا فى كتب الشرعيين والله أعلم

﴿ ذكر جمل من أخبار الهند وآرائها وبدء ممالكها وملوكها ﴾

ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن العالم وبدئه ان الهند كانت قديم الزمان الغرة التى فيها الصلاح والحكمة فانه لما تجيلت الاجيال وتحزبت الاحزاب حاولت الهند ان تضم المملكة وتستولى على الحوزة وتكون الرياسة فيهم فقال كبراؤهم نحن أهل البدء وفينا التناهى ولنا الغاية والصدر والانتهاء ومنا سرى الاب الى الارض فلا ندع أحدا شاققنا ولا عاندنا وأراد بنا الاغتماض الا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع الى طاعتنا فازمعت على ذلك ونصبت لها ملكا وهو البرهمن الاكبر والملك الاعظم والامام فيها المقدم ظهرت فى ايامه الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الحديد من المعادن وضربت فى ايامه السيوف والخناجر وكثير من انواع المقاتل وشيد الهياكل ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة وصور فيها الافلاك والبروج الاثنى عشر والكواكب وبين بالصورة كيفية العالم وأورد بالصورة أيضا أفعال الكواكب فى هذا العالم واحداثها للاشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها وبين حال المدبر الذى هو الشمس وأثبت كتابه فى براهين جميع ذلك وقرب الى عقول العوام فهم ذلك وغرس فى نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك واشار الى المبدا الاول المعطى سائر الموجودات وجودها الفائض عليها بجوده وانقادله الهند وأخصبت بلادها وأراهم وجه مصالح الدنيا وجمع الحكماء فاحدثوا فى ايامه كتاب السند هند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ككتاب الازجهير والمجسطى وفرع من الازجهير الاركند ومن المجسطى كتاب بطليموس ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات واحدثوا التسعة الاحرف المحيطة بالحساب الهندى وكان أول من تكلم فى اوج الشمس وذكر انه يقيم فى كل برج ثلاثة آلاف سنة ويقطع الفلك فى ستة وثلاثين ألف سنة والاوج على رأى البرهمن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا

والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب في بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الأقدم الذي عليه عملت الهند في تواريخ البردة وظهورها في أرض الهند دون سائر الممالك ولهم في البردة خطب طويل اعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك في الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل الماء ودب الحيوان وبقل العشب وخرق النسيم الهواء فاما اكثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبتدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا الذلك أجلا ضربوه وقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ووسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهازروان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في اول الكر لانفساح الدوائر وتمكن القوى من المحال وتقصر الاعمار في آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار البائرة للاعمار وذلك أن أقوى الاجسام وصفوها في أول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر وان الصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر اخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواصل وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطئ ذوى الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرنا علل وبراهين في المبادى الاول وفيما بسطناه من تفريقهم في الدوائر الهازروانات ورموز واسرار في النفوس واتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى أجناسهم واشرفهم ولا يغتذون بشئ من الحيوان وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم في بيت

الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ماقصة العالم وماسره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص مايدخل علينا أم هل هو غني من كل وجه عن إبقائه ايانا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى أحدا من الناس أدرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة البارئ عز وجل في أحد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم مابعدنا قال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمرا وقع وقوعا احتاج فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة قال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أنا لا أدري ماتقولون غير اني أخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم ويمم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة

(قال المسعودي) وقد رأيت أبا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من أجلها أحرقوا انفسهم في النيران وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب فما تعرضا لشيء مما ذكرنا ولا يما نحو ما وصفنا وقد تنوزع في البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ماذكرنا وهذا أشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت الى نصب ملك عليها من أكبر ولده فكان ولي عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه واحسن النظر اليهم وزاد في بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها

فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفى أيامه عمل النرد واحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وأنها لاتنال بالكسب ولا بالحيل فى هذه الدنيا وأن الرزق لايتأتى فيها بالحذق وقد ذكر ان أردشير بن بابك أول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثنى عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل القصير مثلا للقدر ومثله بأهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه بمافى مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لايتأتى له ماتاتى لغيره الا اذا أسعده القدر وان الارزاق والحظوظ فى هذه الدنيا لاتنال الا بالجد ودثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة ولداماان سير واخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك أربعين ومائة سنة ثم ملك بعده (دستلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بقلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى أبوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى أيامه الشطرنج فقضى بلعبها على النرد وبين الظفر الذى يناله الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرو حكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مماليس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القطائع وأقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظروا من أين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر يسرونه فى تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ماعلا من الافلاك وماإليه منتهى العلة الاولى وأعداد أضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف ألف واحد وخمسون ألف ألف وستمائة وخمسة عشر ألفا ومراتب هذه الالوف الستة الاولى ثم الخمسة التى هى ألف ألف خمس مرات ثم الاربع ثم الثلاث ثم الاثنتين ثم الواحدة لها عندهم معان

يذكرونها فى الذهور والاعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية فى هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها وللبونانيين والروم وغيرهم من الامم فى الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها قد ذكر ذلك الشطرنجيون فى كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولى والعدلى واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج فى هذا العصر وكان ملك بلهيت ملك الهند الى ان هلك ثمانين سنة وفى بعض النسخ انه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده (كورس) فاحدث للهند آراء فى الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان فى مملكته وعصره سندباد دون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل فى خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم فى معرفة العلل والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى ان مات عشرين ومائة سنة ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند فى آرائها فتحزبت الاحزاب وتجيلت الاجيال وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وتملك على أرض قشمير ملك وتملك على مدينة المامليروهى الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهزا وهذا أول ملك سمى من ملوكهم بالبلهزا فصارت سمة لمن ادخر من الملوك لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الرانج وهى دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة قدر بين مملكة الهند والصين وتضاف الى الهند والهند متصلة مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند الى ارض التبت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا والهند فى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة امزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد فى غيره تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر جالينوس فى طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وماخص به الزنج

دون سائر السودان فى الاكثر من الطرب أمورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليمانى صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجى ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا ان أبا العباس الراضى بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من أسود ويقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدرى أقلد طاوسا فى مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا فى فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا فى كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها فى امور الرعية لان فى نظر العوام عندها الى ملوكها خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالتخير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودى) ورأيت فى بلاد سرنديب وهى جزيرة من جزائر البحر أن الملك من ملوكهم اذا مات صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى وشعره ينجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمه وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذر رماده فى الرياح وكذا فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتيممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى أهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر اهل المراتب لا تتغير ولا تتبدل والهند تمنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجوارى وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن اخبارهم وسيرهم فى كتابنا اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند فى وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه فى صلواتها نحوه وتصلى لرسله اذا وردوا عليهم وتلى مملكة

البلهزا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك فى الجبال لا بحر لهم مثل الراى صاحب القسمين وملك الطافى وغير ذلك من ملوكهم أعنى ملوك الهند ومنهم من بملكه بر وبحر فأما البلهزا فان بين ديار ملكه و بين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بزورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذى على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه فى كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار ومافيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله أعلم

﴿ ذكر الارض والبحار ومبادئ الانهار والجبال والاقاليم السبعة وماوالاها من الكواكب وترتيب الافلاك وغير ذلك ﴾

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا أن الارض مستديرة ومركزها فى وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند تلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر اوقيانوس الغربى وهى ستة أجزاء عامرة الى أقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنى عشر فعلموا أن الشمس اذا غابت فى اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر أوقيانوس الغربى واذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى أقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذى ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر الف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التى عملوا عليها فى مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهى الى جزيرة تولى التى فى برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين المشرق والمغرب فى جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب فى النصف مما بين الجزائر العامرة واقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعرفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى قريبا من ستين

جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذى هو مقدار العرض في النصف الذى هو مقدار الطول كان مقدار ماظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر واما الاقاليم السبعة فأولها ارض بابل منه خراسان وفارس والاهواز والموصل وارض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وافريقية والبربر والاندلس وما بينهاله من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشأم والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الدبيل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس * ذكر جلس المنجم صاحب كتاب الزيج فى النجوم عن خالد بن عبد الله المروزى وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون فى برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا فضربوا مقدار درجة واحدة فى ثلثمائة وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين الف ميل ومائة وستين ميلا ثم ضربوا دور الارض فى سبعة فاجتمع مائة الف ميل واحد واربعون الف ميل ومائة وعشرون ميلا فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذى هو مقدار قطر الارض ستة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة اميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل اربع آلاف ذراع بالاسود وهى الذراع التي وضعها أمير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون اصبعا (قال المسعودى) وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الارض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة وان عددها اربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة فى عصره وسماها مدينة مدينة فى اقليم اقليم وذكر فى هذا الكتاب الوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها

مائتا جبل و نيف وذكر مقدارها ومافيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا إن عدد البحار المحيطة بالارض خمسة ابحر وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما اشتهر من الجزائر دون مالم يشتهر وذكر ان فى البحر الحبشى جزائر متصلة نحوا من الف جزيرة يقال لها الدميحات عامرة كلها وذكر بطليموس فى جغرافيا ان ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التى تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ماعداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية فى الاقاليم سبعة على حسب ماقدمناه فى عدة الاقاليم وكل اقليم سعته تسعمائة فرسخ فى مثلها وفى البحار ماهو معمور بالحيوان ومنها ماليس بمعمور وهو اوقيانوس البحر المحيط وسنأتى فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل فى تفصيل البحار ووصفها وهذه البحار كلها فى كتاب جغرافيا بأنواع من الاصباغ مختلفة المقادير فى الصورة منها ماهو على صورة الطيلسان ومنها ماهو على صورة الشابورة ومنها مصرانى الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الا ان اسماءها فى هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض الفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر الف ذراع والذى يحيطه باسفل دائرة النجوم هو فلك القمر فانه الف فرسخ وخمسة وعشرون الفا وستمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد رأس الحمل الى الميزان اربعون الف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فأولها وهو اصغرها واقربها الى الارض للقمر والثانى لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشترى والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها فى جوف بعض ففلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب فى كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين احدهما مما يلى الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلى الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج غير هذا الفلك وانما هى مواضع لقبت بهذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلى فيجب ان تكون الفروج نضيق من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة والخط القاطع للكرة نصفين واحدوانما سمى دائرة معدل النهار لان الشمس اذا صارت عليها استوى الليل والنهار فى جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق

الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهى تدور على مركز الارض والارض فى وسطها مثل النقطة فى وسط الدائرة وهى تسعة افلاك فاقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشترى وفوق ذلك فلك زحل وفى كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع واعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التى دونه مما سمينا وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب فى كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها واما الافلاك السبعة التى قدمنا ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللأوائل فيما ذكرنا حجج يطول الخطب فيها والكواكب المرئية التى نشاهدها وسائر الكواكب فى الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبى الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثنى عشر يتلو بعضها بعضا فى مسيرها ولا تنتقل عن اماكنها ولا تتغير حركتها فى طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت فى حركتها فربما اسرع الكوكب فى حركته ومسيره وربما اخذ فى الجنوب وربما اخذ فى الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب فى افلاكها فمقام القمر فى كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك فى شهر ومقام الشمس فى كل برج شهر ومقام عطارد فى كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ فى كل برج خمسة واربعون يوما ومقام المشترى فى كل برج سنة ومقام زحل فى كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطى ان استدراة الارض كلها جبالها وبحارها اربعة وعشرون الف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها تسعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا ذلك بأنهم اخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينتين هما خط واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التى فى البرية بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب فى مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب فى مدينة تدمر اربعة وثمانين جزا وثلث

جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ العلل ذكروها يبعد علينا ايرادها فى هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثناعشر وان الشمس تقطع كل برج فى شهر وتقطع البروج كلها فى ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محورى النجار والخراط الذى يخرط الاكرة والقصاع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين اعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى فاما اهل البلد التى مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالى وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبى ولا الكواكب التى هى قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى فى العراق فى السنة اياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الاهلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة فى ذلك فى موت هذا النوع من الحيوان واما فى البلدان الجنوبية فانه يرى فى السنة كلها وقد تنازع طوائف الفلكيين واصحاب النجوم فى هذين المحورين الذين يعتمد عليهما الفلك اساكنان هما ام متحركان فذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد اتينا على ما يلزم كل فريق منهم فى بيان هذين المحورين امن جنس الافلاك هما ام من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع فى شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شئ حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا اقبلت ايضا نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شئ وظهرت الاشجار والارض وهذا جبل دباوند بين بلد الرى وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه فى الجو ويرتفع فى اعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه خالية اعاليه منها ويخرج من اسفله نهر كثير الماء نهر أصفر كبريتى ذهبى اللون مسافة الصعود عليه فى نحو ثلاثة ايام بلياليها وان من علاه وصار فى قلته وجد مساحة راس القلة نحو الف ذراع فى مثل ذلك وهى ترى فى راى العين من اسفل نحو القبة المنخرطة وان فى هذه المساحة فى اعاليه رملا تغوص فيه الاقدام احمر وان هذه القبة لا يلحقها شئ من الوحش ولا من الطير

لشدة الرياح وسموها فى الهواء وشدة البرد وان فى اعاليه نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتى العظيم ويخرج مع ذلك دوى عظيم كاشد ما يكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى اعاليه من افواه هذه الثقوب كبريتا اصفر كانه الذهب يقع فى انواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ماحوله من الجبال الشامخة كانها رواب وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان فى المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لججت فى هذا البحر غاب عنها جبل دباوند فلم يره أحد فاذا صاروا فى هذا البحر على نحو من مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالى هذا الجبل فكلما قربوا من هذا الساحل ظهر لهم وهذا دليل على ماذهبوا اليه من كرية ماء البحر وانه مستدير الشكل وكذلك من يكون فى بحر الروم الذى هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلدة انطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن أبصار من فى المراكب ولا يخفى عنهم فى المسير فى البحر فى المواضع التى يرى منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل دباوند وما قال الفرس فى ذلك قال الضحاك ذو الافواه ومرمن اعاليه بالحديد هذه النار التى فى أعالى هذا الجبل أطم عظيمة من آطام الارض وعجائبها وقد تكلم الناس فى بعد الارض فذكر الاكثر أن من مركز الارض الى ماينتهى اليه الهواء والنار مائة الف وثمانية عشر الف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بالف وستمائة واربع واربعين مرة والارض كلها نصف عشر ثمن من الشمس وقطر الارض اثنان وأربعون ألف ميل والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل ونصف ميل والمشترى مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر ميلا وزحل أعظم من الارض تسعا وتسعين مرة ونصفا وقطره اثنان وثلاثون ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلا وأما أجرام الكواكب الثابتة التى فى المشرق الاول وهى خمسة عشر كوكبا فكل كوكب منها أعظم من الارض باربع وتسعين مرة ونصف مرة وأما بعدها من الارض فان أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية

وعشرون ألف ميل وابعد بعده من الارض مائة الف واربعة وعشرون ألف ميل وابعد بعد عطارد من الارض سبعمائة الف الف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون الف ميل وابعد بعد الزهرة من الارض اربعة آلاف الف ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستمائة ميل وأبعد بعد الشمس من الارض أربعة آلاف ألف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفا ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستمائة ميل وشئ وأبعد بعد المشترى من الارض اربعة وخمسون ألف الف ومائة ألف وستون ألف ميل الاشيأ وأبعد بعد زحل من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشيأ وبعد الكواكب الثابتة من الارض نحو ذلك فيما ذكرنا من القسمة ولاخذ المقاييس استدرك القوم الساعات وبها استخرجوا الآلات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا باب ان شرعنا في ايراد البعض منه كثر واتسع الكلام وانما ذكرنا لمعا من هذه الفنون لتدل على مالم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كهانهم يسمى رأس كرور دن يعدهم النصارى برتبة الكهنة في كهانتها على ماتقدمت فيه الصابئة في مذهبها وسمت النصارى هذه المراتب العظات فاولها السلط والثانى اعنسط والثالث يودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس يودوط والسابع حور الغينطس وهو الذى يخلف الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذى فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرك وتفسيره أبو الآباء ممن تقدم ذكرهم من اصحاب المراتب وغيرهم من الادانى وغوامهم هذا عند خواص النصارى فاما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ماذكرنا وهو ان ملكا ظهر واظهر امورا يذكرونها لاحاجة بنا الى وصفها وهذا ترتيب الملكية وهم عمد النصرانية وقطبها الان المسارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما اخذت النصارى جملا من هذه المراتب على ماذكرنا من الصابئة واما القسيس والشماس وغير ذلك فعن المانية الا التصدوس والسماع وكان مانى حدث بعد مضى السيد عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى مانى اضيفت المانية والى مرقيون اضيفت المرقيونية والى ابن ديصان اضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك

المردقية وغيرها ممن سلك طريقة صاحب الالعين وقد اتينا فى كتابنا اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط على جمل من نوادر هذه المذاهب وما اوردوه من الخرافات المزخرفة والشبه الموضوعة وماذكرناه من مذاهبهم فى كتابنا فى المقالات فى اصول الديانات وماذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب ففى كتابنا المترجم بكتاب الامانة فى اصول الديانة وانما نذكر فى هذه الابواب ما يتشعب الكلام اليه ويتغلغل هذا الوصف نحوه فنورد منه لمعا على طريق الخبر والحكاية للمذهب لا على طريق النظر والجدل لئلا يخلو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة اليه والى ذكره والله اعلم

﴿ ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار ﴾

ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وان جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا اضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كانها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل لصب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر ابدا برا ولا موضع البحر ابدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها اعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحرا قيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق فى البدن وقال آخرون حق الماء ان يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالى والهابط انحاز الماء الى اعماق الارض فاذا انحصرت المياه فى اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ لغلظ الارض وضغطتها اياها من اسفل فينشق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد فى باطن الارض من الهواء الكائن هناك وان الماء ليس باسطقس وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا فى ذلك كلاما كثيرا اعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار و بسطنا ذلك

فى غير كتاب من كتبنا واما مبادئ الانهار الكبار ومطارحها ومقادير جريانها فنهر مهران السند وجيحس وهو نهر عظيم بارض الهند ونهر سامط وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذى يصب الى نهر فيطش وغيرها مما اكبر من الانهار قد تكلم الناس فى مقدار جريانها على وجه الارض فرايت فى جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدؤ ظهوره من اثنتى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحرين هناك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا فيمر برمال هناك وجبال ويخرق ارض السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج ينصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهى جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدأ الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم ارباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر اوقبل الاوان بعدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى اثارة الزيادة فيه السموسار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى ايضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين اولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد السند من أرض القنوج الى مملكة يوروه وارض قشمير والقفندار والطافر حتى ينتهى الى بلاد المولتان ومن هناك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديما منذ صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى اجواف هذا البحر وفى خليج

ميــدايون من مملكة ياغرمن أرض الهند وخلجان الرابج من بحر مملكة المهراج وكذلك في خلجان الاعباب وفي عب التي تلي جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها في المـاء العذب وماذكرنامن خلجانات الهند فالاغلب من امواهها ان تـكون عذبة لصب مياه الامصار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيــل مصر فنقول ان الذي ذكرته الحكماء انه يجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغــير عامر حتى ياتي اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصــعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اســوان جبال واحجار يجري النيل في وسطها ولا سبيل الى جريان السفن فيه هناك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين ســفن المسلمين ويعرف هــذا الموضــع من النيل بالجنادل والصخور ثم ياتي النيل الفسطاط وقــد قطع الصــعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر الاهواز من بلاد الفيوم وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وســنذكر فيما يرد من هذا الـكتاب اخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في مائها ثم يمضي جاريا فتنقســمه خلجانات الى بلاد تنيس ودميا طو رشيد والاسكندرية كل يصب الى البحر الرومي وقد أحدث فيه بحيزات في هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادها في هذه السنة وهي سنة اثنتــين وثلاثــين وثلثمائة ونمي الي وانا بمــدينة انطاكية والثغر الشامي ان النيل زاد في هــذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدري أفي هذه الزيادة دخل خليج الاسكندرية أم لا وقــد كان الاسكـندر بن الفيلقوس المقدوني بنى الاسكـندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا في نهاية العمارة والجبال المتصلة بارض برقة من بلاد المغــرب وكانت الســفن تجري في النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقــد بلط أرض نيلها بالمدينة بالرخام والمرمر فانقطع الماء لعوارض سدت خلجانها ومنعت الماء من دخوله وقيل لعلــل غير ذلك منعت من تنفسه وردت الماء الى كنانه لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيه الاختصار فصار شربهم من الآبار وصار النيل على نحو يوم منها وسنذكر فيما يرد من هذا الـكتاب في باب ذكرنا الاخبار الاسكندرية جملا من اخبارها واخبار بنائها وماذكرنامن المــاء الجاري الى بحر الزنج فانما هو آخــذ من معالي مصب الزنج وفارق

بين بلاد الزنج وبين اقاصى بلاد احماس الاحابيش ولولا ذلك الخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم من انواع الزنج لكثرتها وبسطها (واما نهر بلخ) الذى يسمى جيحون فانه يخرج من اعين تجرى حتى تأتى بلاد خوارزم وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الربدواسرائيل وغيرها من بلاد خراسان فاذا وردالى بلاد خوارزم تفرق فى مواضع هناك ويمضى باقيه فينصب فى البحيرة التى عليها القمرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم وليس فى ذلك الصقع اكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس فى العمران بحيرة أكبر منها الان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش يمر ببلاد العادات وبمدينة حيسه وتجرى فيه السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع التزيه وهم بوادى الترك وحضرهم أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم اصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم اشد الترك باسا وأقصرهم واصغرهم عينا وفى الترك اصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغرانيق وسنذكر مبلغا من اخبار اجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر اعمالها وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم اوحاروبيت وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم العراكم ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر اتقار زعم قوم من أهل الخبرة انه مبتدأ نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبدا نهر الترك وهو الغاز وقيل اربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا انهر رست الاسود ولا نهر رست الابيض الذى يكون عليه مملكة كيمان وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ وهو جيحون وعلى هذين النهرين العدرية من الترك ولهذين اخبار لم نحط بها لمسافتهما على وجه الارض فنذكر ذلك (وكذلك خيحس) نهر الهند فبدؤه فى جبل من اقاصى أرض الهند مما يلى الصين من بحر بلاد الطغرغر من الترك ومقدار جريانه الى ان ينصب فى البحر الحبشى مما يلى جبل الهند اربعمائة فرسخ (واما الفرات) فبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى افردخس على نحو يوم من قاليقلا

ومقدار جريانه من بلاد الروم الى ان يأتى بلاد ملطية وأخبرنى بعض اخواننا من المسلمين ممن كان اسيرا فى ارض بلاد النصرانيـة ان الفرات اذا توسط أرض الروم تحلبت اليه مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلى بحيرة الماذرمون وليس فى ارض الروم بحيرة أكبر منها وهى نحو من شهر وقيل اكثر من ذلك طولا وعرضا تجرى فيها السفن وتنتهى الى الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز تحت قلعة سميساط وهى قلعة الطين ثم ينتهى الى ماليس وهى نصفان موضع حرب اهل العراق واهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجـلة وينتهى الفرات الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعـين واحمـد اباد والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة فرسخ وقد قيل اكثر من ذلك وقـد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحـيرة ونهرها تين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا الوقت وكانت تتقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقـد ذكر ما قلنا عبـد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى حين خاطب خالد بن الوليد فى ايام ابى بكر بن ابى قحافة رضى الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر بافصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة ايام كثيرة ومن راى النجف واشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر رمل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة فى هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن حرحى وذلك من جهة مدينة فارس من اعمال واسط الى دنوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقـة الشماسـية وما نقل الماء بتيا ره من الجانب الغربى من الضياع التى كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة باليسرى والموضع المعروف بالعمر وغير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع اهل الجانب الشرقى ممن ملك رقة الشماسية فى ايام المقتدر بحضرة الوزير ابى الحسن على بن عيسى وما اجاب به اهل العلم فى ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء فى نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا فى قدره فى سنة فاذا سار اليهم اربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء

سبيلا منخفضا وانصبا باوسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه فاقتلع المواضع من الارض من ابعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملأه فى طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ماوصفناعن مرام ذى فكر ولنبدا بذكر (دجلة ومبدا جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من اعين بلاد خلاط من ارمينية ويصب اليها نهر سريط وسائر مايخرج من بلاد اردن وميافارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دومنا والخابور الخارج من بلاد ارمينية ومصبه فى دجلة من بلاد ماسورين وسيلون من بلاد قردى وبازندى وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بنى حمدان وفى قردى وبازندى يقول الشاعر

بقردى وبازندى مصيف ومربع * وعذب يحاكى السلسل برود

وبغداد مابغداد اماترابها فحمى واما حرها فشديد وليس هذا الخابور خابور النهر الذى يخرج من مدينة راس العين من اعينها ويصب فى الفرات اسفل مدينة قرقيسياء ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية (وهو زاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حدبته ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتى من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهى الى مدينة تكريت وسر من راى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهى الانهار التى ذكرنا انها تاخذ من الفرات وتصب فى دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها انهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالى ونهربين والنهر وان ممايلى بلاد حرحرانا والسبب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت فى انهار هناك اخر الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودى ومسامى والمصب الذى ينتهى الى القطر وفيه تجرى اكثر سفن البصرة وبغداد وواسط فقدار مسافة جريان دجلة على وجه الارض نحو من ثلثمائة فرسخ وقيل اربعمائة وقد اعرضنا عن كثير من ذكر الانهار الاماكبر واشتهر اذ كنا قد اتينا على ذكر ذلك على الاتساع فى الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك فى الكتاب الاوسط ونذكر فى هذا الكتاب لمعا مما سمينا من الانهار ومما لم نسمه وللبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمر وكذلك ببلاد الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة اعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار

منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة و الابلة وخبر الموضع المعروف بالحدارة وهى دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن اجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الحدارة انحدرت الاخشاب فى فم البحر بما يلى الابلة وعبادان عليها اناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسى فى جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع فى تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وهذه الديار عجيبة فى مصبات مياهها واتصال البحر بها والله اعلم

(ذكر جمل من الاخبار عن البحر الحبشى وما قيل فى ذلك من مقداره وسعة خلجانه)

قد زاد بحر الهند وهو الحبشى حتى امتد طوله من المغرب الى المشرق من اقصى الحبش الى اقصى الهند والصين وصار ثمانية آلاف ميل وعرضه الفان وتسعمائة ميل وعرضه فى مواضع أخر الف وتسعمائة ميل وقد يتقارب فى قلة العرض فى موضع دون موضع ويكثر كذلك وقد قيل فى طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة واعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند اهل هذه الصناعة وليس فى المعمور اعظم من هذا البحر وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد الى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربرى طوله خمسمائة ميل وعرض طرفيه مائة ميل وليست هذه بربرى التى ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من ارض افريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفى هذه البحيرة مسلمون من الاكابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من ارباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربرى وهم يعرفونه ببحر بربرى وبلاد جفونى اكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه موج اعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كاخفض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر امواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من اهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون يقولون

بربرى وجفونى * وموجك المجنون

جفونى وبربرى * وموجها كما ترى

وينتهى هؤلاء فى بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ماذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق من اقاصى ارض الزنج والاسافل من نحوهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت انا هذا البحر من مدينة سنجار ومن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم ارباب المراكب مثل محمد بن الزيدوم السيرافى وجوهر بن احمد وهو المعروف بابن نسوة وفى هذا البحر تلف ومن كان معه فى مركبه وآخر مرة ركبت فيه فى سنة اربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك فى مركب احمد وعبد الصمد اخوى عبد الرحيم بن جعفر السيرافى بمكان وفيه غرقا فى مركبهما وجميع من كان معهما وكان ركوبى فيه اخيرا والامير على عمان احمد بن هلال بن اخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن واصابنى فيها من الاهوال مالا احصيه كثرة فلم اشاهد اهول من بحر السند الذى قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بافال طول السمكة نحو من اربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهى ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر راسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجو اكثر من ممر السهم والمراكب تفزع منه فى الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر باجنحته وذنبه السمك الى فيه وقد فغر فاه وذلك السمك يهوى الى جوفه جرته فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى السل فتلصق باصل اذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالسل بالمراكب فلا يدنو الافال مع عظمه من المركب ويهرب اذا راى السمكة الصغيرة اذ كانت آفة له وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون فى ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لا دبر له وما يأكله يكون فى بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء كالطيطوى والحصافى وغير ذلك من انواع الطيور قد اعتاد ذلك منه فيأكل ما ظهر فى جوفه من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت فى الرمل تراعيه فتدب الى حلقه وتصير فى

جوفه فيخبط بنفسه فى الارض فيطلب قعر النيل حتى تاتى الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحوا من ذراع على صورة ابن عرس ولها قوا ئم ومخالب وفى بحر الزنج انواع من السمك بصور شتى ولو لا ان النفوس تنكر مالم تعرفه وتدفع مالم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار ومافيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب المياه والجماد فلنرجع الآن الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله فى البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يمتد من هذا البحر الحبشى فينتهى الى مدينة القلزم من اعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة ايام وعليه مدينة ايلة والجاد وجدة واليمن طوله الف وار بعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل وهو اقرب المواضع من عرضه وعرضه فى الاصل سبعمائة ميل وهو اكثر العرض فيه ويلاقى ماذكرناه من الخلجان و بلاد أيلة من غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلائى و بلاد العبدان من أرض مصر وارض البجة ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى أن يتصل ذلك أقاصى أرض الزنج وأسافلها فيتصل الى بلاد سفالة من ارض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهى الى بلاد الابلة والحبشان وعبادان من أرض البصرة وعرضه فى الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهى أحدزواياه الى بلاد الابلة وعليه ممايلى المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهريان ومدينة حسان واليها تضاف الثياب الحسانية ومدينة احمرة بيلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهى أرض الخوارج الشراة وهذه كلها أرض نخل ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهناك مدينة الديبل ثم يكون مارا متصلا بساحل الهند الى بلاد بروص واليها يضاف القنا البروصى برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا ويقابل ماذكرنا من مبدا ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطن وسط بنى خزيمة و بلاد عمان وأرض مهرة الى راس الجمجمة الى أرض الشحر والاحقاف وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك وهى بلاد حبابة لان خارك مضافة الى حبابة و بينها وبين البر فراسخ فيها مغاص اللؤلؤ المعروف بالخاركى وجزيرة أولى فيها بنو معن وابن مسحار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحر نحو يوم بل أقل من

ذلك وفى ذلك الساحل مدينة البرارة والعقل والقطيف من ساحل هجر ثم بعد جزيرة أولى جزائر كثيرة منها جزيرة لافت وتدعى جزيرة بنى كلوان وقد كان افتتحها عمرو بن العاص وفيها مسجده الى هذه الغاية وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة وتقرب هذه الجزيرة الى جزيرة هيجان ومنها يستسقى ارباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه طير ثم الدردور المعروف بدردور مسدم وتكنيه البحريون بابى جهرة وهذه مواضع من البحر وجبال سود ذاهبة فى الهواء لا نبات عليها ولا حيوان تحيط بها مياه من البحر عظيمة قعرة وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس اذا أشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من الجواز عليها والدخول فى وسطها تخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسى عليه ما وصفنا من البحرين وفارس والبصرة وعمان الى رأس الجمجمة وما بين هذا الخليج وخليج القلزم أيلة والحجاز واليمن ويكون بين الخليجين من المسافة الف وخمسمائة ميل وهى داخلة من البر فى البحر والبحر يطيف بها من اكثر جهاتها على ما وصفنا فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن فى جزائره ومن قد أحاط به من الامم الكثيرة التى لا يعلم وصفهم ولا عددهم الا من خلقهم سبحانه وتعالى ولكل قطعة منه اسم يفردها من غيرها والماء واحد متصل غير منفصل وفى هذا البحر مغاصات الدر والياقوت وفيه العقيق والباديج وهو نوع من البجادى وانواع الياقوت والماس والسنباذج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة وحوله معادن جديد مما يلى بلاد كرمان ونحاس بأرض عمان وفيه انواع الطيب والافاويه والعنبر والساج والخشب المعروف بالرداسجى والقنا والخيزران وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه ادركناها وكل ماذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله وسائر ماذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشى ورياح ماوصفنا من قطعه التى تدعى كل واحدة منها بحرا كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر القلزم وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الرانج وبحر الصين فمختلفة فنها ماريحه من قعر البحر يظهر فيقله ويعظم موجه كالقدر تفور مما يلحقها من مواد حرارة النار ومنها ماريحه والبة فيه من قعره والنسيم ومنها مايكون مهبه من النسيم دون مايظهر من

قعره وماوصفناه مما يظهر من قعره من الرياح تنفسات من الارض تظهر الى قعره تظهر فى سخطه والله عز وجل أعلم بكيفية ذلك ولكل من يركب هذه البحار من الناس أرياح يعرفونها فى أوقات تكون فيها مهابها قدعلم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها إبان هيجانه واحوال ركوبه وثورانه والروم والمسافرون فى البحر الرومى سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتى بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب أوصافها وأخبارها ان شاء الله تعالى

ذكر تنازع الناس فى المد والجزر وجوامع مما قيل فى ذلك

والمد مضى الماء فى فيحته وسيحته وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف مامضى عليه فى هيجه وذلك كبحر الحبش الذى هو الصينى والهندى وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك أن البحار على ثلاثة أنواع منها مايتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بيناومنها مالا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها مالا يجزر ولا يمد كالبحار التى لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهى على ثلاثة أصناف فاولها مايقف الماء فيه زمانا فيغلظ وتقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة وينقص فى الصيف ويزيد فى الشتاء ويتبين فيه زيادة ماينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثانى الذى يبعد عن مدار القمر ومسافاته بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التى يكون الغالب على ارضها التخلخل لانه اذا كانت ارضها مخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلخل وأنشبت الرياح الكائنة فى أرضها او لا وغلبت الرياح عليها واكثر مايكون هذا فى ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس فى علة المد والجزر فنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه فينبسط وشبهوا ذلك بالنار اذا اسخنت مافى القدر وأغلته وان الماء يكون فيها على قدر النصف او الثلثين وكلما انبسط فى القدر ارتفع وتدافع حتى يفور فيتضاعف عن كيته فى الحس وينقص فى الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة ان تضمها وذلك ان قعور البحار تحمى فيتولد فى ارضها عذوبة وتستحيل وتحمى كما فى البلاليع والآبار فاذا حمى

ذلك الماء انبسط وزاد واذا زاد ارتفع فدفع كل جزء منه فطفا على سطحه وبان عن قعره فاحتاج الى اكثر من هديه وان القمر اذا امتلأ حمى الجو حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فسمى ذلك المد الشهرى وان هـذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع الشامية من الكواكب السامية اذا كانت المتحيرة فى القدر مثل الميل على تجاوزه واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعلة فيه من أوله الى آخره فى كل يوم وليلة وهى مع ذلك فى الموضع المقابل الحمى فقليل مايعرض فيه من الزيادة ويكون فى النهر الذى يعرف فيـه المد من اطرافه ومايصب اليـه من سائر المياه وقالت طائفة اخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار اذا اسخنت الماء الذى فى القدر وبسطته فيطلب اوسع منها فيفيض حتى اذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منها عمق الارض لطغيه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع مايغلى من الماء فى المرجل والقمقم اذا فاض وتتابعت اجزاء النار عليه بالحمى لكان فى الشمس اشد سخونة ولو كانت الشمس علة مده لكان يعدم مع بدء طلوع الشمس ويجزر مع غيبتها فزعم هؤلاء ان علة الجزر والمد فى الابحر تتولد من الابخرة التى تتولد من بطن الارض فانها لاتزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هـذا البحر لكثافتها فلاتزال كذلك حتى تنقص موادها من اسفل فاذا انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من اجل ذلك والمد ليلا ونهارا وشتاء وصيفا وفى غيبة القمر وفى طلوعه وكذلك فى غيبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المـد ولا ينقضى آخر المد حتى يبتدئ أول الجزر لانه لايتغير توالد تلك البخارات حتى اذا خرجت تولد غيرها مكانها وذلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان مايتصل منها من الارض بمائه وكلما غارت تولدت وكلما فاض نقصت وذهب آخرون من اهل الديانات ان كل مالم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فهو فعل الاله يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته فليس للمد والجزر علة فى الطبيعة البتة ولا قياس وقال آخرون ماهيجان البحر الا كهيجان بعض الطبائع فانك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما يهتاج الى طبيعته ثم يسكن قليلا حتى يعود وذهبت طائفة اخرى الى ابطال سائر ماوصفنا من القول وزعموا ان الهواء المطل على البحر يستحيل دائما فاذا استحال عظم ماء البحر وفاض عند ذلك واذا فاض البحر

فهو المد فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود الى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم مترادف متعاقب لان الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء قالوا وقد يجوز ان يكون ذلك عند امتلاء القمر اكثر لان القمر اذا امتلأ استحال الهواء اكثر مما كان يستحيل وانما القمر علة لكثرة المد لا للمد نفسه لانه قد يكون فى محاقه والمد والجزر فى بحر فارس يكونان على مطالع الفجر والاغلب من الاوقات وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر وهم ارباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون الى عمارة من الامم التى فى جزائره وحوله الى ان المد والجزر لا يكون فى معظم هذا البحر الا مرتين فى السنة مرة يمد فى شهور الصيف شرقا بالشمال ستة اشهر فاذا كان ذلك طغا الماء فى مشارق البحر والجسر بالصين وما وراء ذلك الصقع ومرة يمد فى شهور فى الشتاء غربا بالجنوب ستة اشهر فاذا كان الصيف طغا الماء فى مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت فى الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار فى جهة الجنوب فى الصيف لهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه فى جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس فى الجنوب وسال الهواء من الجنوب فى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فقلت المياه فى الجهة الجنوبية منه وينتقل ماء البحر فى هذين الميلين اعنى فى جهتى الشمال والجنوب فيسمى جزرا ومدا شتويا وذلك ان مد الجنوب جزره الشمال ومد الشمال جزره الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة فى احد الميلين زائدا اقوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التى ليس فيها الشمس (قال المسعودى) فهذا راى يعقوب بن اسحق الكندى واحمد بن الطيب السرخسى فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورايت مثل ذلك ببلاد كنباية من ارض الهند وهى المدينة التى تضاف اليها النعال الكنبانية الصرارة وفيها تعمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسرياره وكان دخولى اليها فى سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهزا صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من اهل الملل وهذه المدينة على خور من اخوار البحر وهو الخليج اعرض من النيل او دجلة او الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والنارجيل والطواويس والببغاء وغير

ذلك من انواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذى يأخذ منه هذا الخليج يومان واقل من ذلك فيحزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذى ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد اقبل المد من نهاية الجزر كالخيل فى الحلبة فربما احس الكلب بذلك فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذى لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوى وغليان عظيم يفزع منه اصحاب السفن وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مورق من ارض فارس والله اعلم

ذكر بحر الروم ووصف ما قيل فى طوله وابتدائه وانتهائه

اما بحر الروم وطرسوس وادرنة والمصيصة وانطاكية واللاذقية وطرابلس وصيداء وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من اصحاب الزيجات فى كتبهم منهم محمد بن جابر النسائى وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل واقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ومبدا هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اقيانوس واضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف بنيطاء وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة اميال وهذا الموضع هو المعبر لمن اراد العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين اعنى بحر الروم وبحر اقيانوس المنارة النحاس والحجارة التى بناها هرقل الجبار على اعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بايديها أن لا طريق ورائى لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحر الاتجرى فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدرى غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر اصل ماء البحار وله اخبار عجيبة قد اتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان فى اخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وبين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة فى طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجرى فى بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا

الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سبتة وهي وطنجة من ساحل واحد ويقابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفي هذا الخليج موج عظيم والماء من هناك يخرج من بحر اقيانوس ويصب الى البحر الرومي وفي هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه اهل المغرب واهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشأم والروم وجزيرة رودس في مقابلة الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقلية وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا الجبل البركان الذي تظهر منه النار فيها اجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندي وتلميذه احمد بن الطيب السرخسي في طول هذا البحر وعرضه غير ماذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التاليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية ﴾

فأما بحر نيطش فانه يمد من بلاد ملترقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف بيطنانس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة بولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من اهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه انواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله الى آخره والقسطنطينية في الجانب الغربي من هذا الخليج وهو متصل ببر رومية والاندلس وغيرها فيصب والله أعلم على قول المنجمين من اصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم في بحر البلغر والروس وهو بحر نيطش وسيأتي ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لايركبه والله اعلم

﴿ ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار ﴾

واما بحر الاعاجم الذى عليه دورها ومساكنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجبل وجرجان وطبرستان وعليه انواع من الترك وينتهى فى احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثير اما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر واكثره ويسمى عجز البحر وغايته الى ساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلى مدينة مكمنة الى قريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره وهو الخليج الذى عليه طنجة متصلة بساحل المغرب وبلاد أفريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى أن ينتهى الى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ماذكرنا لا تنقطع من هذا البر كله العمائر التى وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو من ميل وخلجانات اخر داخلة فى البر لامنفذ لها لجميع ماذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومى متصلو الديار غير منفصلين لا يقطعهم او يمنعهم الا ماذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومى ومثال ماذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اقيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة فساحل الاندلس شمال الكرنيب فصيصة الخليج والكرنيب على ضفة البحر الا انه ليس بمدور الشكل لما ذكرنا من طوله وليس تعرف التنانين فى البحر الحبشى

ولا فى شئ من خلجانه من حيث وصفنا فى نهاياته واكثرها يظهر مما يلى بحر اقيانوس وقد اختلف الناس فى التنين فنهم من راى انه ريح سوداء تكون فى قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الخلو فتلحق السحب كالزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت فى الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس انها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تتكون فى قعر البحر فتعظم وتؤذى دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لاتمر بمدينة الاأتت على مالا يقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أوجبل وربما تتنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها فى سد يأجوج ومأجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين فمنه يتغذى يأجوج ومأجوج وهذا القول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم فى التنين غير ماذكرنا وكذلك حكى قوم من اهل السير واصحاب القصص امورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذى صعد فى النيل فادرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها وهى دابة ينجر منها على الارض شبر من قوائمها تغادى قرن الشمس من مبدأ طلوعها إلى حال غروبها فعبر على ماوصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طلبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذى رآه فى ذهابه ووصف له كيف يفعل فى وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبرا بليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ومنها ماروى أن قبة من الذهب وأنواع الجوهر فى وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر يتحدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشحه فيقسم الى جهات أربع فى ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا مماس به ثم ينتهى الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثانى سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه فى أقصى بحر الصين فيفور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه ويطلب قعره فيكون الجزر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء فى مقدار النصف منه فيضع الانسان يده أورجله فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى ان الملك يضع ابهامه من كفه اليمنى فى البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون

الجزر وماذكرنا فغير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل فى حيز الممكن والجائز لان طريقه فى النقل طريق الافرادو الآحادولم يردمورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر في النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ماأوجب الله عز وجل علينامن أخبار الشريعة والعمل بهالقوله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وان لم يصح ماذكرنا فقدوصفنا آنفاماقال الناس فى ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب أناقد اجتهدنافيماأوردناه فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنافهم ماقاله الناس فى سائر ماذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعندأكثر الناس أنها أربعة فى المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشى ثم الرومى ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزرى ثم أقيانوس الذى لايعلم أكثرنهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل ببحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذى يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ماذكرناوالرومى بدؤه من بحر أقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس أن يكون ماوصفنا بحرا واحدا لاتصال مياهها وليست هذه المياه ولاشئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر فى بعض المواضع بينهما أوصار بين الماءين كالخليج وليست تسمية مااتسع منه وكثرماؤه بمانطش وماضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغى أن تجمعهما فى اسم مانطش أو نيطش فاذاعبرنا بعدهذا الموضع فى مبسوط هذا الكتاب فقلنامانطش أو نيطش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودى) وقد غلط قوم زعموا أن البحر الخزرى يتصل ببحر مانطش ولم أرفيمن دخل بلاد الخزرمن اتصل اليها ببحر من هذه البحار أو بشئ من مائها أو من خلجانها الامن نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا لجبل الفتح ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس فى المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون فى كتبهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدرى كيف ذلك ومن أين قالوه أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس وقدركبت فيه من أسكون وهو ساحل جرجان الى بلاد طبرستان وغيرها ولم أترك من شاهدت فى

البحار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب الا سألته عن ذلك وكل
يخبر أن لا طريق له اليها الا من بحر الخزر حيث دخلت منه مراكب الروس وتفر من
أهل أذربيجان والباب والابواب وبردعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان اليها
لانهم لم يعهدوا عدوا يطرأ عليهم ولا عرف ذلك فيما سلف وما ذكرنا فشهور فيما سمينا
من الامصار والامم والبلدان سالك مسلك الاستفاضة فيهم ورأيت فى بعض الكتب
المضافة للكندى وتلميذه وهو أحمد بن الطيب السرخسى صاحب المعتضد بالله
ان فى طرف البحيرة من الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطر الشمال وان بقربها مدينة
ليس بعدها عمارة ويقال لها تولية ولقد رأيت لبنى المنجم فى بعض رسائلهم ذكر هذه
البحيرة وقد ذكر أحمد بن الطيب فى رسالته فى البحار والمياه والجبال عن الكندى
أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وأنطاكية واللاذقية
والمنقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلمية إلى منار هرقل وان أعرض موضع فيه
أربعمائة ميل هذا قول الكندى وابن الطيب وقد أتينا على قول الفريقين جميعا
وما بينهما من الخلاف فى ذلك من أصحاب الزيجات وما وجدناه فى كتبهم وسمعناه من
أتباعهم ولم نذكر ماذكروه من البراهين المؤيدة لما وصفوا لاشتراطنا فى هذا
الكتاب على أنفسنا الاختصار والايجاز وأما ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل
اليونانيين والحكماء المتقدمين فى مبادىء كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه
فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا وقد ذكرنا قول كل فريق
منهم وعزونا كل قول من ذلك إلى قائله ولم نخل هذا الكتاب من ايراد لمع من قولهم
وذهبت طائفة منهم إلى أن البحر بقية من الرطوبة الاولى التى جفف أكثرها جوهر
النار وما بقى منها استحال لاحتراقه ومنهم من قال إن الرطوبة الاولى المجتمعة لما
احترقت بدوران الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقى إلى ملوحة ومرارة
ومنهم من رأى أن البحار عرق تعرقه الارض لما ينالها من احتراق الشمس لاتصال
دورها ومنهم من رأى أن البحر هو ما بقى مما صفته الارض من الرطوبة الثانية لغلظ
جسمها كما يعرض فى الماء العذب إذا امزج بالزيادة فانه إذا صفا من الزيادة وجد مالحا
بعد أن كان عذبا وذهب آخرون ان الماء عذبه ومالحه كانا ممتزجين فالشمس ترفع
لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل يعود
بالاستحالة ماء إذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من

ذكر أن الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما يناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن أهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها إذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مضاض من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة واللذان فى الماء من أجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن أجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دأبها وعادتها ثم يعود ذلك الماء ما لحا لان الارض اذن كانت تعطيه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع اللطيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الانديه سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى أعماق الارض حتى تصير إلى ذلك الهور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كمنجنون غرف من نهر وصب إلى حفرة تفيض إلى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة فى غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ماثقل منه وهو المالح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة إلى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول أمرا زائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود ما أكل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولا سيما ان صعدت مرتين وأسخنت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك ان الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك ان الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وانه إذا أخذ شئ من الشمع فعمل منه اناء ثم سدر أسه وصير فى ماء مالح وجد ذلك الماء الذى وصل إلى الاناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكلما يجرى فهو نهر وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودى) وقد تكلم الناس فى المياه وأشباهها وأكثروا وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين فى مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة فى

ملوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الامور على خلاف ماذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكيناعنهم المقادير والمساحة وان ذلك لاغاية له وفي مواضع منه شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة وهم النواتي وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوي المكنى بابي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبدالله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أنظر منه في البحر الرومي ولا آنس منه وليس فيه بركته من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد إلى قوله ويقر له بالنصر والحذق مع ماهو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وماسمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتها وماشاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم في علامات المياه ومستقرها من الارض الى أنه يرى في المواضع التي فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وأن ماعدا ذلك فعلى البعد ووجدت في كتاب الفلاحة ان من أراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحفر في الارض ثلاثة أذرع أو أربعة ثم يأخذ قدراً من نحاس أو سحاية خزف فيدهنها بالشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس تخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم أطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها في أسفل ذلك القدر الذي قد دهنته بدهن أو بشحم ثم ألقها في أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقاً والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب قدر ذراعين أو ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملزقا بالاناء من داخل قطراً كثيراً بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر مفترقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد

ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعداً بعضه من بعض والماء فى الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيراً ولا على الصوفة ماء فانه ليس فى ذلك الموضع ماء فلا تتعن فى حفره ووجدت فى بعض النسخ من كتب الفلاحة فى هذا المعنى أن من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشى فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشى لايكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثانى ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ماذكرنا فى كتابنا اخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب ماتدعوا الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من أخبار البحار وغيرها فلنقل فى أخبار ملوك الصين وغيرها وأهلها وغير ذلك مما لحق به ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور وأخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ﴾

قد تنازع الناس فى أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل ابن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابور وارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة فى الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا فى الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجبل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع الكريم واللان والخزر والانجار والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة فى ذلك الصقع والأرمن الى بلاد طوابريدة الى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويمم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك فى تلك البلاد وانتشروا فى تلك الديار فنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسية والصقر وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراعنة والشاش وأسبجار وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وافترد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادى فنهم الترك الخرج والطغرغر ومنهم أصحاب مدينة كوسان وهى مملكة بين خراسان وبلاد الصين وليس فى أجناس الترك وأنواعهم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم بأسا ولا اكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازحان ومذهبهم مذهب المانية وليس فى الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرسحانية واليدية والحقوبية وأشدهم بأسا الحقوبية

وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخولجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش مما يلي ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركي الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانة) ولخاقان الترك في وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمان وهي في مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فاثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بالوان الهند ولهم حضر وبواد وسكن فريق منهم ببلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ما قد بيناه وسمي أهل التبت ملكهم بخاقان تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى اقاصيه من بلاد الصين فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار وكوروا الكور ومصروا المدن واتخذوا لمملكتهم مدينة عظيمة وسموها انموا وبينها وبين ساحل البحر الحبشي وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم في هذه الديار وهي انموا (اسطرماس) بن فاعور بن بريخ بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثلثمائة سنة ونيفا وفرق أهله في تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الأشجار وأطعم الثمار وهلك فملك ولده يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب الاحمر جزعا عليه وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل يسجد لابيه وهو في جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته في طرفي النهار اجلالا له وعاش مائتي سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولده يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون في تمثال من الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بأنواع الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسواهم في جميع أمورهم وشملهم بالعدل فكثر النسل وأخصبت الارض فكان ملكه الى ان هلك نحوا من مائتي سنة ثم ملك بعده ولده (عيثيان) فجعل أباه في تمثال من الذهب الاحمر وجرى على ما سلف من أفعالهم في السجود والتعظيم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه فعاش أربعمائة سنة واتخذ في أيامه كثير من المهن مما لطف في الدور من الصنائع وملك بعده ولده (حرامان) فأحدث الفلك وحمل

فيها الرجال وحمل لطائف بلاد الصين وصيرها نحو بلاد السند والهند الى اقليم بابل والى سائر الممالك مما قرب منها وأبعد في البحر وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة الى الملوك وأمرهم ان يجلبوا اليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المآكل والمشارب والملابس وسائر الفرش وان يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة وشريعتها ونهجها التى هى عليه وان يرغبوا الناس فيما فى بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات فتفرقت المراكب في البلاد ووردوا الممالك لما أمر وابه فلم يردوا على أهل مملكة الا وأعجبوا بهم واستظرفوا ما أوردوه من أرضهم فبنت الملوك المطيفة بالبحار المراكب وجهزت نحوهم السفن وحملوا اليهم ماليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت له الامور فكان عمره نحوا من مائتى سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهراً ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله فى فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (ثومامان) واستقامت له الامور وأحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة في الاحسان مع الزيادة في العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس فى رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا ليبنى فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا بالنبات حسن الاعتام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها مخارج للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب فى أعلاها تلك التماثيل التى فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوى النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا فى الانفس والاعضاء ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقربا لمعبودهم منها إيماء لاركوع فيها ولاسجود في أوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود فى أوقات من السنين فى شهور محدودة ورسم لهم اعيادا وجعل على

الزناة منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستحسن النكاح فى وقت من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيداً وجنداً وما يكون من أولادهن اناثا فلامهاتهن ويلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير واحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه فى تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا سقفه سبعة ألوان من الجوهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب وأكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انمو وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر وأكثر من ذلك على حسب ماقدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحر ها يلى من رضهم مغرب الشمس يقال لها مدوتلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت وأهل المدسجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عبادتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل منهم ومن لا علم له يشرك الاصنام بالهية الخالق ويعتقدها جميعاً وان عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ماذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا أنهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم

متصل بذلك الطغرغر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم في الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى ان وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما في هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال والبله والمجانين وأن البارئ جل وعز غني عن ايلامهم وأراهم ان هناك ضداً شديداً دخل على الخير الفاضل في فعله وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمي لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ابرخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافي المذهب كان الامر بينهم بتنافي الملل مشاعا وملوك الصين ذوو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق في نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها في انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى أن يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج في ربيعة أو من ربيعة فلا يتزوج في مضر أو من كهلان فلا يتزوج في حمير أو من حمير فلا يتزوج من كهلان ويزعمون ان في ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه اصح للبقاء وأتم للعمر وأسبابا يذكرونها نحو ماذكرنا فلم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ماجرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة اربع وستين ومائتين فانه حدث في الملك أمر زال به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان نابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له (يامر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثرتهم عتوه وقويت شوكته وقطع أهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة خانفو وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة

ستة ايام أو سبعة يدخل هـذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها واتته جيوش الملك فهزمها واستباح مافيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من اهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتـل وغرق خوف السيف فكان مائتى ألف وانما أحصى ماذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لهـا فى دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منـه لدود القز الذى يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصينى وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشـه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه امم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حزران وهى دار الملك فتحصن بهـا فى مائتى ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وأمعن الخارجى فى طلبه فانحاز الملك الى مدينة فى أطراف أرضه واستولى الخارجى على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات فى سائر العمارات وافتتح المدن وعلم ان لا قوام له بالملك اذ كان ليس من أهله فامعن فى خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب ملك الصين من المدينـة التى انحاز اليها المتاخمة لبلاد التبت وهى مدينة مدا المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده وأعلمه ما نزل به وأعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن خاقان بولد له بنحو من أربعمائة الف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من أصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الاخص للملوك

الصين والذى يخاطبون به جميعاً (حجان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدونى لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضى ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك ولم يتوجه منه المسير إلى سائر اعماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال اليه فتاركهم مسالمالهم وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك وانقياد للعدل على حسب ما توجبه قضية العقل (وحكى) أن رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق فحمل من جهازه وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى أتى الى بلاد عمان وركب الى بلاد كلة وهى النصف من طريق الصين أو نحو ذلك واليها تنتهى مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين فى هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين فى مراكبهم وقد كانوا فى بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك ان مراكب الصين كانت تأتى بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة فلذلك كانت المراكب تختلف فى المواضع التى ذكرنا الى ماهناك ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان من أمر الصين ماوصفنا التقى الفريقان جميعا فى هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة فى مراكب الصينيين الى مدينة خانقو وهى مرسى المراكب على حسب ماذكرنا آنفا وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز والامتعة فسرح خصيا من خواص خدمه ممن يثق به فى أسبابه وذلك أن أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم فى الخراج وغيره من العمالات والمهمات وفيهم من يخصى ولده طالبا للرياسة واعتقاد النعمة فسار الخصى حتى أتى مدينة خانقو فاحضر التجار ومعهم التاجر الخراسانى فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له فسأل الخراسانى ان يحضر متاعه فأحضره وجرت بينهم محادثة ودار الامر بينهم فى التثمين للمتاع فامر الخصى بسحب الخراسانى واكراهه وذلك انه راده ثقة منه بعدل الملك فمضى الخراسانى من فوره حتى أتى الى مدينة انمو وهى دار الملك فوقف موقف المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع قد تقمص نوعا من الحرير الاحمر ووقف موضعا قد رسم للظلامة وقد رتب بعض الملوك ملوك

النواحى للقبض على من يردمن المتظلمين ويقف ذلك الموقف فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ففعل ذلك بالتاجر الخراسانى ووقف بين يدى صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لامر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كنت صادقا فيما تخبر والا فانا نقتلك ونردك قتيلا من حيث جئت وكان هذا خطابه لمن تظلم فان رآه قد جزع وضرع فى القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ماهو عليه حمل الى حضرة الملك وأوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراسانى فى المطالبة والظلامة فرآه محقا غير ضرع ولا متلجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان أدى الترجمان اليه ماقاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع وأحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فامرهم الملك ان يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة فى كل ناحية فكتبوا الى أصحابهم بخانقو ان يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ماقاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها فى سائر الطرق من أعمالها بغال البريد مسرجة محذوة الآلات للاخبار والخرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه سلبه ما كان أنعم به عليه ثم قال له عمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك واجتاز ملوكا فى بر وبحر فلم يتعرض له يؤمل الوصول الى مملكتى ثقة منه بعدلى ففعلت به مافعلت وكان ينصرف عن ملكى ويقبح الاحدوثة عن سيرتى أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك لكن أعاقبك بعقوبة ان عقلت فانها أكبر من القتل وهو ان أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة أن عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت وأحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اختير من متاعك بالثمن الجزيل والا فأنت المحكم فى مالك أقم اذا شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت وصرف الخادم إلى مقابر الملوك (قال المسعودى) ومن ظرائف أخبار ملوك الصين أن رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من أرباب البصيرة وأرباب النعم

بها وذوى الاحوال الحسنة ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند الى أن انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهى من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليه من جميع أموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبى العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له فى الوصول اليه ووصله بمال واسع وأعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبر انه لما وصل اليه ورأى ما هو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على أجل الممالك وأقفسها وأوسعها ريعا وأكثرها أموالا وأعقلها رجالا وأهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالى بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذى يملك العراق لانه فى وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا أحد من الملوك أسوس منا ولا أضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذى يلينا وهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لان أصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس فى الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشى وكيف لى برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان أره صاحبه فرأيت فى الدرج صور الانبياء فحركت شفتى بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم أنا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألنى فقلت أصلى على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من أمورهم هذا نوح عليه السلام فى السفينة بمن معه لما أمر الله عز وجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال أما نوح فصدقت فى تسميته وأما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا

ان كان خبركم صحيحا فعن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا
من الطوائف والامم لا نعرف ماذكرتم ولا نقل الينا أسلافنا ما وصفتم وماذكرت من
ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التي تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله
الامم ناقلة له قال القرشي فهبت الرد عليه واقامة الحجة لعلمي بدفعه ذلك ثم قلت وهذا
موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذى كان به وفساد قومه
عليه ثم قلت هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حمارة والحواريون معه فقال لقد كان
قليل مدته انما كان أمده يزيد على ثلاثين شهراً شيأ يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء
مما اقتصرت على ذكر بعضه ويزعم هذا القرشي وهو المعروف بابن وهبان أنه رأى
فوق كل صورة كتابة طويلة قدزيد فيها ذكر أسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير
أعمارهم وأسباب نبواتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على
جمل وأصحابه محدقون به في أرجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي أوساطهم الحبال
قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا
وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه أجل الممالك
الا أنه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على أمته من خلفائه
ورأيت صور أنبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعاً بين سبابته وابهامه كالحلقة
كانه يصف أن الخليقة في مقدار الحلقة ومنهم من قد أشار بسبابته نحو السماء كالمرهب
للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على
قدر ما أعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة
آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم
فضحك ضحكا كثيراً ووزيره أيضا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم
قال هذا فذللت فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له
ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل أما ما زعمت انكم تختلفون في ذلك
فانكم انما اختلفتم في قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب أن يختلف فيه بل هو مسلم
فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عني لطول المدة ثم قال لي لم
عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ومنسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعي
إلى سيراف ونزعت بي همتي إلى ملكك أيها الملك لما بلغني من استقامة ملكك وحسن
سيرتك وكثرة جنودك فاحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع

عنها الى بلادى وملك ابن عمى ومخبر بما شاهدت من جلالة هـذا الملك وسعة هذه البلاد وشيمك أيها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن واثنى بكل جميل فسره ذلك وأمر لى بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملى على البريد الى مدينة خانقو وكتب الى ملكها با كرامى وقدومى على من فى ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجى عنه فكنت فى أخصب عيش وأنعمه الى أن خرجت من بلاد الصين (قال المسعودى) وأخبرنى أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافى بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك فى سنة ثلاث وثلثمائة وأبو زيد هذا هو ابن عم بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافى وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز انه سأل ابن وهبان القرشى عن مدينة حمدان التى بها الملك وصفتها فذكر سعتها وكثرة أهلها وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه فى الشق الايمن منه مما يلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامة وليس فيه شئ من الاسواق بل انهار فى سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفى الشق الايسر مما يلى المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان وزرائه ووكلائهم ما بين راكب وراجل قد دخلوا الى السوق الذى فيه العامة والتجار فأخذوا ابضاعهم وحوائجهم ثم انصرفوا فلا يعود واحد منهم الى هـذا السوق الا فى اليوم الثانى وان هذه البلاد ان فيها كل نزهة وغيضة حسنة وأنهار مطردة الا النخل فانه معدوم عندهم وأهل الصين من أحذق خلق الله كفا بنقش وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الامم والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع فيأمر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك الى سنة فان لم يخرج أحد فيه عيبا أجاز صانعه وأدخله فى جملة صناعه وان أخرج أحد فيه عيبا اطرحه ولم يجزه وأن رجلا منهم صور سنبلة سقط عليها عصفور فى ثوب حرير فلم يشك الناظر الا أنها سنبلة سقط عليها عصفور فبقى الثوب مدة وأنه اجتاز به أحدب فعاب العمل فأدخل الى الملك وأحضر صاحب العمل فسأل الاحدب عن العيب فقال المتعارف عند الناس جميعا انه لا يقع عصفور على سنبلة الا أمالها وصور هذا المصور السنبلة فنصبها قائمة لا ميل فيها واثبت العصفور فوقها منتصب فاخطأ فصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل

هذه الاشياء ليضطرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم أخبار ظريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك فى كتابنا اخبار الزمان في الامم الماضية والممالك الداثرة وذكرنا فى الكتاب الاوسط جملا لم تتعرض لذكرها فى كتاب أخبار الزمان وذكرنا فى هذا الكتاب مالم يتقدم ذكره فى ذينك الكتابين والله أعلم

﴿ ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الأندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد انواعه ﴾

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة فلنذكر الآن فى هذا الباب جملا من أخبار ما اتصل بنا من البحر الحبشى والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من أنواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الأن هيجانها وركودها مختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر امواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة امواجه ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه فاول ماتبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفى ولا يزال فى كل يوم تكثر امواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد مايكون ذلك فى آخر الخريف عند كون الشمس فى القوس ثم يلين الى ان تعود الشمس الى السنبلة وآخر ما يكون ذلك فى آخر الربيع عند كون الشمس فى الجوزاء وبحر الهند لا يزال كذلك الى أن تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ ما يكون عند كون الشمس فى القوس وبحر فارس يركب فى سائر السنة من عمان الى سيراف وهو ستون ومائة فرسخ ومن سيراف الى البصرة وهو اربعون ومائة فرسخ ولا يتجاوز فى ركوبه غير ما ذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم البحر ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند فى انتهائه الا مركب معزز وحمولته يسيرة سيما المراكب التى بعمان فانها اذا قطعت الى أرض الهند تحتاج الى النباهة بذلك ببلاد الهند فى هذا

الوقت الذى تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر فى حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى أقاصى هذا البحر ومن شتى فى صيفنا بارض الهند قيل فلان شتى فى أرض الهند أى شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ فى بحر فارس وانما يكون فى أول نيسان الى آخر ايلول وماعدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص فى هذا البحر اذ كان ماعداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشى من بلاد خارك وقطن وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس فى تكونه ومن ذهب منهم الى أن ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى ان ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذى يسمى بالمحاور والمعروف بالبلبل واللحم فى الصدف والشحم وهو حيوان يفرغ مافيه من اللؤلؤ والدر خوفا من الغاصة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر كيفية الغوص وأن الغاصة لايكادون يتناولون شيأ الا السمك من اللحمان والتمر لاغيرهما من الاقوات ومايلحقهم وذكر شق أصول آذانهم لخروج النفس من هناك بدلا عن المنخرين يجعل عليهما شئ من الدفل أو من القرن يضمهما كالمشقاص لامن الخشب ومايجعل فى آذانهم من القطن فيه شئ من الدهن فيعصر من ذلك الدهن اليسير فى الماء فى قعره فيضئ لهم بذلك فى البحر ضياء بينا ومايطلون به أقدامهم وشفاههم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد وصياح الغاصة فى البحر كالكلاب وخرق الصوت والماء فيسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه أخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته واثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فاول هذا البحر ممايلى البصرة والابلة والبحرين من خشاب البصرة ثم بحر لاورى وعليه بلاد جمور وسربارة وثانيه وسندارو كسانه وغيرها من السند والهند ثم بحر هركيد ثم بحر كلاه مار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كوريج ثم بحر الصنف واليه يضاف العود الصنفى الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صيحو ليس بعده بحر فاول بحار فارس على ماذكرنا خشاب البصرة والموضع المعروف بالكفلاء وهى علامات منصوبة من خشب فى البحر مغروسة علامات للمراكب الى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ وعلى

ذلك ساحل فارس و بلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها مرون الى المسقط وهى قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله اربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتى وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدرى أين تنتهى غايته فى الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثانى وهو المعروف بلاوزى لا يدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحرين وربما يقطع فى الشهرين والثلاثة وفى الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس فى هذه البحار أعنى ما احتوى عليه البحر الحبشى أكبر من هذا البحر بحر لاورى ولا أشد وفى عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة ولغتهم بخلاف لغة العرب وذلك أنهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا هل لش فيما قلت لش وقلت لى ان تجعلى الذى معى فى الذى معش يريد هل لك فيما قلت لى وقلت لك ان تجعلى الذى معى فى الذى معك وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم وهم ذو فقر وفاقة ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية تشبه فى السرعة بالنجب البجاوية بل عند جماعة انها أسرع منها يسيرون عليها على ساحل بحرهم فاذا أحست هذه النجب بالعنبر وقد قذفه البحر بركت عليه قد ريضت لذلك واعتادته فيتناوله الراكب وأجود العنبر ما وقع فى هذه الناحية والى جزائر الزنج وساحله وهو المدور والازرق البارز كبيض النعام او دون ذلك ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالافال المقدم ذكره وذلك ان البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال واصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه فى القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه فما يخرج من بطنه يكون مسكا ويعرفه العطارون بالعراق وفارس والهند وما بقى على ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه فى بطن الحوت وبين البحر الثالث وهو مركيد والبحر الثانى وهو لاورى على ماذكرنا جزائر كثيرة وهى قرى بين هذين البحرين ويقال انها نحو من ألفى جزيرة وفى قول المحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس وملكة هذه الجزائر كلها امرأة

و بذلك جرت عادتهم فى قديم الزمان لا علكهم رجل والعنبر يوجد فى هـذه الجزائر
أيضا يقذفه البحر ويوجد فى بحرها كاكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرنى غير
واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من البحار ممن كان
يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت فى قعر هـذا البحر ويتكون كتكون أنواع
الفطر من الابيض والاسود والكمأة والمعاريد وبنات أوبر ونحوها فاذا هاج البحر
واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر متفقون
وكلمتهم واحدة لا يحصرهم العدلكثرتهم ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين
الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم شجر النارجيل
لا يتفقد من النخلة الا التمر وقد زعم أناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم
الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل وانما أثرت فيه تربة الهندحين غرس فيها فصار
نارجيلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب ما تؤثره
كل بقعة من بقاع الارض وهوائها فى حيوانها من الناطقين وغيرهم وما تؤثر البقاع
فى النامى من النبات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك فى وجوههم وصغر أعينهم
حتى أثر ذلك فى جمالهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وابيض وبرها وأرض
يأجوج ومأجوج فى صورهم وغير ذلك مما اذا تبينه ذوو المعرفة فى سكان الارض من
المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرنا وليس يوجد فى جزائر البحر ألطف صنعة من
هذه الجزائر فى سائر المهن والصنائع فى الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال
هذه الملكة الودع وذلك ان هذا الودع فيه نوع من الحيوان واذا قل مالها أمرت
أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخوصه ويطرحونه على وجه
الماء فيتراكب عليه ذلك الحيوان فيجمع ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس
ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فتملأ من ذلك بيوت الاموال وهذه
الجزائر تعرف جميعها بالديبجات ومنها يحمل اكثر الرانج وهو النارجيل وآخر هذه
الجزائر جزيرة سرنديب ويلى جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف فرسخ
تعرف بالرامنين معمورة وفيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد قيصور
واليها يضاف الكافور القيصورى والسنة التى تكون كثيرة الصواعق والبروق
والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا قل ذلك كان نقصانا فى وجوده
وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم

والخيزران والذهب وفيلتها كثيرة ومنها ماياً كل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالحابوس وهى أمم عجيبة الصور عراة يخرجون فى القوارب عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل فيتعاوضون بالحرير وشىء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لامراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر فى البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لى جماعة من النواخذة انهم ربما رأوا فى هذا البحر سحاباً أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علاه البحر وارتفعت منه زوابع عظيمة لا تمر زوبعة منها بشىء الا أتلفته ويعطرون عقيب ذلك مطرا اسهكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كلاهار على حسب ماذكرناو تفسير ذلك بحر كلة وهو بحر قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد خبثا وهو كثير الجزائر والصراوى واحدها صرو وذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الخليجين اذا كان طريقهم فيه الصرو وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة وانما غرضنا التلويح بلمع من الاخبار عنها لا البسط وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردع فانه كثير الجبال والجزائر وفيه الكافور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من الامم منهم جنس يقال له الفخت شعورهم مفلفلة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون فى قوارب لهم لطاف للمراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كلة جبال معادن الرصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب ورصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على مارتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر وملكه لا يضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد من الناس فى أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره فى سنين وقد حاز هذا الملك أنواع الافاويه والطيب وليس لاحد من الملوك ماله ومما يحمل من بلاده ويجهز من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلى بحر الصين وفى أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع التراس مطرقة يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الزق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل

تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها فى الجو تقذف بأشد ما يكون من صوت
الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما
يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول
العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض
الكبار وتليها الجزيرة التى يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات
والعيدان وسائر أنواع الملاهى المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق
ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع من أصوات الملاهى وغيره والبحريون ممن اجتاز
بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفى مملكة المهراج جزيرة سريرة
ومسافتها فى البحر نحو من أربعمائة فرسخ عمائر متصلة وبه جزيرة الرانج والرامى
وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه وهو صاحب (البحر السادس) وهو
بحر الصنف ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفا ويعرف ببحر صبحى
وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة فى البحر وانما نخبر
عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه فى خطابهم وفيه جبال كثيرة لابد للمراكب
من النفوذ بينها ثم إن ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه اشخاص سود
طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا
واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير صور فاذا
شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فمعافى
ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهد المعافى منهم فى أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب
فى بحر الصين وغيره فى البحر الحبشى الدولى وتسميه الرجال فى البحر الرومى الصارى)
شيأ على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ولا ادراكه
كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم
أن ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل
النجاة وما ذكر فلا تنا كرفيه عند أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا
البحر وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا فى مقدور البارى
جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفى هذا البحر نوع من
السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء
بسرعة حركة وصار على البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية وتدخل تلك الحجارة

فى اكحال العين وادويتها وأمره مستفيض أيضا ولبحر الصين أيضا وهو السابع المعروف بصبحى أخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من أخباره واخبار ما اتصل به من البحار فيما سمينامن كتبنا واسلفنامن تصنيفنافى هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يردمن هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملامن ذلك وليس بعد بلاد الصين ممايلى البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السلى وجزائرها ولم يصل اليهامن الغرباء أحدمن العراق ولا غيره فخرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأهلها مهادنون لاهل الصين وملوكها والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع وقد قيل انهم تشعبوا من ولد عابور وسكنوا هنالك على حسب ماذكرنامن سكنى أهل الصين فى بلادهم وللصين أنهار كبار مثل الدجلة والفرات تجرى من بلاد الترك والتبت والصغد وهى بين بخارى وسمرقند وهنالك جبال النوشادر فاذا كان فى الصيف رؤيت فى الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ بالنهار يظهر منها الدخان عليه شعاع الشمس وضوء النهار ومن هنالك يحمل النوشادر فاذا كان فى أول الشتاء من أراد من بلاد خراسان ان يسلك الى بلاد الصين صار الى ماهنالك . وهنالك وادبين تلك الجبال طوله أربعون ميلا أو خمسون فيأتى الى اناس هنالك على فم الوادى فيرغبهم فى الاجرة النفيسة فيحملون مامعه على اكتافهم وبايديهم العصى يضربون جنبيه خوفا أن يلج أو يقف فيموت من كرب الوادى وهوله حتى يخرجوا الى ذلك الرأس من الوادى وهنالك غابات ومستنقعات للماء فيطرحون أنفسهم فى ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك الطريق شئ من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا فى الصيف فلا يسلك ذلك الوادى داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع فى ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادى والبهائم لاصبر لها على ماذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب مافعل بالماضى والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذى ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفى غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا ان ذلك فى خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جميلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين

بلاد خراسان والسند مما يلي بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى ان تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس في أنسابهم فنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى في نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب عليهم حمير وفيهم بعض التبابعة على حسب ماذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب وذلك موجود في أخبار التبابعة ولهم حضر وبدو وبواديهم ترك لاتدرك كثرة ولا يقاومهم أحد من بوادي الاتراك وهم معظمون في سائر أجناس الترك لان الملك كان منهم في قديم الزمان وعند سائر أجناس الترك ان الملك سيعود اليهم ويرجع فيهم ولبلاد التبت خواص عجيبة في هوائها وسهلها ومائها وجبلها ولا يزال الانسان أبداً بها ضاحكا فرحا مسرورا لا تعرض له الاحزان ولا الغموم ولا الافكار ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وهوائها وأنهارها وهي بلاد تقوى فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ولا يكاد يرى في هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز بل الطرب في الشيوخ والكهول والشباب والاحداث عام وفي أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع ايقاع الرقص حتى ان الميت اذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أو فوت مطلوب ولهم تحنن كثير من بعضهم على بعض والتبسم فيهم عام وكذلك يظهر في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى بمن ثبت فيها ورتب من رجال حمير فقيل ثبت لثبوتهم فيها وقيل لمعان غير ذلك والاشهر ماوصفنا وقد افتخر دعبل بن على الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند * وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب اخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم تبعا لاتباع اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر

ضرب ضرباته فتغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الامم فسموا ملوكهم بخاقان وفي بلادهم الارض التى بها ظباء المسك التبتى الذي يفضل على الصيني بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ماذكرنا من أنواع حشائش الطيب التى ترعاه التبتية والجهة الاخرى أن أهل التبت لايتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ماهو به وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقه الغش بالدم وغيره من أنواع الغش وان الصيني أيضا يقطع به ماوصفنا من مسافة البحار وكثرة الانداء واختلاف الاهوية وان عدم من أهل الصين الغش في مسكهم وأودع برانى الزجاج وأحكم وأورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتى وأجود المسك واطيبه ماخرج من الظباء بعد بلوغه النهاية في النضج وذلك أنه لافرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك في الصورة والشكل واللون والقرن وانما تتبين تلك بانياب لها كأنياب الفيلة لكل ظبي نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان نحو الشبر وأقل وأكثر فتنصب لها في بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم في سررها خام لم ينضج وطرى لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها في شجرها واستحكام موادها فيه وخير المسك مانضج في وعائه وأدرك في سره واستحكم في حيوانه وتمام مواده في ذلك ان الطبيعة تدفع مواد الدم الى السر فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج مافيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ مافي نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم ويجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وأنضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم فذلك

الذى تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار فى النادر من بلادهم والتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر فى الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأثبتهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته فى العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكابر أن الحكمة من الهند بدؤها ثم يتلوه فى المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة وإتقان الصنعة وليس فى ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلو ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك و يدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس فى ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استئسادا منه على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته فرزبين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم أبرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى ملكه الا أنه ليس فيهامن يدانى ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس فى ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية باخبار العالم وملوكهم فى شعر له يصف جملا من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم

الدار داران ايوان وغمدان * والملك ملكان ساسان وقحطان
والارض فارس والاقليم بابل والا سلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العليان اللذا حسنا * منها بخارى وبلخ الشاهداران
والبيلقان وطبرستان مادرها * والصين مرو انهاوالجيل جيلان
قد رتب الناس فيها فى مراتبهم * فرزبان وبطريق وطرخان
للفرس كسرى وللروم القياصر والحبش النجاشى والاتراك خاقان

وصاحب صقلية وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لزريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم

كانوا من الاسنان وهم أمة من ولد يافث بن نوح واتصلت هنالك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين أن لزريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لزريق الذى كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى ناحة يخرج من بلاد الجلالقة والوسكيد وهى أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ويصب هذا النهر فى البحر الرومى وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهى من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سنجة من الثغر الجزرى مما يلى سميساط من بلاد سرحه ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها أسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبنى أمية قد كانوا اعصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للأمويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثيراً من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن بن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس فى سنة تسع وثلاثين ومائة فلكها ثلاثا وثلاثين سنة واربعة أشهر ثم هلك فلكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم على ماذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت فتاه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة أسوار من عجيب

البنيان قداحكمتها الملوك السالفة بين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء وممن عرف أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للجلالقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى الافرنجة مدينة أربونة خرجت عن أيدى المسلمين من مدائن الاندلس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذاً فى الشمال أفراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم بلغنى عن هذه الثغور أنها تلاقى الافرنجة وهى أضيق مواضع الاندلس وقد كان قبل الثلاثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب فى البحر الرومى فيما بين جزيرة أقريطش الواح المراكب الساج المنقبة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الامواج فى مياه البحار وهذا لا يكون الا فى البحر الحبشى لان مراكب البحر الرومى والغربى كلها بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء البحر يذيب الحديد فتدق المسامير فى الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة فهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وان البحر مما يلى الصين وبلاد السلى يدور على بلاد الترك ويفضى الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر وهذا من المستنكر فى البحر الرومى الذى لم يعهد فيه فى قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من ألواح مراكب البحر الصينى والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصى أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وأن أرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض

السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض كلها مسيرة خمسمائة سنة ثلث عمران مسكون مأهول وثلث برارى غير مسكون وثلث بحار وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولد إدريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهى بلاد تنيس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفى ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عمائر متصلة الى أن تتصل بوادى الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التى فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التى سار اليها موسى بن نصير فى أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها مارأى من العجائب وقد ذكر ذلك فى كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك فى مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهى الارض الكبيرة وقد كان ميمون بن عبد الرحمن بن رستم الفارسى وهو أباضى المذهب وهو الذى أنشأ فى ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس فى الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفى هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة بدعية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلى الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمى وتولية المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد أفريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره فى أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد أفريقية وغيرها الى ان انتهى الامر الى ابى منصور زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن محمد بن الاغلب بن سالم بن سوادة فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفى الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين فى أيام المقتدر ومسيره الى الرافقة والرقة وكان هذا المحتسب من مدينة رامهرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداخ ملك الحيرة من بنى نصير

النعمانية والمناذرة ملك جبال طبرستان كان يدعى فارن والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت ملك الهند البلهزا ملك القنوج من ملوك السند فوروة وهو اسم بلد باسم ملوكهم وقد صارت اليوم في حيز الاسلام وهي من اعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التي اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) الذي زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفوروة هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهزا ملك القندهار من ملوك السند وجبالها ويدعى ججح وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (بزايد) وهو أحد الانهار الخمسة التي منها مهران السند والقندهار بيلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل) ويجتاز بيلاد الدهبوط وهي بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم الهند مما يلي بلاد بسيط وعرس ونفس والرخج وبلاد الدوار مما يلي بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير وملك قشمير يعرف بالراني هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وقشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين ألفا الى سبعين ألفا لا سبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ماذكرناه من ملكه باب واحد لان ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها الا الطير وما الا جبل فيه فأودية وعرة وأشجار وغياض وانهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان وماذكرنا من منعة ذلك البلد فشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فاما ملك فوروة وهو ملك القنوج فان مسافة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل وهو الملك الذي قدمنا في ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الاربع كل جيش منها سبعمائة ألف وقيل تسعمائة ألف وقيل تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين ويحارب بجيش الجنوب البلهزا ملك المانكير وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك ويقال ان ملكه يحيط في مقدار ماذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر وجبال ومروج وهو قليل الفيلة من بين الملوك ورسمه الفافيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل

إذا كان فارها ممارساشجاعا وكان راكبه فارسا وفى خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تحافيف قد أحاطت سائر جسده من الفرق والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأدناها اذا كان معه خمسمائة رجل كر فى خمسة آلاف فارس ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم فيلتها فى سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤى بن غالب وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعد وفيه على ماذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصى بلادهم بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القمارى الخالص الذى يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر فى الشمع وغير ذلك من العجائب التى تحمل اليه واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فترحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولى الى بلاد المولتان بعد الثلاثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه بن أسد القرشى وكذلك كان دخولى الى بلاد المنصورة فى هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره

زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيداً من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم من ولد عمر بن على وولد محمد بن على وبين ملوك المنصورة وبين أبى الشوارب القاضى قرابة ووصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك فيهم فى وقتنا هذا من ولد هبار بن الاسود ويعرفون ببنى عمر بن عبد العزيز القرشى وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموى فاذا اجتاز جميع ماذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة فى الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الروذ من غربيها وهى من أعمال المنصورة سمى ما هنالك مهران ثم ينقسم قسمين وينصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند فى مدينة شاكرة من أعمال المنصورة فى البحر الهندى وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من المولتان الى المنصورة خمسة وسبعون فرسخا سندية

على ماذكرنا والفرسخ ثمانية أميال وجميع ماللمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم المسند وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك المولتان من ثغور السند وما أضيف اليها من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بنى أمية ولملك المنصورة فيلة حربية وهى ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ماذكرنا خمسمائة راجل وأنه يحارب ألوفا من الخيل على ماذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كان عليه من البأس والنجدة والاقدام على قتل الجيوش كان اسم أحدهما (منعر فلس) والآخر (حيدرة) ولمنعر فلس هذا اخبار عجيبة وأفعال حسنة وهى مشهورة فى تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب يبدى الحنين ويظهر الانين كالرجل الحزين ودموعه تجرى من عينيه لا تنقطع (ومنها) انه خرج ذات يوم من حائزة وهى دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقى الثمانين تبع لهما فانتهى منعر فلس فى سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة ففاجأ فى مسيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشفت عنها أطمارها فى وسط الطريق فلما رأى ذلك منعر فلس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجنبه الايمن من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها مابدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد اليها روحها فاستقام الفيل فى طريقه واتبعه الفيلة وللفيلة أخبار عجيبة الحربية منها والعمالة لان منها مالا يحارب فيجر العجل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل فى دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر فى البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها فى بلادها وليس فى سائر الممالك أكثر منها فى بلاد الزنج وهى وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلى الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهى دار مملكة البلهرا أكثرها مضافة الى الصقع وهى كبيرة ولغة ساحله مثل صيمور وسوماره ومايه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروى وبلدهم مضافة الى البحر الذى هم عليه وهو لاروى وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهار عظيمة تجرى من الجنوب بالضد من أنهار العالم وليس فى انهار العالم مايجرى من الجنوب الى الشمال

الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجرى من
الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة فى ذلك وما قاله الناس فى هذا المعنى فى كتابنا
أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس فى ملوك السند والهند
من يعز المسلمين فى ملكه الا البلهرا فالاسلام فى ملكه عزيز مصون ولهم مساجد
مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين
سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون انه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام
المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم وله دراهم ظاطرية
وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف سكته بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لا تحصى كثرة
وتدعى بلاده أيضا بلاد السكنكر ويحاربهم ملك الخزر من احدى جهات مملكته وهو
ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الا صاحب
اقليم بابل وهو الاقليم الرابع وذلك أن هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك
وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الفيلة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه
معادن الذهب والفضة ومبايعاتهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطافى موادع لمن حوله
من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك
وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات
الخلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل البحر يتنافسون فى شرائهن يعرفن
بالطافيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة لملوكهم وهو الاعم من اسمائهم
ويقاتلهم ملك الخزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى يحارب البلهرا أيضا من احدى
جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن
ملك الطافى واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه
الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول فى
كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره من عشرة آلاف الى
خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا
أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمى تعاملهم بالودع
وهو مال البلد وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست لغيره رقة ودقة
ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذى تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة
يقوم بها الخدم على رءوس الملوك فى مجالسها وفى بلده الحيوان المعروف بالنسيان ٢

المعلم وهو الذى تسميه العوام الكركدن وله فى مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل فى الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد ماهو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس فى أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل فى قوائمه ولا يبرك فى نيام انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من فى بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بأرض السند والهند كثيرة وهذا النوع من النسيان يكون فى أكثر غابات الهند الا أنه فى مملكة رهمى أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفى وسطه صورة سوداء فى ذلك البياض اما صورة انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته فى نفسه أو صورة نوع من الحيوان مما يوجد فى تلك الديار فينشر هذا القرن وتتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحلية من الذهب والفضة فتلبسها ملوك الصين وخواصها تتنافس فى لبسها وتبالغ فى أثمانها فتبلغ المنطقة الى دينار الى أربعة آلاف فيها معاليق الذهب وذلك فى نهاية الحسن والاتقان وربما تقمع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب ووجوه تلك الصور مكتتبة بسواد فى بياض وربما يوجد فى قرونه بياض فى سواد وليس فى كل بلد يوجد فى قرون النسيان ماذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل فى بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه فى بطنها وهذا القول أورده فى كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثنى هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار فكل يتعجب من قوله اذا أخبرته بما عندى من هذا وسألته عنه ويخبرونى ان حمله وفصاله كالبقر والجواميس ولست أدرى كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقلها أو مخبر اخبره بها ولرهمى فى ملكه بر وبحر ويلى ملكه ملك آخر يقال له ملك الكاسين وأهل مملكته بيض مخرومو الآذان لهم فيلة وابل وخيول وحسن وجمال للرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك الافرنج ٢ وله بر وبحر وهو على لسان من البر فى البحر يقع له عنبر كثير وفى بلده فلفل يسير وهو ذو فيلة كثيرة وهو ذو بأس بين الملوك وزهو ونخر ونخره أكثر من بأسه ثم يلى هذا الملك ملك الموجه أهله بيض ذو حسن وجمال غير مخرمى الآذان لهم خيل كثيرة وعدد منيعة والمسك فى بلادهم كثير على ماقدمنا من غزلانهم ووصف ظبائهم فيما سلف

من هذا الكتاب وهذه الامة تشبه بأهل الصين فى لباسهم و بلادهم منيعة شواهق بيض لايعلم بأرض السند والهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جبال أطول منها ولا أمنع ومسكهم موصوف مضاف الى بلادهم يتعارفه البحريون ممن عنى بحمل ذلك وتجهيزه وهو المسك المعروف بالموجهى ثم يلى ملك الموجه مملكة المابد ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان فى عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ماوصفنا من أخبارهم والمابد مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمابد ناس عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المابد مملكة الصين وكل ملك الصين بهم ولم يتركهم ينتشرون فى بلادهم خوفا أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم لكبر المابد فى نفوسهم ولمن ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لايرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون فى اظهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم أن حبسها داء يؤذى وأن ارسالها شفاء ينجى وأن فى ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وأن فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا المخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء وان صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا المخبر على صحة ماحكاه عن الهند باستفاضة القول فى ذلك فى كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك عنهم فى السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ماذكر فى الارجوزة المعروفة بذات الحيل وهى

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى * مقالة يفلح فيها عندى
لاتحبس الضرطة اما حضرت * وخلها وافتح لها مااستفتحت
فان أدوا الداء فى امساكها * والروح والراحة فى اخراجها
والقبح فى السعال والمخاط * والشؤم فى السعال لا الضراط
اما الجشاء ففساء صاعد * ونتنه على الفساء زائد

وان الريح واحدة فى الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب

الصعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة واللطمة الا ان اللطمة فى الوجه والصفعة فى مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق انما كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض بحبس الداء فى جوفه وتركه اظهاره فى حال هيجانه وتفرغ الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما بعد عما ذكرنا من الآفات والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويثور من الادواء فى أجوافها وعدم احتباسها فى وعائها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورس وسقراط وروحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يروا حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته ويؤول اليه من متعقباته وان ذلك يجده فى نفسه كل ذى حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك فى عاداتهم (قال المسعودى) وقد أتينا على أخبارهم وما أحكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قمار وماجرى للملك قمار مع المهراج وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندرى وهى بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الرانج وغيرها وكل ملك تملك بلاد مندرى يسمى القابدى وسنأتى بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين والمغرب وأنواع الاحابش والسودان وملوك الصين ولديافث وغير ذلك من أخبار العالم وعجائب الامم

﴿ ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم ﴾

اما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفى هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من

جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا فى أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهى ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذى جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من انواع الكفار وجبل الفتح يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا نحوا من شهرين بل وأكثر وحوله أمم لا يحصيهم الا الخالق عز وجل أحد شعابه يلى بحر الخزر مما يلى الباب. والابواب على ماذكرنا ومن شعابه مايلى بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذى ينتهى اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهى مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق فى السنة يأتى اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور فى البر والبحر والجبل أسكن هناك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل امة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان فمن رتب أنوشروان من الملوك فى بعض هذه البقاع والمواضع مما يلى الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل ملك يلى هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رسمها له انوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور لا خلف فى نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور وكذلك صاحب خراسان فى هذا الوقت المؤرخ من ولد اسماعيل ابن أحمد واسماعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيما ذكرنا من شهرة أنساب من ذكرنا وقد تملك محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك بن هشام وكان رجلا من الانصار وكان قيد بامرة الباب والابواب وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة اخرى من جبل الفتح يقال لها الاران وملكها يدعى الاران شاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى

مملكة أخرى يقال لها مملكة الموقانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لا تحصى كثرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار ظريفة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب ولجاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره وأحجاره وغلب هذا الرجل المعروف بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنوشروان لغيره ممن رتب هنالك فاضافها محمد بن يزيد الى ملكه منها خراسان شاه وزادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الاران هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلى مملكة شروان فى جبل الفتح مملكة طبرستان وملكها فى هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذى كان أمير الباب وهى أول الامم المتصلة بالباب والابواب وبيادى أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة فى جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهى اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت فى بدء الزمان افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلى رضى الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التى يسكنها ملك الخزر فى هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالى بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب فى بحر مانطش وهذه المدينة جانبان وفى وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك فى سط هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفى هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فاما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر فى خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان فى ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم وهو أرميوس ملك الروم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه فى ملكه فى هذا الوقت المؤرخ فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرضه على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من فى بلاده من

الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم فى أحد جانبى هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودواب ميتهم وآلاته والحلى واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهى فى الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ماذكرنا آنفا الا أن الهند ليس من شأنها ان تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة والغالب فى هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم يعرفون فى هذا البلد باللارشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو بأس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه وأقاموا فى بلده على شروط بينهم أحدها إظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم باحكام الجاهلية وهى قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ما توجبه شريعة الاسلام وليس فى ملوك الشرق فى هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسماء هؤلاء القوم اللارشية والروس والصقالبة الذين ذكرنا انهم جاهلية من جند الملك وعبيده وفى بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارشية فى طرف بلده لعدله وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد أخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودى) وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان وذلك ان للخزر ملكا يقال له خاقان رسمه أن يكون فى يدى ملك آخر هو وغيره فخاقان فى جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه

حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا بخاقان يكون عنده فى دار مملكته ومعه فى حيزه فاذا أجدبت أرض الخزر أو نابت بلدهم نائبة أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أو فاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا به فاقتله أو سلمه الينا نقتله فربما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له فدافع عنه لا ن قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب اتاه هذا رسم الخزر فى هذا الوقت فلست أدرى فى قديم الزمان كان ذلك أم حدث وانما ينسب خاقان هذا الأهل بيت وأعيانهم أرى ان الملك كان فيهم قديما والله أعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار فى نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من أعاليها يقال له برطاس عليه امم من الترك حاضرة داخلة فى جملة ممالك الخزر وعمائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس أمة من الترك على ماذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك من السود والحمر أخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو أغلى عندهم من السمور والعبك وماشاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتعذر فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود وفى أعالى نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر اقريطش وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم وهو على ساحل من سواحلهم وهى أمة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى مدينة بحر البلغر والروس فى أرضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذى بجبل مهجير من أرض خراسان ومدينة البلغر على ساحل بحر مانطش وأرى أنهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من أرض خراسان ومن خوارزم اليهم الا أن ذلك بين بوادى غيرهم من الترك والقوافل مخفرة منهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه المقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية فى نحو ألف فارس فصاعدا فشن الغارات حولها الى بلاد رومية

والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر
من البحر الرومى لامنفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد حرفيد به وأتاهم فى البحر جماعة
من البلغر ينجدونهم وأخبروهم أن ملكهم بالقرب وهذا يدل على ماوصفنا أن البلغر
تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا فى مراكب الترسوسيين
فأتوا بهم الى بلاد ترسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد اليها من جاورها
من الامم والفارس ممن قد أسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من
الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم فى هذا الوقت الا سورها وكذلك من فى هذا
الصقع لا يعتصم منهم الا بالحصون والجدران والليل فى بلاد البلغر فى نهاية من القصر
فى بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع ان يفرغ من طبخ قدره حتى يأتى
الصباح وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك الوجه من الفلك وعلة الموضع الذى يكون
الليل فيه ستة اشهر لا نهار فيه والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدى
وقد ذكر أصحاب الزيجات فى النجوم علة ذلك من الوجه الفلكى والروس أمم كثيرة
وانواع شتى ومنهم من يقال لهم المودعانة وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد
الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلاثمائة ورد بهم نحو من
خمسمائة مركب فى كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج فيطش المتصل بنهر الخزر
وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية يصدون من يرد من ذلك البحر ومن
يرد من ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر تتصل بنهر فيطش وذلك أن بوادئ
الغزاة ترد الى ذلك أكثر وتشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى
خليج نيطش فتعبر الغزاة عليه بخيولها وهو ماء عظيم ينخسف من تحتهم لشدة
استحجاره فتغير على بلاد الخزر وربما يخرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من
رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك
الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا
ملك الخزر على ان يجتازوا البلاد وينحدروا فى نهره فيدخلوا بحر الخزر الذى هو
بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ماذكرنا ويجعلوا لملك الخزر
النصف مما يغنمون ممن هناك من الامم على ذلك البحر فاباحهم ذلك فدخلوا الخليج
واتصلوا بمصب النهر فيه وساروا مصعدين فى تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى
نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب

الروس فى هذا البحر وطرحت سراياها الى الجبل والديلم و بلاد طبرستان وآبسكون وهى بلاد ساحل جرجان و بلاد النفاطة ونحو بلاد أذربيجان وذلك ان من مدينة أردشير من بلاد أذربيجان الى هذا البحر نحو من ثلاثة أيام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات وأخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون فى قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجيل والديلم وساحل جرجان ونفر اهل موذعة وأران والسفلان وأذربيجان مع قائد لابن أبى الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوى وكانت الروس تأوى عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ على بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا فى القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألف وأقام الروس شهورا كثيرة فى البحر على ما وصفنا لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس مهتابون لهم حذرون منهم لانهم بحر غامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه الاموال والغنائم وملك الخزر بلا مراكب وليس لهم بها عادة ولو لا ذلك لكان على المسلمين منهم امة عظيمة وعلمت الارسية ومن فى بلاد الخزر من المسلمين فقالوا الملك الخزر خلنا وهؤلاء القوم فقد أغاروا على بلاد المسلمين وسفكوا الدماء وسبوا النساء والذرارى فلم يمكن الملك منعهم و بعث الى الروس فاعلمهم بما قد عزم عليه المسلمون من حربهم وعسكروا وخرجوا يطلبونهم منحدرين مع الماء فلما وقعت العين على العين خرجت الروس عن مراكبها وصافوا المسلمين وكان مع المسلمين خلق من النصارى من المقيمين بمدينة آمل وكان المسلمون فى نحو خمسة عشر ألفا بالخيل والعدد فاقام الحرب بينهم ثلاثة أيام و نصر الله المسلمين عليهم وأخذهم السيف فمن قتيل وغريق ونجا منهم نحو خمسة آلاف وركبوا فى المراكب الى ذلك الجانب مما يلى بلاد برطاس وتركوا مراكبهم وتعلقوا بالبر فمنهم من قتله أهل برطاس ومنهم من وقع الى بلاد البلغر المسلمين فقتلوهم وكان من وقع عليه الاحصاء ممن قتله المسلمون على شاطئ نهر الخزر نحو امن ثلاثين ألفا ولم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذه القصة دفعا لقول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر

مافطش وخليج القسطنطينية ولو كان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية من
جهة بحر مانطش أو نيطش لكانت الروس قد خرجت فيه اذ كان ذلك بحرها على
ماذكرنا ولا خلاف بين من ذكرنا ممن جاور هذا البحر من الامم فى أن بحر الاعاجم
لا خليج له متصل بغيره من البحار لانه بحر صغير يحاط بعلمه وماذكرنا من مراكب
الروس مستفاض فى تلك البلاد عند سائر الامم والسنة معروفة وكانت بعد الثلثمائة وقد
غاب عنى تاريخها ولعل من ذكر أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية يريد ان بحر
الخزر هو بحر مانطش ونيطش الذى هو بحر البلغر والروس والله أعلم بكيفية ذلك
وساحل طبرستان على هذا البحر وهنالك مدينة يقال لها الهمرجى مرسى للساحل
وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار وعلى ساحل جرجان مما يلى هذا البحر مدينة
يقال لها آبسكون على نحو من ثلاثة أيام من جرجان وعلى هذا البحر الجيل والديلم
وتختلف المراكب بالتجارات فيه الى مدينة آمل فيدخل فى نهر الخزر اليها وتختلف
المراكب فيه بالتجارات مع المواضع التى سميناها من ساحله الى باكوى وهى معدن
النفط الابيض وغيره وليس فى الدنيا والله أعلم نفط أبيض الا فى هذا الموضع وهى
على ساحل مملكة شروان وفى هذه النفاطة أطمة وهى عين من عيون النار لا تهدأ على
سائر الأوقات تتضرم الصعداء ويقابل هذا الساحل فى البحر جزائر منها جزيرة على
نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر فى أوقات من فصول السنة فيظهر
منها نار تذهب فى الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية تضىء الاكثر من هذا
البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الاطمة تشبه أطمة جبل البركان
من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد افريقية من أرض المغرب وليس فى آطام
الارض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا أكثر تلهبا من الاطمة التى فى أعمال المهراج
وبعدها أطمة وادى برهوت وهى نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر وذلك
من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا
يهوى الى قعرها وحولها والجمر الذى يظهر منها حجارة وقد احمرت مما قد أحالها من
سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران فى الارض وما سبب موادها
فى كتابنا أخبار الزمان وفى هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها
نوع من البزاة البيض أسرع اجابة وأقلها معاشرة الا أن فى هذا النوع من البزاة شيأ من
الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها

الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأقبلها أجساما واجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السمو فى الجو وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ماليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وان اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وماوالاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أقفس فراخها من الوعاء الى الفضاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فأنزلت دواب تسكن هناك فتغذيها فى أوكارها من تلك الدواب أطرأها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأ وساكن وعن بليناس انه قال واجب اذا كان لهذين الاسطقصين يعنى الارض والماء خلق وساكن أن يكون للاسطقصين يعنى الهواء والنار خلق وساكن ووجدت فى بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده باز أبيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب فى الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيأ فهوى به يشبه الحية والسمكة وله ريش كاجنحة السمك فامر الرشيد فوضع فى طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم هل تعلمون للهواء سا كنا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله ابن عباس أن الهواء معمور بامم مختلفة الخلق سكان أقربها منا دواب بيض فى الهواء تفرخ فيه يرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ فى هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بارمينية فاخرج الطست اليهم فاراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرنى غير واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا فى الجو حيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنها ربما تقع على الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها فى الليل وحركتها فى الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يقول من لا علم له وغيره من النسوان هذا صوت ساحرة تطير ذات أجنحة من قصب وللناس كلام كثير فيما ذكروا استدلالهم على هذا انما هو بما يحدث فى اسطقص الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القصة ان يحدث ذلك بين الاسطقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودى) وقد وصفت الحكماء

والملوك البزاة وأغربت فى الوصف وأطنبت فى المدح فقال خاقان ملك الترك البازى سجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازى رقيق يحسن الاشارة لايؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازى ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك من البازى نزعه فى المطالب والرزق فى السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لسرعته ألا ترى الى الفهود لاتزداد فى غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازى لقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا تؤتى الجوارح الامن قصر القوادم ألا ترى الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسيخاس البازى طير عارى الحجاب ومايفوته فى كسوره يزيد فى أخمصه ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير فى الجزء الذى فيه من الحرارة التى ليست فى شئ منها ووجدنا صدورها منسوجة بالعصب لالحم عليها وقال جالينوس مؤيدا لما ذهب اليه أرسيخاس ان البازى لايتخذ وكرا الا فى شجرة لفاء مشتبكة بالشوك مختلفة الحجون بين شجر عسى طلبا للكن ودفعا لالم الحر والبرد فاذا أراد ان يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مطر ولا ثلج اشفاقا على نفسه وفراخه من البرد وذكر الادهم بن محرز ان أول من لعب بالصقور الحرث بن معاوية بن ثور بن كندى وهو ابن كندة وانه وقف يوما يقانص وقد نصب حبالة للعصافير فانقض أكدر على عصفور منها قد علق فعلقه الاكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الاجدل فحمل العصفور وقد علق فعجل الملك فاتى به وهو يأكل العصفور فرمى به فى كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى لحما نهض الى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فطعم على اليد وكانوا يتباهون بحمله اذ رأى يوما حمامة فطار اليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ تقحت أرنب فطار الصقر اليها فأخذها فطلب بها الطير فقتلها واتخذها العرب بعده ثم استفاضت فى أيدى الناس فأما الشواهين فان ارسيخاس الحكيم ذكر فى كتاب كان وجه به الى المهدى حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه الملك أن ملكا من ملوك الروم يقال له سنان نظر يوما الى شاهين يهوى منحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعا فى الهواء حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة انحدار على الطير فى الماء انه لضار ويدلنا سرعة

انحداره وارتفاعه فى جو السماء على أنه طير أبى ألوف فلما رأى الى حسن تكراره أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد بن عفر عن هشام بن خديج قال خرج قسطنطين ملك عمورية متصيدا بالبزاة حتى انتهى الى خليج نيطش الجارى الى بحر الروم فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد فنظر الى شاهين يتكفأ على طير الماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ولم يدر الحيلة فى صيده فأمر أن يصطاد له فضراه وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروشا بالوان الزهر فقال هذا موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك الروم قسطنطين بن هلانى هذا وما كان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ما ذكر من السبب الداعى لبناء القسطنطينية وقد ذكر ابن عمر عن ابى زيد الفهرى أنه كان من رتبة ملوك الاندلس الأزارقة أنه اذا ركب الملك منهم صارت الشواهين فى الهواء مظلة لعسكره مخيمة على مركبه تنحدر عليه مرة وترتفع أخرى معلمة لذلك فلا تزال على ما وصفنا فى حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله الى ان ركب يوما ملك منهم وصارت الشواهين معه على ما وصفنا فاستثارت طائرا فانقض عليه شاهين فاخذه فاعجب بذلك الملك وضراها على الصيد فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الاندلس (قال المسعودى) وكذلك ذكر جماعة من اهل العلم بهذا الشأن أنه كان أول من لعب بالعقبان أهل المغرب فلما نظر الروم الى شدة شرها وإفراط سلاحها قال حكماؤهم هذه التى لا يقوم خيرها بشرها وذكر أن قيصر أهدى الى كسرى عقابا وكتب اليه يعلمه انها تعمل اكثر من عمل الصقر الذى أعجبه صيده فامر بها كسرى فارسلت على ظبى عرض فدقته فاعجبه ما رأى منها فانصرف مسرورا فجوعها ليصيد بها فوثبت على صبى له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر فى أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى قيصر نمرا وكتب انه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش وكتب ما صنعت العقاب فاعجب قيصر حسن النمر وطابق صفته بوصف من الفهد وغفل عنه فافترس بعض فتيانه فقال صادقنا كسرى فان كنا قد صدناه فلا بأس هذا وقد تغلغل بنا الكلام عند ذكرنا البحر جرجان وجزائره الى الكلام فى أنواع الجوارح وأشكالها عند ذكرنا لملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يلى السور من الامم وجبل الفتح وقد

قتلناان شر الملوك ممن جاورهامن الامم مملكة حيزان وملكهم رجل مسلم يزعم أنه
من العرب من قحطان و يعرف بسلفان فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وليس فى مملكته مسلم غيره وولده وأهله وأرى أن هذه السمة يسمى بها كل
ملك لهذا الصقع و بين مملكة حيزان و بين الباب والابواب أناس من المسلمين عرب
لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية فى آجام هناك وغياض وأودية وأنهار كبار من
قرى قد سكنوها قطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذى افتتحت فيه تلك الديار ممن
طرأ من وادى العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيزان الا انهم ممتنعون بتلك
الاشجار والانهار وهم على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والابواب وأهل الباب
يحذرونهم وأهل مملكة حيزان مما يلى جبل الفتح والسور لهم ملك يقال له مدرمان
مسلم ويعرف بلده بالكرخ وهم اصحاب الاعمدة وكل ملك يلى هذه المملكة يدعى
مدرمان ثم يلى مملكة مدرمان مملكة يقال لها غميق وأهلها أناس نصارى لا ينقادون الى
ملك ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان ثم يليهم مما يلى السور والجبل مملكة يقال
لها درلكران وتفسير ذلك عمال الزرد لان أكثرهم يعمل الزرد واليلب واللجم
والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد وهم ذوو ديانات مختلفة مسلمون ويهود
ونصارى وبلدهم بلد خشن قد امتنعوا لخشونته على من جاورهم من الامم ثم يلى هؤلاء
مملكة السرير وملكها يدعى فيلان شاه يدين بدين النصرانية وقد ذكرنا فيما سلف
من هذا الكتاب انه من ولد بهرام جور وسمى صاحب السرير لان يزدجرد وهو
الآخر من ملوك ساسان حين ولى منهزما قدم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع
رجل من ولد بهرام ليسير بها الى هذه المملكة فيحرزها هناك الى وقت موافاته
ومضى يزدجرد الى خراسان فقتل هناك وذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه على ما ذكرنا
فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا فقطن ذلك الرجل فى هذه المملكة واستولى عليها
وصار الملك فى عقبه فسمى صاحب السرير ودار مملكته تعرف بخبرج وله اثناعشر
ألف قرية يستعبد منهم من شاء وله بلد خشن منيع لخشونته وهو شعب من جبل
الفتح وهو يغير على الخزر مستظهرا عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم تلى هذه
المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم
وكذلك فيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان
يقال لها معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة ينتقل

فى السكنى اليها و بينه و بين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وقد تزوج كل
واحد منهما بأخت الآخر وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة
العباسية اعتقدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين
والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة
والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم و بين ملك اللان وجبل الفتح قلعة
وقنطرة على وادعظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم
الزمان من الفرس الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب ورتب
فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان عن الوصول الى جبل الفتح ولا طريق لهم الا على
هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل الى فتحها
والوصول اليها الا باذن من فيها ولهذه القلعة المبنية على اعلى هذه الصخرة عين من الماء
عذبة تظهر فى وسطها من أعلى هذه الصخرة وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة
بالمنعة وقد ذكرتها الفرس فى أشعارها وما كان لاسفنديار بن كشتاسب فى بنائها
ولاسفنديار فى الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الامم وهو السائر الى بلاد
الترك فخرب مدينة الصعر وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذى لا يرام وبها ضرب
الفرس الامثال وما كان من افعال اسفنديار وما وصفنا فذكور فى الكتاب
المعروف بكتاب السيكس نقله ابن المقفع الى لسان العرب وقد كان مسلمة بن عبد
الملك بن مروان حين وصل الى هذا الصقع ووطىء أهله أسكن فى هذه القلعة أناسا من
العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع وربما يحمل اليهم الرزق وأقوات من البر
من ثغر تفليس و بين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام كبار ولو كان رجل واحد
فى هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو
وإشرافها على الطريق والقنطرة والوادى وصاحب اللان يركب فى ثلاثين ألف فارس
وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين الملوك ومملكته عمائرها متصلة غير منفصلة
اذا تصايحت الديوك تجاوبت فى سائر مملكته لاشتباك العمائر واتصالها ثم يلى مملكة
اللان أمة يقال لها كشك وهم بين جبل الفتح و بحر الروم وهى أمة مطيعة منقادة الى
دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم فى هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا
ولا اصبح نساء ولا أقوم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وارداف ولا
أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ولباسهم البياض

والديباج الرومى والسقلاطونى وغير ذلك من انواع الديباج المذهب وبياضهم أنواع من الثياب يصنع من القنب فيها نوع يقال له الطلى أرق من الدبيقى وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما بينهم من الاسلام وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الامم الاان الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا انها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع فى البحر الذى هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر فيطش الا انهم يقربون فى البحر من بلاد طاربندة والتجارة تتصل بهم منها فى المراكب وتتجهز من قبلهم أيضا والعلة فى ضعفهم عن اللان تركهم أن يملكوا عليهم ملكا يجمع كلمتهم ولو اجتمعت كلمتهم لم يطقهم اللان ولا غيرها من الامم وتفسير هذا الاسم وهو فارسى الى العربية الصلف وذلك أن الفرس اذا كان الانسان تائها صلفا قالوا كشك وتلى هذه الامة التى على هذا البحر أمة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان وهى أمة كثيرة ممتنعة بعيدة الدار لا اعلم ملتها ولا نمى الى خبرها فى دينها وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب الى بحر الروم وقيل الى بحر مانطش ويقال لدار مملكة هذه الامة إرم ذات العماد وهم ذو خلق عجيب وآراؤها جاهلية ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك ان سمكة عظيمة تاتيهم فى كل سنة فيتناولون منها ثم توجد نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها وقد عاد اللحم على الموضع الذى أخذ منه أولا وخبر هذه الامة مستفيض فى تلك الديار من الكفار ويلى هذه الامة امة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب فى الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء فى وسط تلك الصحراء دارة مقورة كانها قد خطت ببيكار وشكل دائرتها خسفة مجوفة فى حجر صلد منخسف كما تدور الدائرة استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلا قطع قديم يهوى سفلا كحائط مبنى من سفل الى علو يكون قعره على نحو ميلين طريق لا سبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة فى مواضع مختلفة وبالنهار يرى فيها قرى وعمائر وأنهار تجرى من تلك القرى وناس وبهائم الا أنهم يرون لطاف الاجسام لبعد فعل الموضع لا يدرى من أى الامم هم ولا سبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الاربعة على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة

القامات مستديرة الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا أنهم ذوو شعر ور بما وقع فى النادر القرد منهم اذا احتيل فى اصطياده فيكون فى نهاية الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالاشارة ور بما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هناك فتعلمه القيام على رءوسها بالمذاب على موائدها و يلقى الملك له من طعامه فان اكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه وكذلك الاكثر من ملوك السند والهند فى القردة وقد ذكرنا فى هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا على المهدى وماذكروا له من القرد فى منافع ملوكهم به عند الطعام وذكرنا خبر القرود باليمن واللوح الحديد الذى كتبه سليمان بن داود عهدا للقرود بالسير وما كان من امرهم مع عامل معاوية وما كتب به فى أمرهم ووصف القرد العظيم الذى كان فى رقبته اللوح الحديد وليس فى قرود العالم أفطن من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون فى بقاع الارض الحارة فنها بارض النوبة وأعلى بلاد الاحابش مما يلى أعالى مصب النيل القرود المعروفة بالنوبية وهى صغيرة القد صغيرة الوجوه ذات سواد غير حالك كانه نوبى وهو الذى يكون مع القرادين ويصعد على رمح فيصير على أعلاه ومنها ما يكون فى ناحية الشام فى آجام وغياض نحو أرض الصقالبة وغيرها ممن هناك من الامم كنحو ما وصفنا من هذا النوع من القرود وقرب شكله من صورة الانسان ومنها بالخلجانات بلاد الواصح وبحر الصين فى مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازى ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين وهذه القرود مشهورة فى الصقع معروفة بالكثرة فى هذه الخلجانات وهى ذات صور تامة وقد كان حمل الى المقتدر منها وجاءت فى سلاسل عظام وكان فى القرود ذوو لحى وسبال كبار مع أنواع من الهدايا من عجائب البحر حمل ذلك أحمد بن ابى هلال أمير عمان يومئذ وهذه القرود وأمرها مشتهر عند البحريين من أهل سيراف وعمان ممن يختلف الى بلاد كلة والرانج وكيف تأتى بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء على ان الجاحظ قد ذكر ان التماسيح لا تكون الا بنيل مصر ونهر مهران السند وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب عن ابطال ذلك واخبرنا عن مواضع التماسيح فاما اليمن فلا تناكر بين من دخله فى أن القرود منه فى مواضع كثيرة لا يحصرها عدد لكثرتها فى وادى نخلة وهى بين بلاد الجند وبلاد زبيد التى أميرها فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ابراهيم

ابن زياد صاحب الحرملي و بين هذا الوادي و بين زبيد يوم و بين الجند يوم أو أكثر من ذلك وهذا الوادي كثير العمائر ومصاب المياه اليه كثيرة وشجر الموز فيه كثير والقرود فيه كثيرة وهو بين جبلين والقرود قطيعان كل قطيع منهما يسوقه هدر والهدر الذكر العظيم كالفحل العظيم المقدم فيها وقد تلد القردة في بطن واحد عدة من القرود نحو العشرة والاثنى عشر كما تلد الخنزيرة خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ويحمل الذكر باقيهن ولهن مجالس يجتمع فيها خلق منهن فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهمهمة والاناث متحيزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار الموز وذلك بالليل لم يشك أنهم اناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح ولهم جمم للذكور والاناث قد سرحت سود كاسود ما يكون من الشعر واذا طلبوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس و يتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء وقلعة كهلان ما يكون في برار و جبال هنالك كأنها السحب في تلك البراري والجبال لكثرتها وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن في هذا الوقت محتجب عن الناس الاخواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف مرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ويدعى وقت القبض البركة فيجتمعون هنالك ويتحدرون و ينحدرون من تلك المخاليف والمخاليف القلاع وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب المذيخرة وهو علي بن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلي باليمن شأن عظيم حين قتل وتوطأت اليمن بهذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة وكذلك في سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الارض واخبار النسناس في كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العوابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيما زعموا واحدها عربد وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل جبير بن اسحق أن يتأتى له في حمل اشخاص من النسناس والعربد فلم يسلم منهم الى سر من رأى الا اثنان من النسناس ولم تتأت له الحيلة في حمل العربد من اليمامة وذلك ان العربد هذا اذا خرج عن اليمامة وصار الى موضع منها معروف المسافة عدم من الوطاء الذي حمل فيه وأهل

اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقارب وسائر الهوام كمنفعة أهل سجستان بالقنافذ ولذلك كان فى عهد سجستان القديم لا يقتل قنفذ ببلدهم لانه بلد كثير الرمال بناه ذو القرنين فى مطافه وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب والبلد كثير الافاعى والحيات جدا فلولا كثرة القنافذ لتلف من هنالك من الناس وكذلك أهل مصر فى صعيدها وغيره لهم دويبة يقال لها العرانس أكبر من الجرذ وأصغر من ابن عرس حمراء بيضاء البطن لولا هذه الدويبة لغلب على أهل مصر الثعابين وهى نوع من الحيات عظيمة فينطوى الثعبان على الدويبة ويلتف بها فترخى عليه الريح فيتقطع الثعبان من ريحها هذه خاصية هذه الدابة وفى الشرق أنواع من الخواص فى بره وبحره وحيوانه ونباته وجماده وكذلك فى الغرب واليمن وهو الجنوب والجربى وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع ففى ذكرها فى هذا الباب خروج عن الغرض الذى يممنا نحوه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا من الامم المحيطة بالباب والابواب والسور وجبل الفتح وبلاد الخزر واللان فنقول انه يلى بلاد الخزر فيما بينهم وبين المغرب أمم ترك ترجع الى أب واحد وبدء أنسابهم حضر وبدو ذوو منعة وبأس شديد لكل أمة منها ملك مسافة مملكته أيام متصلة ممالكهم بعضها ببحر نيطش وتتصل عماراتها بمدينة رومية وبما يلى بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ما هنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة وكذلك مع صاحب اللان وديارهم تتصل ببلاد الخزر فالجيل الواحد منهم يقال له يحيى ثم تليها أمة ثانية يقال لها جعردثم تليها امة يقال لها بجناك وهى أشد هذه الامم الاربعة باسا ثم تليها امة ثانية يقال لها البوكرده وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة أوفيها وقد كان للروم فى تخوم أرضهم فيما يلى من ذكرنا من هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها وليدر فيها خلق من الناس ومنعة بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى أرض الروم لمنع الجبال والشجر اياهم ومن فى هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس حروب بخلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض أردبيل كان نازلا على أرض بعضهم فاستضافه ناس من الجيل الآخر فاختلفت الكلمة وأغار من فى وليدر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من الذرية وساقوا كثيرا من الاموال ونمى ذلك اليهم وهم مشاغيل فى حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء

وعمد القوم جميعا فحو مدينة وليدر فساروا اليها فى نحو ستين ألف فارس وذلك على غير احتفال منهم ولا تجمع ولو كان ذلك لكانوا فى نحو مائة ألف فارس فلما نمى خبرهم الى أرميوس ملك الروم فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سير اليهم اثنى عشر ألف فارس من المتنصرة على الخيول بالرماح فى زى العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر فى ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد ولماصح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفى هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا فى أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض الاسلام فابوا ذلك وتواقف الفريقان فى ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا فى الكثرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة فقال لهم ملك بجناك قلدونى التدبير فى غداة غد فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل فى جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك فى جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت فى قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة واتصل الرمى واتصلت الكراديس كالرحا والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها فى ألف ألف وذلك ان من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدئ فيرمى فى جناح ميسرة الروم ويمر بميمنتهم فيرمى وينتهى الى القلب ومايخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمى فى جناح ميمنة الروم وينتهى الى الميسرة فيرمى وينتهى الى القلب فيرمى فيكون ملتقى الكراديس فى القلب دائرا على ماوصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى مالحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمى عليهم حملوا على القوم مشوشين فى مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة فاخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعقبهم الترك بعد الرشق بالحملة على صفوفهم غير متشوفين ماكانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال وأخذ

القوم السيف واسود الافق وكثر صياح الخيل فقتل من الروم والمتنصرة نحو من ستين ألفا حتى كان يصعد الى سور المدينة على جثثهم فافتتحت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أياما وسبى أهلها وخرج عنها الترك بعد ثلاث يؤمون القسطنطينية ثم توسطوا العمائر والمروج والضياع قتلا وأسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية فاقاموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة والصبي منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير وبذلوا السيف فلم يبقوا على أحد منهم وربما قتلوا النساء والولدان وشنوا الغارات في تلك الديار فاتصلت غاراتهم بأرض الصقالبة ورومية ثم اتصلت غاراتهم الى نحو بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وماذكرنا من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والباب والابواب اذ كنا قد ذكرنا جملا من أخبار الامم القاطنة في هذا الصقع فمن ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين النصرانية ولها ملك في هذا الوقت يقال له الطبيعي ومملكة هذا الطبيعي موضع يعرف بمسجد ذي القرنين وكانت الابخاز والخزرية تؤدي الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون في أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره من هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على نهر تفليس وأقام عليها محاربا حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسماعيل لان اسحق بن اسماعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني باخبار العالم وأراه رجلا من قريش من بني أمية أو مولى لا حقا فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذوو قوة وباس شديد وان كان ماذكرنا من الممالك محيطا بهم ثم تلي مملكة خزران مملكة يقال لها الصمصحية نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ثم تلي مملكة هؤلاء الصمصحية بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنبارية وملكهم يقال له كرسكوس هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وينقادون الى دين النصرانية وهؤلاء الصنبارية يزعمون

أنهم من العرب من نزار بن معد بن مضر وانهم فخذ من عقيل سكنوا هنالك فى قديم الزمان وهم هناك مستظهرون على كثير من الامم ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناسا من عقيل محالفة لمذحج لا فرق بينهم وبين أحلافهم لاستقامة كلمتهم فيهم حيل كثيرة ومنعة وليس فى اليمن كلها أحيل من نزار بن معد غير هذا الفخذ من عقيل الا ماذكر من ولد أنمار بن نزار بن معد ودخولهم فى اليمن حسب ما ورد به الخبر وهو ما كان من خبر جرير بن عبد الله البجلى مع النبى صلى الله عليه وسلم وما كان من خبر بجيلة والصنبارية يزعمون أنهم افترقوا فى قديم الزمان وهم من سمينا من عقيل ببلاد مأرب فى خبر طويل ثم تلى مملكة الصنبارية مملكة سكين وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغير ذلك ويقال لملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا آزر ابن نفيه بن مهاجر ثم تليهم مملكة قبله وما حوت المدينة منها مسلمون وما حولها من العمائر والضياع نصارى ويقال لملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدعار ثم تلى هذه المملكة مملكة الموقان وهى التى قدمنا ذكرها وانها متغلبة عليها وانها مضافة الى مملكة شروانشاه وليس هذا البلد المعروف بالموقانية هو الذى على ساحل بحر الخزر وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروانشاه فى هذا الوقت ملك الاران هو ومن سلف من آبائه وكان ملك شروانشاه على بن الهيثم فلما هلك على تغلب محمد بن شروانشاه على حسب ماذكرنا أيضا بعد ان قتل عمومة له واحتوى على ماذكرنا من الممالك وله قلعة لا يذكر فى قلاع العالم أحسن منها فى جبل الفتح يقال انها فى الموضع المعروف بالسقط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التى بناها ببلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكى وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر فيبتدئ من بلاد خزران من مملكة جرجير ويمر ببلاد الخان حتى يأتى ثغر تفليس ويشق فى وسطه ويجرى فى بلاد الساورية حتى ينتهى على ثمانية أميال من بردعة ويجرى الى وداح ثم يصب فيه من ماء الصنارة نهر الرس ويظهر من أقاصى بلاد الروم من نحو مدينة طرابنده حتى يجىء الى الكر وقد صار فيه نهر الرس فيصب فى بحر الخزر ويجرى الرس بين بلاد الدبر وهى بلاد بابك الخرمى من أرض أذربيجان وجبل أبى موسى من بلاد الاران ويمر ببلاد ورثان وينتهى الى حيث وصفنا وقد أتينا على وصف هذه الانهار أيضا ونهر اسيدرود

وجريانه فى ارض الديلم نحو قلعة سلام وهو ابن سوار بعض ملوك الديلم ومرور هذا النهر من الديلم الى الجيل ويصب فيه نهر آخر فى بلاد الديلم يقال له شاهان رود فينتهى مصب الجميع الى بحر الجيل وهو بحر الديلم والخزر وغيرهم على ماذكرنا وعلى هذا النهر كثير من دور الاعاجم ومن هناك من ملوكهم فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة منهم أحوم داوان صاحب مدينة الرى وطبرستان وغيرهما من الجيل فلنذكر الآن ملوك السريانيين وهم أول من يعد فى كتب الزيجات والنجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ثم ملوك الموصل ونينوى ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الارض وشقوا الانهار وغرسوا الاشجار وطعموا الثمار ومهدوا الوعر وسهلوا الطريق ثم تتبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالحدان الى أفريدون ثم الاسكان الى دارا ابن دارا وهم السكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيين ثم الروم ونذكر من يتلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم﴾

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفى النبط فمن الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة لولد ماس بن نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوسان وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا فى الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولده يقال له بزندس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك سماسيربن أول سبع سنين ثم ملك بعده أهريمور عشر سنين فخط الخطط وكور الكور وجد فى أمره واتقان ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الاحوال وانتظم له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة وأنهم يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند غالبا على ماحوله من ممالك الهند وانقادت الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان ملكه كان مما يلى السند والهند فسار نحو بلاد بسط وعرين ونعير وبلاد الداور وعلى النهر المعروف بنهر ميذ وهو نهر سجستان ينتهى جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه أهل سجستان وضياعهم ونخلهم وجبالهم

ومتنزهاتهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط وتجرى فيه السفن من هناك الى سجستان فيها الاقوات وغير ذلك ومن بسط الى سجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال وهو البلد الموصوف بان الريح به تدير الارحية وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوزع فى مبدأ هذا النهر المعروف بنهر ميد فمن الناس من رأى ان مبدأه من مبدأ نهر الكنك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر جاد الانصباب والجريان عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتغرقها زهدا فى هذا العالم ورغبة فى النقلة عنه وذلك انهم يقصدون موضعا فى أعالى هذا النهر المعروف بالكنك وهناك جبال عالية واشجار عادية ورجال جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون فى تزهيدهم فى هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالى تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى هذا النهر أجزاء وماذكرنا فموصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهناك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب بما به فيظهر من الارض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستقيم فى الجو كأبعد ما يكون من طوال النخل ثم ينحنى جميع ذلك منعكسا فيعود فى الارض مندسا ويهوى فى قعرها سفلا على المقدار الذى ارتفع به فى الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا فى الاول فتذهب الصعداء ثم تتقنطر منعكسة ولا فرق بين المقدار الذى يذهب منها فى الهواء ويتسع فى الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت الثرى فلولا أن الهند قد وكلت بقطعه من يراعيه فى أمره لامر يذكرونه وخطر فى المستقبل يصفونه لطبق على تلك البلاد ولغشى تلك الارض ولهذا النوع من الشجر أخبار يطول ذكرها يعرفها من طرأ الى تلك البلاد ورآها أونمى اليه خبرها والهند تعذب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب من دون الامم وقد تيقنت أن ما ينالها من النعيم فى المستقبل مؤجلا لا يكون بغير ما أسلفته من تعذيب انفسها فى هذه الدار معجلا ومنهم من يصير الى باب الملك يستأذن فى احراقه نفسه فيدور فى الاسواق وقد أججت له النار العظيمة عليها من قد وكل بايقادها ثم يسير فى الاسواق وقدامه الطبول والصنوج وعلى يديه

أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه وحوله أهله وقرابته وعلى رأسه اكليل من الريحان وقد قشر جلده عن رأسه وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس فيسير وهامته وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل والتنبول فى بلادهم ورق ينبت كاصغر مايكون من ورق الاترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل وهو الذى غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن فى هذا الوقت مضغه بدلا من الطيب ويكون عند الصنادلة للورم وغير ذلك فمنهم من يسميه الفوفل وهذا اذا مضغ على ماذكرنا بالورق والنورة شد اللثة وقوى عمور الاسنان وطيب النكهة وأزال الرطوبة المؤذية وشهى الطعام وبعث على الباه وحمر الاسنان حتى تكون كاحمر مايكون من حب الرمان وأحدث فى النفس طربا وأريحية وقوى البدن وأثار من النكهة روائح طيبة والهند خواصها وعوامها تستقبح من أسنانه بيض وتجتنب من لا يمضغ ما وصفنا فاذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار فى الاسواق انتهى الى تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير فى مشيته ولا متهيب فى خطوته ففيهم من اذا أشرف على النار وقد صارت جمرا كالتل العظيم يتناول خنجرا ويدعى الحرمى عندهم فيضعه فى لبته ولقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من اللار من مملكة البلهرا وذلك فى سنة أربع وثلثمائة والملك يومئذ على صيمور المعروف بجاج وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الامصار ممن قد تأهل وقطن فى تلك البلاد وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى واسحق الصيدابورى وعلى الهيرمة يومئذ أبو سعيد معروف بن زكريا وتفسير الهيرمة يراد به رآسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة اليه ومعنى قولنا البياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بارض الهند يدعون بهذا الاسم واحدهم بيسر وجمعهم بياسرة فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا فى أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه ثم ادخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه فى النار واذا مات الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلانجرية واحدهم بلاجرى وتفسير ذلك المصادق لمن يموت فيموت بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التى

تألم عند ذكرها الابدان ويصفر من ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب
أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان فلنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد
سجستان وقصده مملكة السريانيين ونعدل عما احتذينا من أخبار الهند فنقول كان
هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل وكل ملك يلى هذا البلد من أرض الهند يسمى
بهذا الاسم زنبيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند
وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى
ملك الهند على الصقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك العرب فاتى عليه وملك
العراق ورد ملك السريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له ﴿سيرا﴾ وكان ولد
المقتول فكان ملكه الى أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده ﴿أهريعون﴾ وكان ملكه
اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له ﴿هوريا﴾ فزاد فى العمارة وأحسن فى الرعاية
وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده ﴿مارث﴾
واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك
بعده ﴿ازور﴾ و ﴿خلنجاس﴾ ويقال انهما كانا أخوين فاحسنا السيرة وتعاضدا على
الملك ويقال ان أحد هذين الملكين كان جالسا ذات يوم اذ نظر فى اعلى قصره الى طائر قد
أفرخ هناك واذا هو يضرب بجناحه ويصيح فتامل الملك ذلك فنظر الى حية تنساب
الى الوكر صاعدة لاكل فراخ الطائر فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها وسلمت
فراخ الطائر فجاء الطائر بعد هنيهة يصفق بجناحه فى منقاره حبة وفى مخالبه حبتان
وجاء الى الملك وألقى ما كان فى منقاره ومخاليبه والملك يرمقه فوقع الحب بين يدى
الملك فتأمله وقال ما ألقى هذا الطائر ما ألقى الا أنه أراد بلاشك مكافأتنا على فعلنا به فاخذ
الحب وجعل يتامله فلم يعرف مثله فى إقليمه فقال جليس من جلسائه حكيم وقد نظر
الى حيرة الملك فى الحب أيها الملك ينبغى أن يودع النبات أرحام الارض فانها تخرج كنه
ما فيه فتقف على الغاية منه وأداء ما فى مخزونه ومكنونه فدعا بالاكرة وأمرهم بزرع الحب
ومراعاته وما يكون منه فزرع فنبت وأقبل يلتف بالشجر ثم حصرم وأعنب وهم
يرمقونه والملك يراعيه الى أن انتهى فى البلوغ وهم لا يقدمون على ذوقه خوفا أن يكون
متلفا فأمر الملك بعصر مائه وأن يودع فى أوانى وافراد حب منه وتركه على حالته فلما
صار فى الآنية عصيرا اهدر وقذف بالزبد وفاحت له روائح عبقة فقال الملك على بشيخ
فاتى به فلدله من ذلك فى اناء فرآه لونا عجيبا ومنظرا كاملا ولونا ياقوتيا أحمر وشعاعا

فيرا ثم سقوا الشيخ فاشرب ثلاثا حتى مال وأرخى من مآزره الفضول وحرك رأسه ووقع برجليه على الارض فطرب ورفع عقيرته يتغنى فقال الملك هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون قاتلا ألا ترى الى الشيخ كيف عاد فى حال الصبا وسلطان الدم وقوة الشباب ثم أمر الملك به فزيد فسكر الشيخ فنام فقال الملك هلك ثم ان الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال لقد شربته فكشف عنى الغموم وأزال عن ساحتى الاحزان والهموم وما أراد الطائر الا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف فقال الملك هذا أشرف شراب أهل الارض وذلك انه رأى شيخا قد حسن وقوى حيله وانبسط فى نفسه وطرب فى حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم وجاد هضمه وجاءه النوم وصفا لونه واعترته أريحية فأمر الملك أن يمنع العامة من ذلك وقال هذا شراب الملوك وأنا السبب فيه فان كان فلا يشرب به غيرى فاستعمله الملك بقية أيامه ثم نما فى أيدى الناس واستعملوه وقد قيل ان نوحا أول من زرعها وقد ذكر الخبر حين سرقها ابليس منه حين خرج من السفينة واستوى على الجودى فى كتاب المبدأ وغيره من الكتب

ذكر ملوك الموصل وفينوى ولمع من أخبارهم

فينوى هى مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهى بين قردى ومازندى من كور الموصل وفينوى فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لاهلها والى أهلها أرسل يونس بن متى وآثار الصور فيها من أصنام فى حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس النبى عليه السلام ويأوى الى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسور سورها ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ويقال له سينوس بن يالوس فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محاربا لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال ان ملك الموصل كان فى ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل فينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سيمون فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل وملكها من شاطئ دجلة الى بلاد أرمينية ومن بلاد أذربيجان الى حد الجزيرة والجودى وجبل النبيل الى بلاد الزوزان وغيرها من أرمينية وكان أهل فينوى ممن سمينا نبيطا وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنها باحرف يسيرة فى لغتهم والمقالة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسيس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه نحوا من أربعين سنة

ورجعت اليه الارمن وقد كانت الحروب بينهم سجالا فى ملكه ثم غلبوا على أهل نينوى فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدى الضريبة الى ملك أرمينية ولهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط

﴿ ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم ﴾

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ومن ذوى العناية باخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وأن الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمروذ) الجبار وكان ملكه نحوا من ستين سنة وهو الذى احتفر أنهارا بالعراق آخذة من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى بطريق من طرق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة و بغداد لاخفاء لخبره وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق عند ذكرنا الملوك الفرس الاولى والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض فى هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من كتبنا وملك بعده (أندلس) نحوا من سبعين سنة وكان عظيم البطش متجبرا فى الارض وكانت فى أيامه حروب ثم ملك بعده (مرمنوس) نحوا من مائة سنة باغيا فى الارض على أهلها ثم ملك بعده (سوسيوس) نحوا من تسعين سنة ثم ملك بعده (كورش) نحوا من خمسين سنة ثم ملك بعده (أنمر) نحوا من عشرين سنة ثم ملك بعده (شبرم) نحوا من أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده (فرسميس) نحوا من سبعين سنة ثم ملك بعده (اينوس) نحوا من ثلاثين سنة ثم ملك بعده (ايلاوس) خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (الجلوس) نحوا من أربعين سنة ثم ملك بعده (اومونوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (بعتكلوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (سفروس) نحو أربعين سنة وقد قيل دون ذلك وهلك ثم ملك بعده (مارنوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (رسطالين) أربعين سنة ثم ملك بعده (أميرطوس) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده (ألعداس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (أطيرنوس) نحو ستين سنة ثم ملك بعده (ساوشاش) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (فارينوس) نحو خمسين سنة وقيل خمسا وأربعين سنة ثم ملك بعده (سوسادريوس) نحو أربعين سنة فغزاهم ملك من ملوك فارس من عقب دارى ثم ملك بعده (مسروق) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده (تطايوس) نحو ثلاثين

سـنة ثم ملك بعده (طاطاوس) نحو أربعين سنة ثم ملك بعده (أقروس) نحو
أربعين سـنة ثم ملك بعـده(لارسيس) نحو خمسـين سنة وقيل خمسا وأربعين
سنة ثم ملك بعـده(افريطوس) نحو ثلاثين سـنة ثم ملك بعده(مروطاوس) نحو
عشرين سنة ثم ملك بعده(أفريفريس) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده(منطوروس)
نحو عشرين سنة ثم ملك بعده(قولاميا) نحو ستين سنة ثم ملك بعده(سعلس) خمسا
وثلاثين سنة وقيل خمسين سـنة وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابئة كذلك
ذكر فى كتاب التاريخ القديم ثم ملك بعده (سيموجد) نحو ثلاثين سنة ثم ملك
بعـده (مرذوح) أربعين سـنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعـده(سنخاريب)
ثلاثين سنة وهو الذى أتى بيت المقدس ثم ملك بعده(سوسا) ثلاثين سنة وقيل أقل من
ذلك ثم ملك بعده(بختنصر) الجبار خمسا وأربعين سنة ثم ملك بعده(قرمودوح)
نحو سنة ثم ملك بعـده(فيطسعر) نحو ستين سنة وقيـل أقل من ذلك ثم ملك بعده
(مسنون) نحو ثمان سنين وقيل عشرا ثم ملك بعده(معوسا) سنة وقيل أقل من ذلك
ثم ملك بعده(دارنوس) إحدى وثلاثين وسنة وقيـل أكثر من ذلك ثم ملك بعـده
(كسرحوس)عشرين سنة ثم ملك بعده(فنجشمت) احدى وأربعين سنة ثم ملك بعده
(أحرست) ثلاث سنين وقيل سنتين وشهرين ثم ملك بعده(شعيا)سنة وقيل تسعة
أشـهر ثم ملك بعـده(أريوس)عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنـة ثم ملك بعـده
(أطحست) تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده(دارالتسع) خمس عشرة سنة وقيل عشر
سنين (قال المسعودى) فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم وأسمائهم ومدة مملكتهم
وقد رسمت اسماؤهم هكذا فى كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان
ومدنوا المـدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا
المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير
ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكايد ونصبوا
قوانين الحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاجنحة وجعـلوا ذلك مثالا لاعضاء
جسد الانسان ورتبوا الكل جزء توهما من الامة لا نوازيها غيرها فجعلوا أعلام القلب
على صورة الفيل وما عظم من أجناس الحيوان وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على
صورة السباع على حسب عظمها واختـلافها فى أنواعها وجعلوا فى الاجنحة صور
ما لطف من السباع كالنمر والذئب وجعلوا اصوز أعلام الكيمياء على صور الحيات

والعقبان وماخفي فعله من هوام الارض وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد والبياض والصفرة والخضرة ولون السماء وقد ذكر قوم أن الالوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها ومنعوا أن تكون الحمرة تشرب شيأ من ذلك الا ما لطف من أجزائها داخلا في جملة الاكثر من أشباه الحيوان من تلك الاعلام وزعموا أن قضية القياس توجب أن تكون سائر اعلام الحرب حمراء اذ كانت أليق وأشكل بلون الدم وأكثر ملاءمة اذ كان لونهما واحدا لكن منع من ذلك استعمالها في حال الزينة والطرب وأوقات السرور واستعمال النساء والصبيان لها وفرح النفوس بها وأوجب ترك ذلك وان حسن البصر مشاكل للون الحمرة اذ كان من شأنه أنه اذا أدركها انبسط نوره في ادراكها واذا وقع البصر على اللون الاسود اجتمع نوره ولم ينبسط في ادراكه انبساطه في الحمرة وأن النسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين لون الحمرة الاشتراك والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون السواد وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الالوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها ومراتب الانوار وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نورية حسن البصر وبين لون الحمرة والبياض والضد المباين بين السواد وبين نور البصر دون سائر الالوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وتغلغل القوم في هذه المعاني الى ما علا من الاجسام السماوية من النيرين والخمسة واختلافها في ألوانها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية وقد أتينا على ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيما ببلخ والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من اخبار النبط وأنسابهم

﴿ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم﴾

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أنسابها ينقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير أن أول ملوكهم (كيومرث) ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم أنه ابن آدم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم الاقلون عددا أنه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى ان كيومرث هو أميم ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح لان أميم أول من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث

ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا في مسكن واحد والله أعلم بذلك وكان كيومرث أكبر أهل عصره والمقدم فيهم وكان أول ملك نصب في الارض فيما يزعمون وكان السبب الذي دعا أهل ذلك العصر الى إقامة ملك ونصب رئيس أنهم رأوا أكثر الناس قد جبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ورأوا أن الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا أحوال الخليقة وتصرف شأن الجسم وصورة الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم في بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدي الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما توردها اليه من أخلاقها في مداركها وهو معنى في القلب فرأوا اصلاح الجسم بتدبيره وأنه متى فسد تدبيره فسد سائره ولم تظهر أفعاله المتقنة المحكمة فلما رأوا هذا العالم الصغير الذي هو جسد الانسان المرئي لا تستقيم أموره ولا تنتظم أحواله الا باستقامة الرئيس الذي قدمناذكره علموا أن الناس لا يستقيمون الا بملك ينصفهم ويوجه العدل عليهم وينفذ الاحكام على ما يوجبه العقل بينهم فساروا الى كيومرث بن آدم وعرفوه حاجتهم الى ملك وقيم وقالوا أنت أفضلنا وأشرفنا وأكبرنا وبقية أبينا وليس في العصر من يوازيك فرد أمرنا اليك وكن القائم فينا فانا تحت سمعك وطاعتك والقائلون بما تراه فاجابهم الى مادعوه اليه واستوثق منهم بأكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع التاج على رأسه وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الارض قال ان النعم لا تدوم الا بالشكر وإنا نحمد الله ونشكره على نعمه ونرغب اليه في مزيده ونسأله المعونة على مادفعنا اليه وحسن الهداية الى العدل الذي به يجتمع الشمل ويصفو العيش فثقوا بالعدل منا وانصفونا من أنفسكم بوروذكم الى أفضل مافي هممكم والسلام فلم يزل كيومرث قائما بالامر حسن السيرة في الناس والحال آمنة والامة ساكنة الى ان مات ولهم في وضع التاج على الرأس أسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وذكروا ان كيومرث أول من أمر بالسكوت عند الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بما يرد اليه من الغذاء وتسكن النفس عند ذلك فتدبر كل عضو من الاعضاء تدبيرا يؤدي الى مافيه صلاحه من أخذ صفو الطعام فيكون الذي يرد الى الكبد وغيره من الاعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها فان الانسان متى شغل عن طعامه بضرب من

الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التقدير الى حيث انصباب الهمة ووقوع الاشتراك فأضر ذلك بالانفس الحيوانية والقوى الانسانية واذا كان ذلك أدى الى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئى وفى ذلك ترك للحكمة وخروج عن الصواب ولهم فى هذا الباب سر لطيف من أسرار السبب الذى بين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد أتينا على ذكره فى الكتاب المترجم بسر الحياة وفى كتاب الزلف عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والمخيلة والنزاعية وما قال الناس فى ذلك ممن تقدم وتاخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع فى مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس من رأى ان عمره الف سنة وقيل دون ذلك وللمجوس فى كيومرث هذا خطب طويل فى أنه مبدأ النسل وأنه نبت من نبات الارض وهو الريباس هو وزوجته وهاشانة ومشانة وغير ذلك مما يفحش ايراده وما كان من خبره مع ابليس وقتله اياه وكان ينزل اصطخر فارس وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقيل أقل من ذلك (ثم ملك بعده هوشنج) بن فروال بن سيامك بن ميشا بن كيومرث الملك وكان هوشنج ينزل الهند وكان ملكه أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك وقد تنوزع فيه فمنهم من رأى أنه أخ لكيومرث بن آدم ومنهم من رأى انه ولد الملك الماضى (ثم ملك بعده طخمورث) بن انوجهان بن استحد بن هوشنج وكان ينزل نيسابور وظهر فى سنة من ملكه رجل يقال له (أيوداسف) أحدث مذاهب الصابئة وقال ان معالى الشرف الكامل والبلاغ الشامل ومعدن الحياة فى هذا السقف المرفوع وان الكواكب هى المدبرات والواردات والصادرات وهى التى بمرورها فى أفلاكها وقطعها مسافاتها واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة يتم ما يكون فى العالم من الآثار من امتداد الاعمار وقصرها وتركب البسائط وانبساط المركبات وتتميم الصور وظهور المياه وغيضها وفى النجوم السيارة فى افلاكها التدبير الاكبر وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والايجاز واحتذى به جماعة من ذوى الضعف فى الآراء فيقال ان هذا الرجل أول من أظهر آراء الصابئة من الحرابيين والكيماريين وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرابيين فى نحلتهم وديارهم فى بلاد واسط والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام فكان ملك طخمورث الى ان هلك ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده أخوه جمشيد) بن أنوجهان وكان ينزل بفارس وقيل انه كان فى زمانه طوفان وذهب كثير من الناس الى أن النيروز فى أيامه أحدث وفى ملكه سمى على

حسب مانورده فيما يرد من هذا الكتاب كذلك ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر
المعروف بكسرى وكان هذا الرجل ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر
كسرى وكان ملك جمشيد الى ان هلك ستمائة سنة وقيل تسعمائة سنة وستة أشهر
وأحدث فى الارض أنواعا من الصناعات والابنية وادعى الالهية (ثم ملك بعده
بيوراسب) بن اردواسب بن رستوان بن نياداس بن طاح بن قروال بن ساهر فرس بن
كيومرث وهو الدهآك وقد عرب اسماه جميعا فسماه قوم من العرب الضحاك وسماه
قوم بهراسب وليس هو كذلك وانما اسمه على ماوصفنا بيوراسب وقتل جمشيد
الملك وقد تنوزع فيه أمن الفرس كان ام من العرب فزعمت الفرس أنه منها وانه كان
ساحرا وانه ملك الاقاليم السبعة وأن ملكه كان ألف سنة وبقى فى الارض وللفرس
فيه خطب طويل وانه مقيد مغلل فى جبل دباوند بين الرى وطبرستان وقد ذكرته
شعراء العرب ممن تقدم وتأخر وقد افتخر أبو نواس به وزعم أنه من اليمن لان أبا
نواس مولى لسعد العشيرة من اليمن فقال

وكان منا الضحاك تعبده الجامل والوحش فى مسار بها

(ثم ملك بعده افريدون) بن اثقبان بن جمشيد المالك لاقاليم الارض فاخذ
بيوراسب فقيده فى جبل دباوند على حسب ماذكرنا وقد ذكر كثير من الفرس
ومن عنى بأخبارهم مثل عمر كسرى وغيره أن افريدون جعل هذا اليوم الذى قيد
فيه الضحاك عيدا له وسماه المهرجان على حسب مانورده بعد هذا الموضع
من هذا الكتاب وماقيل فى ذلك وكانت دار مملكة افريدون بابل وهذا
الاقليم يسمى باسم قرية من قراه يقال لها بابل على شاطئ نهر من انهار الفرات
بارض العراق على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ونهر النرس قرية بالعراق
واليها تضاف الثياب النرسية وفى هذه القرية جب يعرف بجب دانيال النبى عليه
السلام تقصده النصارى واليهود فى اوقات من السنة فى أعيادهم واذا أشرف
الانسان على هذه القرية تبين فيها آثارا عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت
كالروابى وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران
فى القرآن على حسب ماقص الله تعالى من تسمية هذه القرية ببابل وكان ملك افريدون
خمسمائة سنة وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك
بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام يذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا فى دهرنا * قسمة اللحم على ظهر وضم
وجعلنا الشأم والروم الى * مغرب الشمس الى الغطرى سلم
وأطوج جعــل الترك له * فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة * فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وان بلاد بابل أضيفت الى ولد افريدون وهو ايراج وقتله اخواه فى حياة افريدون وهلك فلم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايراج واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعد افريدون منوجهر) بن ايران ابن افريدون على حسب ماذكرنا من التنازع فى نسبه والحاقه بايران بن افريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل ببابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا اباه وهما اطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد منوجهر سهم بن أبان) بن أثقبان بن يود بن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل اكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) بن أطوج بن ياسر بن رامى بن آرس بن بورك بن ساساسب ابن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن افريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلــط من اصحاب الكتب والتصنيفات فى التاريخ وغيره فزعم انه تركى وكان تملكه على ماغلب عليه من البلاد اثنتى عشرة سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتى عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن بهاست بن كجهور بن عداست بن رايبج بن راع بن ماسر بن يود بن منوجهر الملك فهزمه وقتــل اصحابه بعد حروب كثيرة وعمر ماخربه فراسياب وقد تنوزع فى المقدار الذى ملك فيه فقيل ثلاث سنين وقيل اكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويــل فى قتــل فراســياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم بن دستان هــذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وخبر اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وقتل رستم بن دستان وما كان من قتــل بهمن بن اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى واخبارها وهذا الكتاب

تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر اسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان اول من نزل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاووس وقد كان سار نحو اليمن بعد ان كان له بالعراق تمرد على الله وبنيان بناه لحرب السماء وكان ملك اليمن الذى سار اليه كيكاووس فى ذلك الوقت شمر بن فريقس فخرج اليه شمر فأسره وحبسه فى أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه فى خفية من أبيها والى من معه من اصحابه ومكث فى محبسه أربع سنين حتى أسر رستم ابن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاووس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه واغرته بولده سياوخش حتى كان من أمره مع فراسياب التركى واستئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى حملت منه بكيخسرو وما كان من قتل فراسياب بسياوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى وأخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على ما فى كتاب السكيكين أن كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم ممن هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك فى لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون بلغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من اعاجم خراسان فى هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزل وكذلك الى أن (صار الملك الى حماى ابنة بهمن) بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب فانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب) بن قنوج بن كيمس بن كيناسسر بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد واحسن السيرة لرعيته وشملهم عدله ولسنين خلت من ملكه نال بنى اسرائيل منه محن وشتتهم فى البلاد وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها وذكر فى بعض الروايات من أخبار الفرس انه بنى بلخ الحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان منهم فى حصاره وقد أخذ بثأره بعد قتله فى كتب قدماء الفرس وقد ذكر كثير ممن عنى باخبار الفرس أن بختنصر مرزبان العراق والمغرب كان من قبل هذا الملك وهو الذى وطأ الشام وفتح بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر والعامة تسميه البخت ناصر وأكثر الاخباريين والقصاص يغالون فى أخباره ويبالغون فى وصفه والمنجمون فى زيجاتهم وأهل التواريخ فى كتبهم يجعلونه ملكا وانما كان مرزبانا

على ماوصفنا للملوك ممن ذكرنا وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة وصاحب ناحية وواليها وقد كان حمل سبايا بنى اسرائيل الى الشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها دينارد فكانت سبب رد بنى اسرائيل الى بيت المقدس وقيل ان ديناردأولدها لهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان حناى من نسل بنى اسرائيل من أمها وقيل ان لهراسب قد كان أنفذ سنخاريب وكان خليفته على العراق الى حرب بنى اسرائيل فلم يصنع شيا فعقب بعده بالبخت نصر وقيل فى البخت نصر غير ماذكرناما سنورده بعد هذا الموضع فى ذكر ملوك بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وقد أرخ بطليموس صاحب كتاب المجسطى تاريخ كتاب من عهد بخت نصر مرزبان المغرب وارخ بابون صاحب كتاب القانون فى النجوم من مملكة الاسكندر بن فليبش المقدونى (ثم ملك بعده زرادشت) ابن استيمان وقيل انه زرادست بن بورسمت بن قيدارست بن اريكردشت بن هجنددست بن حجيس بن مامير بن أرحدس بن هزران بن استيمان بن داندست بن هايرم بن أرح بن دوسر بن منوجهر الملك وكان من أهل اذربيجان والاشهر من نسبه انه زرادشت بن استيمان وهو نبى المجوس الذى أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس واسمه عند المجوس نسياه وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات والكليات هى الاشياء العامة والجزئيات هى الاشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا ويعرض فلان فى وقت كذا ويولد لفلان فى وقت كذا واشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم وليس فى سائر اللغات أكثر حروفا من هذا ولهم خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابينا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وأتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن ايراد مثلها ولا يدركون كنه مرادها وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ما أتى به زرادشت وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير وكتب هذا الكتاب فى اثنى عشر الف مجلد بالذهب فيه وعد ووعيد وامر ونهى وغير ذلك من الشرائع والعبادات فلم تزل الملوك تعمل بما فى هذا الكتاب الى عهد الاسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا فاحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد الطوائف الى ازدشير بن بابك فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها استاذ فالفرس فى هذا الوقت لا يقرؤن غيرها من الكتاب الاول نسياه ثم عمل

زرادشت تفسيراعند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زيدا ثم عمل للتفسير تفسيرا وسماه بازيد ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسير التفسير وشرحالسائر ماذكرنا وسموا هذا التفسير بارده فالمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل فصار علماؤهم وموابذتهم يأخذون كثيرا ممن يحفظ أسباعا من هذا الكتاب وارباعا واثلاثا فيبتدئ كل واحد بما حفظ من جزئه فيتلوه ويبتدئ الثانى منهم فيتلو جزأ آخر والثالث كذلك الى ان يأتى الجميع على قراءة سائر الكتاب لعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال وقد كانوا يقولون ان رجلا بسجستان بعد الثلاثمائة مستظهر بحفظ هذا الكتاب على الكمال وكان ملك كشتاسب الى ان تمجس ثم هلك عشرين ومائة سنة وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمسة وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة ولما هلك زرادشت (ولى مكانه حاماس العالم) وكان من أهل أذربيجان وهذا أول موبذ قام فيهم بعد زرادشت نصبه لهم كشتاسب الملك ثم ملك بعده بهمن بن اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وكان له حروب كثيرة مع رستم صاحب سجستان الى أن قتل رستم ووالده دستان وقيل ان أم بهمن كانت من بنى اسرائيل من ولد طالوت الملك وانه هو الذى بعث بالبختنصر مرزبان العراق الى بنى اسرائيل فكان من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن الى ان هلك مائة واثنتى عشرة سنة وقيل انه فى ملكه رد بقايا بنى اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى بيت المقدس سبعين سنة وذلك فى أيام كورس الفارسى المملك على العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بنى اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثا وعشرين سنة وفى وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لا من قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا اعاما فى كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذى استخرج العلم وما يحدث فى الازمان الى أن تنقضى الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث فى السنين والشهور من الحوادث ودلائل ذلك فى الافلاك. ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التى خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت حماى) بنت بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بامها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت

حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك
(ثم ملك بعدها أخ لها يقال له دارا) بن بهمن بن اسفنديار وكان ملكه اثنتي عشرة سنة
وكان ينزل ببابل (ثم ملك دارا) بن دارا بن بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب
والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذي قتله
الاسكندر بن فليبش المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر ان
منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به
ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على
الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى أخوين) وقيل بل
كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب
أحدهما (بهماست) بن كيجهر بن ذوردف بن هوست بن دابدسك بن دوس بن منوجهر
والآخر (كرساسب) بن نمار بن طهماسب بن آسك بن آيرفس بن آدج بن دوس بن
منوجهر وكان كرساسب محاربا للفراسياب ومنازلا له والآخر وهو بهماست لازم
بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين
الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرهما في هذا الكتاب الخارجين من بلد
أرمينية الصابين في دجلة الاكبر بين الموصل والحديثة والآخر ببلاد الصين وسماه
باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق
ثلاث طساسيم من الضياع والعمائر وأسماها الزوابي وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية
وان مملكتهما كانت ثلاث سنين وان كيخسرو بن سياخوش بن كيكاوس بن
كتيفة بن كيقباد لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب
ابن سيمك بن تبت بن ديشهر بن وترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من
الناس من ولد لست بن ريسب بن أطوج بن افريدون وقد قدمنا وجها من الرواية في نسبه
فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو في البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد
الصين فبنى هناك مدينة عظيمة وسماها كنكدر وقد نزلها خلق من ملوك الصين
كنتز ولهم أعوى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كندر هي أعوى بعينها وقد قيل ان
كيكاوس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بارض السند وان سياخوش بنى في حياة
ابيه كيكاوس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا
الكتاب (قال المسعودي) ولمن ذكرنا من هؤلاء الملوك أخبار وسير قد أتينا على

شرحها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب جوامع فنبنى بها على ما سلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس فى المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانة

﴿ذكر ملوك الطوائف﴾

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من النبيط أم من العرب فحكى جماعة من الاخبار بين ممن عنى باخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فيلبش دارا بن دارا تغلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم الاسكندر فنهم فرس ونبيط وعرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذى هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشعانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمذان وماسندان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلى هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشعان فقيل لسائر ملوك الطوائف الاشعانيون اضافة لهم الى ملك هذا الصقع لانقيادهم اليه وقد حكى محمد بن هشام الكلبى عن أبيه وغيره من علماء العرب انهم قالوا أول ملوك الدنيا الكينان وهم من سمينا من ملوك من سلف من الفرس الاولى الى دارا بن دارا ثم الاردوان وهم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف وكانوا بارض العراق مما يلى قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين وسورا وأحمد آباد والنرس الى جبلا وتل فاحر والطفوف وسائر ذلك الصقع وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وانمار بن نزار والنضرية من بنى نضر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك وقد نصبت كل طائفة لها ملكا لعدم ملك يجمع كلمتهم وذلك ان الاسكندر أشار عليه معلمه وهو ارسطاطاليس فى بعض رسائله اليه بذلك وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية وملكه على ناحيته وتوجه وحياه فاستبد كل واحد منهم بناحية فصار ملكه من بعده فى عقبه مما نعا عما فى يده وطالبا للازدياد من غيره وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عنى باخبار الماضين ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب على ملوك

الطوائف وقتل اردوان الملك بالعراق ووضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم يعد منه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف وتمهدت له البلاد واستقامت دعاتها بملكه فمن ملوك الطوائف من قتله أردشير بن بابك ومنهم من قاده الى ملكه وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى ممن سميناه وبين الفرس الثانية وهي الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى فى كتاب له فى أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وخطبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) بن أسك بن أردان بن أشغان بن أغر الجبار بن ساوس بن كيكاووس الملك عشرين سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفى احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايليا ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن ادرار بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك احدى وعشرين سنة وقيل انه فى أيامه سار نطوس بن اشغانوس ملك رومية الى ايليا وذلك بعد ارتفاع المسيح بأربعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرب ثم ملك بعد نيرو بن سابور (ابنه جودر) بن نيرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده أخوه (هرمز) بن نيرو عشرين سنة ثم ملك (أردوان) بن مردوان أربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) بن ايلاووس بن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن اردوان بن ايلاووس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودى) فهذا وجه آخر غير ما قدمنا وقد قيل فى تاريخ سنى ملوك الطوائف غير ما وصفنا وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول اشهر واصح فى مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضاد ما فيها غير أن الذى حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا ينقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

ذكر أنساب فارس وما قاله الناس فى ذلك

تنازع الناس فى الفرس وانسابهم فنهم من رأى أن فارس بن ناسور بن سام بن نوح وكذلك النبط ولد نبيط بن ناسور بن سام بن نوح وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه

عن أبيه وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد إرم بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفى ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسى

وبنا سمى الفوارس فرسا * ناومنا مناجب الفرسان

وكهول طواهم الركض والكـ * ـر كمثل الكرات يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنته وهى دعوى ولاصحاب التواريخ فى هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان بن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذى ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة فى العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان فدار الراهب * فثم تلقى راحة النوائب

ومنهم من رأى أن الفرس من ولد ايران بن أفريدون وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب أخبار ولد أفريدون حين قسم الارض بينهم وماقاله الشاعر فى ذلك من قوله

ولايران جعلنا عنوة * فارس الروم وفزنا بالنعم

فاضيف الفرس الى ذلك وايران تسميه الفرس ايراج اذا عرفوا اسمه ولاتنا كر بين الفرس جميعا فى أنها من ولد ايراج جميعا وايراج هو ايران بن أفريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر أجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولاخلاف بين الفرس فى ان الجميع منهم من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قبل ايراج بن أفريدون وايراج بن أفريدون وهو الذى ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانية وهم الساسانية دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى أن منوجهر هو ابن مسحر بن أفريس وترك وترك هو اسحق بن ابراهيم الخليل وسار مسحر الى أرض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده فملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لماهم عليه من الشجاعة والفروسية ودثوت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية والعرب العادية (قال المسعودى) واكثر

حكاه العرب من نزار بن معد يقول هذا ويعمل عليه فى بدء النسب وينقاد اليه كثير من الفرس ولا ينكرونه وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس وانهما من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال فى ذلك اسحق بن سويد العدوى عدى قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسؤدد * أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحق عمنا * وصاروا لنا غرما على الدهر أعبدا
فان كان منهم تبع وابن تبع * فاملاكهم كانوا لاملاكنا يدا
ويجمعنا والغر ابناء سارة * أب لايبالى بعده من تفردا
هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم * وهم منحوهم بعد ذلك سؤددا

وفى ذلك أيضا يقول جرير بن الخطفى التميمى يفخر على قحطان بان الفرس والروم من أولاد إسحق والانبياء من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موتى لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
ومنهم سليمان النبى الذى دعا * فاعطى تبيانا وملكا مقدرا
أبونا أبو اسحق يجمع بيننا * أب كان مهديا وملكا معمرا
وموسى وعيسى والذى خر ساجدا * وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمة * وكان أبو يعقوب نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر ابناء فارس * أب لايبالى بعده من تاخرا
ابونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وفى ذلك يقول بشار بن برد

نمتنى الكرام بنو فارس * قريش وقومى قريش العجم

وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنه من ولد اسحق وأن اسحق هو المسمى وترك على حسب ماقدمنا قبل من كلمة له

ابونا وترك وبه أحاجى * اذا فخر المفاخر بالولاده
ابونا وترك عبد رسول * له شرف الرسالة والزهاده

فمن مثلى اذا افتخرت قرون * وبيتى مثل واسطة القلاده

ومن الفرس من يزعم أن وترك هو ابن أبريك وأن أبريك ابن سبع نسوة تولدن من غير ذكر الى أن يلحقن نسبهن بايراج بن أفريدون وهذا مما يدفعه العقل ويأباه الحس ويخرج عن العادة وتنبو عنه لمشاهدة الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدى آياته ودلائله الخارجة عن العادة وعما ذكرنا من المشاهدات وللفرس ههنا منازعات فى نسب منوجهر واضطراب فى كيفية الحاقه بافريدون وفى وطء افريدون لبنت ايراج ووطئه بنت البنت الى السبع منهن وقد كان بين ملك منوجهر بن مسحر بن أفريرس بن وترك على ماذكرنا وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك لتخرب كان باقليم بابل وعدم ذى همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحق فان كان ماذكرنا هو المعول عليه من قول هذه الطائفة يجب على مايوجبه الحساب أن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحق ألفا وتسعمائة واثنتين وعشرين سنة كذلك وجدت فى كتب تواريخ هذه الطائفة بارض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودى) وقد افتخر بعض ابناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده اسحق بن ابراهيم الخليل على ولد اسمعيل بان الذبيح كان اسحق دون اسمعيل فقال من كلمة له

قل لبنى هاجر مابنت لكم * ماهذه الكبرياء والعظمه

ألم تكن فى القديم أمكم * لامنا سارة الجمال أمه

والملك فينا والانبياء لنا * ان تنكروا ذاك توجدوا ظلمه

اسحق كان الذبيح قد اجمع النا * س عليه الا ادعاء لمه

حتى اذا ما محمد أظهر الدي * ن وجلا بنوره الظلمه

قلتم قريش الاحساب مفخرة * أصل لنا ان كنتم بنوه فمه

امابنو يعرب فليسوا كمن * أسكنه الله آمنا حرمه

ولا كابناء فارس وهم فى الا * رض مثل الاسود فى الاجمه

وهى قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله بن المعتز وكان قائل هذه القصيدة فى عصره وعمر الى أن مضت الثلاثمائة يناقضه فى أبيات منها فمن ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا * من ذا الشقى الذى أباح دمه

حاش لاسحق أن يكون لكم * أبا وان كنتم بنوه فه

قولا لكلب يرى لبطشته * قد فغر الليث للفراس فه

والفرس لاتنقاد الى القول بان الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون فى عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما له ولجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير بن بابك وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذى يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية الى مروان بن الحكم وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب ولم يل الفرس الثانية أحد الا من ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

وما زلنا نحج البيت قدما * ونلقى بالاباطح آمنينا

وساسان بن بابك سار حتى * أتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به وزمزم عند بئر * لاسمعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه فى زمزم وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير ان ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما كان من فعل عبد المطلب بهذه الاسياف وغيرها مما أودع فى زمزم وللناس فى الانساب تنازع فى بدئها وتشعبها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفى ذو المعرفة بالاشراف عليها عن كثير من مبسوطها

(ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم)

كان أول من نسب اليه ملوكهم على حسب ما قدمنا فى الباب الذى قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهافريد بن دارا بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب

ابن بهراسب ولا خلاف بينهم فى أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل اردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما آتاه ونشكره شكر الدارى بما منحه واصطفاه ألا وانا ساعون فى اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة وردما انخرم فى سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى أعم بالعدل القوى والضعيف والدنىء والشريف وأجعل العدل سنة محمودة وشريعة مقصودة وستردون فى سيرتنا الى ما تحمدون فنا عليه وتصدق افعالنا أقوالنا ان شاء الله تعالى والسلام (قال المسعودى) وأردشير بن بابك المتقدم فى ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى أن ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقات خاصته ثلاثا الاولى الاساورة وأبناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة أذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهبدية ممن كانت مملكة الكون فى أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير انه لم يكن فى هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مؤف ولا مرمى بابنة ولا ابن ذى صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا وكان أردشير يقول ماشىء أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذى معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الاريب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيا به النفوس وتتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن فحملته ألمت به النفس وأضر باخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجد ذو المعرفة فى نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهرا فساد عقله دهرا وكان أردشير يقول يجب على الملك ان يكون فائض العدل فان العدل جماع

الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتجرمه وان اول مخايل الادبار فى الملك ذهاب العدل منه وانه متى خفقت رايات الجور فى ديار قوم كالختها عقاب العدل فردتها على العقب وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وظرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه ليحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك . ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها فى حال لا يحسن أن يجلب غيرها والى أن يجتمع له مع قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يأتيه من خلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعينه على شهوته ولا يكون نديما حتى يكون له جمال ومروءة فاما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساطه الى الجميل ووقاره فى مجلسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أرواح فاولها الوزراء ثم الموبذان وهو القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها القوام بأمور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للاحكام وجعل الاصبهيدين أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشأم فهؤلاء الاربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الاربعة ورتب أردشير الطبقات الاربعة من أصحاب التدبير ومن اليهم ازمة الملك وحضور المشورة فى ايراد الامور واصدارها ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طرأ بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر مراتب الاشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنساك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها وغير طبقات المغنين فرفع من كان بالطبقة الوسطى الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى وغير المراتب على حسب اعجابه بالمطرب له منهم وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك فى طبقات الملهين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك حتى ورد كسرى انوشروان فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك وقد كانت ملوك الاعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء وكان بين الملك وبين أول

الطبقات عشرون ذراعا لان الستارة التي على الملك تكون منه على عشرة اذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء الاساورة يقال له خرمباش فاذا غاب هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الاساورة وذوى التحصيل وسمي بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن تب في هذه المرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحامسرورا وكان خرمباش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه أمر رجلا أن يرتفع على أرفع مكان في دار الملك فيرفع عقيرته ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول يالسان احفظ رأسك فانك تجالس في هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك فعلهم في يوم جلوس الملك للهوه وطربه فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة أصواتها غير مشيرة بشئ من جوارحها حتي يطلع الموكل بالستارة فيقول لغن أنت يافلان كذا وكذا واضرب أنت يافلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس وكور أردشير بن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وتبين عوارها وماهي عليه من الغرور والعناء وقلة المكث وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة بائدة ما اعذوذب منها جانب لامرئ وحلا الا تمرر منها عليه جانب ورأى أن من بني قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عديدا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك لها واللحاق ببيوت النيران والانفراد بعبادة الرحمن والانس بالوحدة (فنصب ابنه سابور) لمملكته وتوجه بتاجه وذلك انه رآه أرجح ولده حلما وأكملهم علما وأشدهم بأسا وأجزلهم مراسا فعاش بعد ذلك في حال تزهده وخلوه بربه وكونه في بيوت النيران سنة وقيل شهرا وقيل أكثر مما ذكرنا وأقام اردشير اثنتي عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف فمنهم من يكاتبه فينقاد الى ملكه رهبة من صولته ومنهم من يمتنع عليه فيسير الى داره ويأتي عليه وكان آخر من قتل منهم ملكا للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن برنيا صاحب قصر ابن هبيرة ثم أردوان الملك وفي هذا اليوم سمي شاهنشاه وهو ملك الملوك وأم ساسان الاكبر من سبايا بني اسرائيل وهي بنت ساسان ولاردشير بن بابك اخبار في بدء ملكه مع زاهد من

زهادهم وأبناء ملوكهم يقال له تيس وكان أفلاطونى المذهب على رأى سقراط وافلاطون أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط مع ذكر سيره وفتوحه وما كان من أمره ولاردشير بن بابك كتاب يعرف بكتاب الكرنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره فى الارض وسيره وكان مما حفظ من وصية اردشير لابنه سابور عند نصبه اياه للملك أن قال له يابنى ان الدين والملك اخوان ولاغنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك والملك حارسه ومالم يكن له اس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع وكان مما حفظ من مكاتباته أعنى أردشير الى خواص من أنواع رعيته وعماله من أردشير بن بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والى الحراث الذين هم عمرة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا اتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لاتستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو ولاتحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى ترووا غدا فى المعاد وتزوجوا فى الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولاتركنوا للدنيا فانها لاتدوم لاحد ولاتهتموا لها فلم يكن الا ماشاء الله ولاترفضوها مع ذلك فان الآخرة لاتنال الا بها وكتب أردشير الى بعض عماله بلغنى انك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجراءة فليشتد أولك وليلن آخرك ولاتخلين قلبا من هيبة ولاتعطلنه من مودة ولايبعد عليك ما اقول فانهما يتجاوران (ثم ملك بعد أردشير ابنه سابور) وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم وبنى كورا ومصر مدنا نسبت اليه كما نسب من الكور والمدن الى ابائه والعرب تلقبه سابور الجنود وفى أيامه ظهر مانى وقال بالاثنين فرجع سابور عن المجوسية الى مذهب مانى والقول بالنور والبراءة من الظلمة ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية ولحق مانى بأرض الهند لاسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما أسلف من كتبنا وكتب ملك الروم الى سابور بن اردشير امابعد فقد بلغنى من سياستك لجندك وضبطك ماتحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما احببت ان أسلك فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل فى أمر ولانهى قط ولم أخلف وعدا ولاوعيدا قط وحاربت للغنى لاللهوى واجتلبت قلوب الناس مقة بلا كره

وخوفا بلامقت وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا استكتبت رجلا فأسن رزقه وشد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففى اسناء رزقه حسم طمعه وفى تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفى اطلاقه بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قفه من أمره على ماله قدمته ليمثله اماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما رسمت فاوله عرضك واوجب زيارته عليك وان حاص عن امرك علقته حجتك وأطلقت بالعقوبة عليه يدك والسلام وعهد سابور الى ولده هرمز ومن تلاه بالملك بعده فقال اجعلوا اعلوا أخلاقكم كعلو أخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعد سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رامهرمز من كور الاهواز وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور فى المشكلات الا عند تجلى فرصتها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق فى الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهريق عليه تدبير الاموال فى حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد ذكرنا ان بهرام أتاه مانى بن فديك تلميذ ماردون فعرض عليه مذاهب الثنوية فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه وفى أيام مانى هذا ظهر اسم الزندقة الذى اليه اضيف الزنادقة وذلك أن الفرس حين اتاهم زرادشت بن استيمان على حسب ما قدمنا من نسبه فيما سلف من هذا الكتاب بكتابهم المعروف بالنسناه باللغة الاولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند على حسب ما قدمنا وكان الزند بالتاويل غير المقدم المنزل وكان من أورد فى شريعتهم شيأ بخلاف المنزل الذى هو النسناه وعدل الى التأويل الذى هو الزند قالوا هذا زندى فاضافوه الى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك وأقبل فى أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكر

فى ملكه ولا ينظر فى أمور رعيته وأقطع الضياع لخواصه ومن لا ذبه من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارها وسكنوا الضياع المعمورة فقلت العمارة الا ما أقطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بمما يلة الوزراء خواص الملك وكان تدبير الملك مفوضا الى وزرائه فخربت البلاد وقلت العمارة وقل ما فى بيوت الاموال فضعف القوى من الجنود وهلك الضعيف منهم فلما كان فى بعض الايام ركب الملك الى بعض متنزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء فدعا بالموبذان لامر خطر بباله فلحق به وسايره وأقبل على محادثته مستخبرا له عن سير أسلافه فتوسطوا فى مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت فى مملكته ولا أنيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك للموبذان أترى احدا من الناس أعطى فهم منطق هذا الطير المصوت فى هذا الليل الهادى فقال له الموبذان انا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما قال فاعلمه أن قوله صحيح فقال له فما يقول هذا الطائر وما الذى يقول الآخر قال الموبذان هذا بوم ذكر يخاطب بومة ويقول لها امتعينى من نفسك حتى يخرج منا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذى دعوتنى اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا انى أشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتنى اليه فقال لها الذكر وما تلك الخصال قالت اولها ان أنا ابحتك نفسى وصرت الى ما اليه دعوتنى تضمن لى أن تعطينى من خرابات امهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك مما يخرب من الضياع ألف قرية فما تصنعين بها قالت فى اجتماعها ظهور النسل وكثرة الولد فنقطع كل واحد من اولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه منى وقدمت لك الوعد وأنا ملىء بذلك فهاتى ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وترجل الناس وخلا بالموبذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفله من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ما هذا الذى خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكنا وبعثتنى على علم ما كنت عنه غائبا قال الموبذان فصادفت من الملك السعيد جده

وقت سعد للعباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموقظا على لسان الطائر عند طلب الملك
منى جواب ما سأل ثم قال له الملك أيها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض الذى اليه
رميت والمعنى الذى له قصدت ما المراد منه والى ماذا يؤول قال الموبذان أيها الملك
السعيد جده ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره
ونهيه ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال
ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب
بين الخليقة نصبه الرب وجعله قديما وهو الملك قال الملك أما ما وصفت فحق فأبن لى
عما تقصد وأوضح لى فى البيان قال الموبذان نعم أيها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها
من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن يؤخذ منهم الاموال فاقطعتها الحاشية
والخدم وأهل البطالة وغيرهم فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها واستعجلوا المنفعة
وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم
من الملك ووقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن
ضياعهم ورحلوا عن ديارهم وآووا الى ما تعزز من الضياع بأربابه فسكنوه فقلت
العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك
فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك
فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام فى موضعه ذلك ثلاثا وأحضر الوزراء
والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة
والحاشية وردت الى أربابها وجروا على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وقوى
من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج
وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور واقبل الملك يباشر الامر
بنفسه فى كل وقت من الزمان وينظر فى أمر خواصه وعوامه فحسنت أيامه وانتظم ملكه
حتى كانت تدعى أيامه أعياد الماعم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام
ابن الملك بن بهرام) أربع سنين وأربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسى بن بهرام) على ماذكرنا
من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز)
ابن نرسى بن بهرام على ماذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر وذكر
ابو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر كسرى أن كل من ذكرنا من ملوك ساسان الى هذا
الملك وهو هرمز بن نرسى كانوا ينزلون جنديسابور من بلاد خوزستان وقد كان

يعقوب بن الليث الصفار سكن جنديسابور متشبها بمن مضى من ملوك ساسان الى أن مات بها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه إياها ووفاته فيها (ثم ملك بعد هرمز بن نرسى ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وخلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بامر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاغر الايادى فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد اساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان فى جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو

سلام فى الصحيفة من لقيط * على من فى الجزيرة من إياد
بان الليث يأتيكم دلاقا * فلا يحسبكم شوك القتاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا * أوان هلاككم كهلاك عاد

فلم يعبؤا بكتابه وسراياه تكر نحو العراق وتغير على السواد فلما تجهز القوم نحوهم اعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم وانهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يادار عبلة من تذكارها الجزعا * هيجت لى الهم والاحزان والوجعا
أبلغ إيادا وحلل فى سراتهم * أنى أرى الرأى ان لم أعص قد نصعا
ألا تخافون قوما لا أبا لكم * مشوا اليكم كامثال الدبى سرعا
لوان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

فاوقع بهم فعمهم القتل فما أفلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وخلع بعد ذلك اكتاف العرب فسمى بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبى سفيان راسل من بالعراق من تميم ليثبوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال فى بعض مقاماته فى كلام له طويل

ان خبا يرى الصلاح فسادا * أو يرى الغى فى الامور رشادا
لقريب من الهلاك كما أهـ * ـلك سابور بالسواد إيادا

وقد كان سابور فى مسيره فى البلاد أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وفرت بنو تميم وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ ثلثمائة سنة وكان يعلق فى عمود البيت فى قفة قد اتخذت له فارادوا حمله فابى عليهم الا أن يتركوه فى ديارهم وقال انا هالك اليوم أو غدا وماذا بقى لى من فسحة العمر ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب فخلوا عنه وتركوه على ما كان عليه فصبحت خيل سابور الديار فنظروا الى أهلها وقد ارتحلوا ونظروا الى قفة معلقة فى شجرة وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها وهمهمة الرجال فاقبل يصيح بصوت ضعيف فاخذوه وجاءوا به الى سابور فلما وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الايام عليه ظاهرة فقال له سابور من أنت أيها الشيخ الفانى قال انا عمرو بن تميم بن مر وقد بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس منك لاسرافك فى القتل وشدة عقوبتك اياهم وآثرت الفناء على يديك لتبقى من مضى من قومى ولعل الله ملك السموات والارض يجرى على يديك فرجهم ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم وأنا سائلك عن أمر ان أنت أذنت لى فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو ما الذى يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلادى وأهل مملكتى فقال عمرو فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم فلما بلغت بقوا على ما كانوا عليه من الفساد هيبة قال سابور أقتلهم لانا ملوك الفرس نجد فى مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستدال علينا وتكون لهم الغلبة على ملكنا فقال عمرو وهذا أمر تستحقه أو تظنه قال بل أستحقه لا بد يكون ذلك قال له عمرو فان كنت تعلم ذلك فلم تسئ الى العرب والله لئن تبق على العرب جميعا وتحسن اليهم ليكافئونك عند ادالة الدولة لهم على قومك باحسانك وان انت طالت بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم فيبغون عليك وعلى قومك ان كان الامر حقا كما تقول فهو أحزم فى الرأى وأنفع فى العاقبة وان كان باطلا فلم تستعجل الاثم وتسفك دماء رعيتك فقال سابور الامر صحيح وهو كائن لكم والرأى ما قلت ولقد صدقت فى القول ونصحت فى الخطاب فنادى منادى سابور بامان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال ان عمرا بقى فى هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل من ذلك والله أعلم وسار سابور نحو بلاد الشام فافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه بالدخول الى ارض الروم مستنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قدم

اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل فى جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر امر مصورا أتى عسكر سابور فصوره له فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة واتاه من كان على المائدة التى عليها سابور بكاس فنظر بعض الخدم الى الصورة التى على الكاس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فاخبره فامر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من اساورة سابور استحقيت العقوبة لامر كان منى فدعانى ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر فجعله فى جلد بقرة وسار قيصر فى جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيدهم فى تلك الليلة التى أشرفوا على فتح المدينة فى صبيحتها فاغفل الموكلون أمر سابور وأخذ الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من اسارى الفرس فخاطبهم ان يحل بعضهم بعضا وشجعهم وأمرهم ان يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هنالك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص وأتى المدينة وهم يتحارسون على سورها فخاطبهم فعرفوه ورفعوه بالحبال ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب النواقيس فاتوه بقيصر أسيرا فاستحياه وأبقى عليه وضم اليه من أفلت من القتل من رجاله فغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل فيها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وعمر ما أخرب فى أخبار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر فى بعض الاخبار ان سابور ربق قيصر وقطع أعصاب عقبيه أورقها وان الروم تربق دوابها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفى ذلك يقول الحرث بن جندة المعروف بالهرمزان شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا * وهم ربقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أبا قابوس عصبا * وهم أخذوا البسيطة من اياد

وفى فعل سابور وتغريره بنفسه فى دخوله الى أرض عدوه متجسسا يقول بعض المتقدمين من شعراء أبناء فارس

وكان سابور صفوا فى ارومته * أحيد عنها فأضحى غير مختار

اذ كان بالروم جاسوسا يجول به * حوم المنية من ذى كيد مكار
فاستاسروه وكانت كبوة عجبا * وزلة سبقت من غير عثار
فاصبح الملك الرومى معترضا * ارض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالابواب فافترقوا * كما تحارب أسد الغاب فى الغار
فجذ بالسيف أمر الروم فامتحقوا * لله درك من طلاب أوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا * من النخيل وما حفوا بمنشار

وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم وقتل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج التسترى وغيره من أنواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين ومكث الى هذه الغاية وقد كان من قبله من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بغربى المدائن من أرض العراق فسكن سابور فى الجانب الشرقى من المدائن وبنى هناك الايوان المعروف بايوان كسرى الى هذه الغاية وقد كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الايوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذى بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فامر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك نسبة والملوك به اخوة وان الغيرة بعثتنى عليه وعلى أدبه لصيانة الملك وما يلحق الملوك للملوك (وذكر) عن الرشيد بعد القبض على البرامكة انه بعث الى يحيى بن خالد بن برمك وهو فى اعتقاله يشاوره فى هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره فى نفسه المجوسية والحنو عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع فى هدمه ثم نظر فاذا يلزمه فى هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة فامسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فأجابه بان ينفق فى هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تناقض كلامه فى أوله وآخره فبعث اليه ليسأله عن ذلك فقال نعم اما ما أشرت به فى الاول فانى أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد فى الاعصار ويطرأ من الامم فى الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان أمة قهرت أمة هذا بنيانها فازالت

رسومها واحتوت على ملكها الامة عظيمة شديدة منيعة وأماجوا بى الثانى فاخبرت انه قد شرع فى هدمه ثم عجز عنه فاردت نفى العجز عن أمة الاسلام لئلا يقول من وصفت ممن يرد فى الاعصار ان هذه الامة عجزت عن هدم ما بنتها فارس فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال قاتله الله تعالى فـاسمعته قال شيأ قط الاصدق فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذى بنى نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده أخوه ازدشير بن هرمز) وكان ملكه الى ان خلع أربعين سنة (ثم ملك بعده سابور) ابن سابور خمس سـنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب إياد حولها الخيل والنعم

ويقال ان هذا الشعر قاله تقر قد لحقوا بارض الروم حين أوقع بهم سابور ذو الاكتاف على ماذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات فى ملك سابور بن سابور فقال شاعر إياد فى ذلك ماوصفناوهم داخلون فى جملة ربيعة وقيل غير ذلك والله أعلم بالصحيح منه (ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه عشرين سنة وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور المعروف بالاثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة غير شهرين (ثم ملك بعده بهرام بن يزدجرد) فـكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة وملك وهو ابن عشرين سنة وغاص هو وفرسـه فى حومة حماة فى بعض أيام صيده فجزعت عليه فارس لما عمها من عدله وشملها من احسانه ورأفته برعيته واستقامة الامور فى أيامه وقد كان خرج فى أيامه خاقان ملك الترك الى الصغد وشن الغارات فى بلاده وقيل انه اتى الى بلاد الرى وان بهرام كتب اجناده وتنكب الطريق فى اليسير من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان فى جنوده وسار نحو العراق برأسه فهابته ملوك الارض وهادنه قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى أرض الهند متنكرا ولاخبارهم متعرفا واتصـل بشبرمة ملك من ملوك الهند فأبلى بين يديه فى حرب من حربه وأمكنه من عدوه فزوجه ابنته على انه بعض أساورة فارس وكان نشؤه مع العرب بالحيرة وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخبار وله اخبار فى أخذه الملك بعد أبيه وتناوله التاج والراية وقد

وضعا بين يديه واخبار غير ذلك وسير يطول ذكرها ولاية علة سمى بهرام جور وما أحدث من الرمى بالنشاب فى أيامه ومن النظم فى داخل القوس وخارجها وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وماقالت الفرس والترك فى بنية القوس وانها مركبة على الطبائع الاربع كطبائع الانسان وماذهبوا اليه من أنواع الرمى وكيفيته ومما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفره بخاقان وقتله له

أقول له لما فضضت جموعه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فانى حامى ملك فارس كلها * وماخير ملك لايكون له حام

وقوله أيضا

لقد علم الانام بكل أرض * بانهمو قد اضحوا لى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم * عزيزهم المسود والمسودا
فتلك اسودهم تقعى حذارى * وترهب من مخافتى الورودا
وكنت اذا تشارس ملك أرض * عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطينى المقادة او أوافى * به يشكو السلاسل والقيودا

وله اشعار كثيرة بالعربية والفارسية أعرضنا عن ذكرها فى هذا الموضع طلبا للايجاز (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة واربعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان بنى حائطا باللبن والطين بناحية الباب والابواب على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى ذكرنا للباب والابواب وجبل القبج واحضر يزدجرد بن بهرام رجلا من حكماء عصره كان فى اقاصى مملكته آخذا من أخلاقهم ومقتبس الرأى منهم يسوس به رعيته فقال له يزدجرد وقد مثل بين يديه أيها الحكيم الفاضل ماصلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم من الظالم قال فما صلاح أمر الملك فقال وزراؤه واعوانه فانهم ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد قال له يزدجرد ان الناس قد أكثروا فى أسباب الفتن فصف لى ماالذى يشبها وينشيها وماالذى يسكنها ويدفنها قال يشبها ضغائن يجشها جرأة عامة ولدها استخفاف بخاصة واكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامل معسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم والذى يسكنها أخذ العدة لما يخاف قبل حلوله وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم فى الغضب والرضا (ثم ملك بعده هرمز) بن يزدجرد فنازعه أخوه فيروز فقتله وولى

الملك وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز الى ان هلك على يدي ملك الهياطلة باحسران بمرو الروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة والهياطلة هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاس) بن فيروز الملك وكان ملكه أربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي أيامه ظهر مردق الزنديق واليه تضاف المردقة وله اخبار مع قباذ وما أحدثه في العامة من النواميس والحيل الى ان قتله انوشروان في ملكه وكان ملك قباذ الى ان هلك ثلاثا وأربعين سنة (ثم ملك بعده ولده انوشروان) ابن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا واربعين سنة وثمانية أشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخ له يقال له جاماست نحوا من سنتين لامر كان من مردق واصحابه فظافر أنوشروان بزرجمهر بن سرحو حتى اعيد قباذ الى ملكه في خبر طويل ولما ملك أنوشروان وقتل مردق وأتبعه بثمانين ألفا من أصحابه وذلك بين حادر والنهروان من أرض العراق فسمي من ذلك اليوم انوشروان وتفسير ذلك جديد الملوك وجمع اهل مملكته على دين المجوسية ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل وسار نحو الباب والابواب وجبل الفتح لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده فبنى السور على ازقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص فكلما ارتفع البناء نزلت تلك الازقاق الى ان استقرت في قرار البحر وقد ارتفع السور على الماء وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين الى تلك الازقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الماء في قرار البحر وهو باق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا الموضع من السور في البحر الصد مانعا للمراكب في البحر ان وردت من بعض الاعداء ثم مد السور في البحر ما بين جبل الفتح والبحر وجعل فيه الابواب مما يلي الكفار ثم مد السور على جبل الفتح على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار جبل الفتح والباب وكان لانوشروان خبر مع ملوك الخزر الى ان تأتى له هذا البناء وقيل انه بنى ذلك بالرهبة واذعان من هنالك من الامم وانصرف انوشروان الى العراق ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك وكان فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا والطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه فقال كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا فقيل له ان عجوز الهامنزل من جانب الاعوجاج منه وان الملك ارادها على بيعه وارغبها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومي هذا الاعوجاج الآن

أحسن من الاستواء وسار انوشروان فى بلاده ودار فى مملكته فاحكم البنيان وشيد
القلاع والحصون ورتب الرجال فعبر الى الشام فافتتحها المدن وكان مما افتتح بلاد
حلب وقنسرين وحمص وفامية وهى بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها
وفيها اخت لقيصر فافتتحها وافتتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت
فى ساحل انطاكية رسومها بينة الى هذه الغاية وأثرها قائم تدعى سلوقية وأقبل
يفتتح المدائن بالشام وأرض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال ويذل السيف
وبث عساكره وسراياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية فقبل ذلك منه وقفل
من الشام المرمر والرخام وانواع الفسيفسا والاحجار والفسيفسا هى شئ يطبخ من
الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص
ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسماها
بروميةوجعل بنيانها وماداخل سورها بما ذكرنا من أنواع الاحجار يحكى بذلك
أنطاكية وغيرها من المدن فى الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت
خراب وباب يعرف بما ذكرنا وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة اخيه وهادنته
ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وحملت اليه الهدايا ووفدت
اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظم مملكته ولما يظهر من فعله بالممالك
وقتله الملوك وانقياده الى العدل وكتب اليه ملك الصين من يعبور ملك الصين صاحب
قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور
الذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه الف
فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان واهدى اليه فرسا من در منضد اعينا
الفارس والفرس من ياقوت احمر وقائم سيفه من نابت منضد بالجوهر وثوب
حرير صينيا عثريا فيه صورة الملك جالسا فى ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه
الخدم وبايديهم المذاب صورة منسوجة بالذهب وارض الثوب لازورد فى سفط
من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها تتلألأ جمالا وغير ماذكرنا من
عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك الى اكفائها وكتب اليه ملك الهند من
ملك الهند وعظيم اراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر
الى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى انوشروان واهدى اليه ألف من
من عود هندى يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة

وجامامن الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوء ادراوعشرة امنان كافور كالفستق واكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أشبار تضرب اشفار عينيها خدها وكان بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير واحسن من الموشي وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بارض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذ ولون حسن وريح طيب لحاؤه ارق من الورق الصينى تتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محارب بالبعض اعدائه كتاب ملك التبت من خاقان ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه المحمود فى السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة للاقاليم السبعة واهدى اليه انواعا من العجائب التى تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية ومائة قطعة تجافيف ومائة برس تبتية واربعة آلاف من من المسك فى نوافج غزلانه وقد كان انوشروان سار الى ماوراء النهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل احسوان ملك الهياطلة بجده فيروز وملك مملكته فاضافها الى ملكه وقد كان نقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندى وهو الخضاب الذى يلمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداولا ينصل منه شئ (ويحكى) ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها انواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها ليهنه طعامه من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم اربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلى نقشه التأنى وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه الرجا ووضع انوشروان على العراق وضائع الخراج فالزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز خمسا وثلثا ولكل أربع نخلات فارسية درهما وكل ست نخلات دقل درهما وكل ست أصول زيتون درهما والكرم ثمانية دراهم والرطب سبعة دراهم فهذه سبعة انواع من الغلات وترك ماعداها اذ كانت لقضم الناس والبهائم وكان انوشروان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها ففى ذلك يقول عدى بن زيد العبادى من كلمه

اين كسرى خير الملوك انوشر * وان أم أين قبله سابور
لم يهبه ريب المنون فولى الـ * ـملك عنه فبابه مهجور
حين ولوا كانهم ورق جف * ف تذرى به الصبا والدبور

وجلس انوشروان يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم فى مجلسه دلونى على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسى وعامة رعيتى فتكلم كل واحد بما حضره من الرأى وانوشروان مطرق يتفكر فى أقاويلهم فانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان فقال ايها الملك أنا جامع لك ذلك فى اثنتى عشرة كلمة فقال هات فقال أولهن تقوى الله فى الشهوة والرغبة والرهبة والغضب فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق فى القول والعمل والوفاء بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسىء على اساءته والسادسة تعهد اهل السجون بالعرض لهم بالايام تستوثق منهم بالمسىء وتطلق البرىء والسابعة تعهد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تاديب الرعية فى الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون فى الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذى الغش والفجر عنهم فامر انوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع انواع السياسات الملوكية وكان مما حفظ من كلام انوشروان وحكمته أنه سئل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الاحتياج اليها فقال معروف أودعته الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من كثر علمه فتأدب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وانوشروان الذى يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذى يقول لا تعدن الحرصاء فى الامناء ولا الكذابين فى الاحرار وقال انوشروان يوما لبزرجمهر من يصلح من ولدى للملك فاظهر ترشحه والايماء اليه فقال لا أعرف ذلك ولكنى أصف لك من يصلح للملك أسماهم للمعالى وأطلبهم للادب واجزعهم من العامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من

الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتاب الزلف الخصال التى يستحق بها الملك من وجدت فيه وماذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها فى ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون وماذكره فى كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر أنه قال رأيت من انوشروان خصلتين متباينتين لم ار مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله فنحاه وزيره فامر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التى رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره فى المجلس ثم رأيته يوما ونحن عنده فى سر من تدبير شئ من المملكة وخدمه خلف فرشه وسرير ملكه يتحدثون فارتفعت أصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحالتين فقال لى لا تعجل فنحن ملوك على رعيتنا وخدمنا ملوك على ارواحنا ينالون منا فى خلوتنا مالا حيلة لنا معه فى التحرز منهم وكان انوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وايام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودى) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه فى مسيره فى سائر أسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة فى الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن انوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلى الباب والابواب فكان ملكه اثنتى عشرة سنة وكان متحاملا على خواص الناس مائلا الى عوامهم مقويا لهم مؤثرا للروبصية وتوابع العوام مقربا لهم بخواص الناس وقيل انه قتل فى مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر ألف رجل مذكور ولاثنتى عشرة سنة من ملكه تخرم عليه الملك وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان أزال أحكام الموبذان فخربت بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة ابن شب عظيم من ملوك الترك فى أربعمائة ألف فنزل نحو بلاد هراة وبلاد عيسى وبوشنج من أرض خراسان وسار اليه من اطراف أرضه طراخنة من الخزر فى جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الصقع بخيل أوقفت وملوك تهادفت وتواهبت

ما كان بينهامن الدماء مما يلى جبل الفتح وسار بطريق لقيصر فى ثمانين ألفا مما يلى الجزيرة.
وسار مما يلى اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعدوعليهم العباس المعروف بالاحول
وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز أمره واحضر الموابذة وذوى الرأى منهم من بعد
احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم
والاقبال على شابة بن شاب فانتدب لحربه بهرام جور بن مرزبان الرى وكان بهرام هذا
من ولد جرجير بن ميلاد من نسل انوس المعروف بالران فسار فى اثنى عشر ألفا وشابة
فى أربعمائة ألف فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب
وحيل فى الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله
وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمودة بن شابة ولده تحصن فى بعض القلاع من بهرام.
فنزل عليه بهرام فنزل برمودة على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام حملا من الغنائم
وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان فى خزائن
افراسياب من الاموال والجواهر التى كان اخذها من سياوخش وما كان بايدى
الترك من تركات هو حاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة
بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ماوصفنا من الاموال
والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزير هرمز ارتيحسيس وقد
نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال أعظم هذه زلته وعرض
لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم واغراه به فعصاه.
بهرام ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار
فانفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت فى أيديهم وعمل بها هرمز فلم يشك ان
ابنه ابرويز ضربها طلبا للملك فهم به هرمز وهو لا يشك ان ذلك من فعله ولم يعلم أن
الحيلة فى ذلك من بهرام فهرب ابرويز من أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد أذربيجان
وارمينية والران والبيلقان وحبس هرمز خالى ابرويز بسطام وتقدويه فأعملا الحيلة
فى محبسهما وخرجا فانضاف اليهما خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسملا عينيه
وأعمياه فلما نمى ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له فى ذلك
وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمى ذلك الى بهرام جور
فسار فى عساكره يؤم الباب ودار الملك فخرج اليه ابرويز فالتقيا على شاطئ النهروان.
والنهر بينهما فتواقفا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب.

انكشف فيها ابرويز لتخلف أصحابه عنه وميلهم الى بهرام فقام تحته فرسه المعروف بشبداز وهو المصور فى الجبل وهو ببلاد قرماسين من اعمال الدينور هو وأبرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من إحدى عجائب العالم وغرائب مافيه من الصور العجيبة المنقورة فى الصخر والفرس تذكر فى أشعارها وغيرها من العرب هذا الفرس المعروف لشبداز وقد كان ابرويز على شبداز فى بعض الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب سروجه ولجمه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك ما بقى سير يحيد به ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجازه ولما تلج هذا الفرس تحت ابرويز وقصر طلب الى النعمان فى المعركة أن يمن عليه بفرسه المعروف باليحموم فابى عليه ونجا عليه بنفسه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائى الى أبرويز وقد خانته الرحال وأشرف على الهلاك فاعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك انج على فرسى فان حياتك للناس خير من حياتى واعطاه ابرويز فرسه شبداز فنجا عليه فى جملة الناس ومضى ابرويز الى أبيه ففى ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائى

أعطيت كسرى ما أراد ولم أكن * لاتركه فى الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الضبيب وقد بدت * مسومة من خيل ترك وائلا

فكافأه ابرويز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار ابرويز من الهزيمة الى أبيه هرمز اشار عليه ان يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت فى مثل هذه الحالة انجدت فى خطب جرى بينه وبين أبيه فمضى ابرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام وبندويه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام ونظر فى مسيره ذلك اليوم الى خاليه وقد تأخرا عنه فاستراب بهما وبمن انضاف اليهما ممن كان معهم فسألهما عن السبب فقالا لسنا بآمنين أن يدخل بهرام الى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه وان كان أعمى ويصير هو الهرمزان وتفسير ذلك أمير الآمر والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق فيكتب بهرام عن أبيك هرمز الى قيصر ان ابنى ابرويز وجماعة انضافوا اليه وثبوا بى وسملوا اعينى فاحمله الى فيحملنا قيصر عليه فيأتى علينا بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى أبيك وقتله فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك وأظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما فرجعا من فورهما ومن يسرع معهما الى المدائن وقد صاروا على اميال منها فدخلا على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقتهم خيل بهرام وكانت منهم حيلة فى بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل

وسار ابرويز ففى هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شئ خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والجن والانس تجرى بينها البرد

وأسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك ولحق ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو موريقس مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسأله النصرة على عدوه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من امواله والاحسان الى جنده وانه يؤدى اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط وأهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم اقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ ومائدة من العنبر فتحها ثلاثة اذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بظلفه والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يمانى فاخر فتحه شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أرفع ما يكون فحمل اليه موريقس ملك الروم ألفى ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائنى المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس وغيرهم من الاجناس المجاورة لملك الروم على رءوسهن أكاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية وحملها اليه مع اخيه سدوس واشترط ملك الروم على ابرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه انوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تتزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم ولا تزوجها لانهم أحرار وانجاد وللفرس فى هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها فكانوا يقفون بمزدلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار انا رجل احمسى ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد اذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر وانضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جور ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره فالتقى الجيشان جميعا فتوجهت على بهرام فانكشف فى نفر من أصحابه وانتهى الى اطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن خف معه من أصحابه وأخته كردية وكانت فى الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول فى كثير

من حربه ومضى كسرى ابرويز الى دار مملكته وأمر لجنود موريقش بالاموال والمراكب والكساوى وكافأهم على ما كان منهم فى معونته وحمل اليه ألفى ألف دينار وقرن ذلك بهدايا كثيرة واموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ماوعده وخرج من كل ماأوجبه على نفسه واحتال ابرويز فى قتل بهرام فى أرض الترك فقتل هناك غيلة وذكر ان رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذى كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسى فنصب على باب ابرويز فى رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها اخبار فى الطريق مع ابن الخاقان وكاتبها ابرويز فى قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بأبيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد فى أخبار بهرام جور وما كان من مكايده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جواريها وعلابها وقد خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبر لامره حكيم من حكماء الفرس وهو بزرجمهر بن البختكان فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية فامر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ماأداك اليه عقلك ان صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر اما اذ كان معى الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلى فالآن اذلا جد معى فقد أنتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر وأغرى ابرويز ببزرجمهر فدعا به وامر بكسر انفه وفمه فقال بزرجمهر فى لاهل لماهو شر من هذا فقال ابرويز ولم ياعدو الله المخالف فقال لانى كنت اصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك واقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك مالم تكن عليه اسمع منى ياشر الملوك نفسا وأخبثهم فعلا وأسوأهم عشرة لاتقتلنى بالشك وترفع به اليقين الذى قد علمته منى بالتمسك بالشريعة من ذا الذى يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وأمر به فضرب عنقه ولبزرجمهر فى أيدى الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير فى الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بجبر ارنوس الوزير الثانى وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما رأى بزرجمهر قتيلا أسف عليه وعلم انه لاينجو فأغلظ لابرويز فى الكلام فامر به فقتل وأغرق فى دجلة فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وتدبير

الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص وعينه وعوامها وحملها على مالم تكن تعهد وأوردهم الى مالم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فانوس فيمن اتبعه على موريقش ملك الروم حمو ابرويز ومنجده فقتلوه وملكوا امو داس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش وكانت له فى ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكية فكانت له مع الروم وابرويز أخبار ومكاتبات وحيل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهريار وقدم خزائنه فى البحر فى ألف مركب فألقتها الريح الى ساحل انطاكية فغنمها شهريار وحملها الى ابرويز فسميت خزائن الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهريار ومايل شهريار ملك الروم فسير شهريار نحو العراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز فى كتب كتبها مع بعض اساقفة النصرانية ممن كان فى ذمته حتى رده الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قد أتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وفى ملك أبرويز كانت حروب ذى قار وهو اليوم الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وفصرت عليهم بى وكانت وقعة ذى قار لتمام أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان هاجر وفى رواية أخرى انها كانت بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهامرز صاحب كسرى ابرويز وقد أتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن ايراده فى هذا الموضع وفى أيام ابرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة وأنفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغسانى الى سطيح الكاهن فأخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من أخبار فيض وادى السماوة وما كان من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور فى أمر الملك منها خاتم فصه ياقوت أحمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس ذكر يختم به الرسائل والسجلات والخاتم الثانى فصه عقيق نقشه خراسان خره وحلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس وحلقته ذهب منقوش فيه الوحا يختم به اجوبة البريد والخاتم الرابع فصه ياقوت مورد نقشه بالمال ينال الفرح وحلقته ذهب يختم به الترايك والكتب فى التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو أحسن مايكون من الحمرة واصفاها وأشرفها

نقشه حره وحزم أى بهجة وسعادة حافتاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلى والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشى والخاتم السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب فصه بادزهر والخاتم الثامن فصه حماهن نقشه رأس خنزير يختم به أعناق من يؤمر بقتله وما ينفذ من الكتب فى الدماء والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابزن وكان على مربطه خمسون ألف دابة وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد ما لركابه من الخيل وكان على مربطه ألف فيل منها اشهب أشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وفى النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر واكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة اذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ فى اثمان ما عظم من الفيلة وارتفع من الارض وقد يكون من الوحشية فى أرض الزنج ما هو أعظم سمكا مما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ما تحمل من قرونها المسماة بالانياب ما وزن الناب خمسون ومائة من الى المائتين والمن رطلان بالبغدادى وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل وقد كان ابرويز خرج فى بعض الاعياد وقد صفت له الجيوش والعدد والسلاح وفيما صف له ألف فيل وقد أحدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرته الفيلة سجدت له فما رفعت رءوسها و بسطها خراطيمها حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية فلما بصر بذلك ابرويز تأسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم أجسامها ومعرفتها وحسن طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وأن غيرها من الدواب لا يفهم شيأ من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الفصول فى أخبار الفيلة وما قالته الهند وغيرهم فى ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى أن خلع وسملت عيناه وقتل ثمانيا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده) ولده قباذ المعروف بشيرويه القابض على أبيه والجانى عليه والقاتل له والفرس تسميه المشئوم وفى أيامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقليم فهلك فيه مائتا ألف من الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة أشهر وقيل أقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه

شيرويه أخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولى عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من أنطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع أبرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى ابرويز يقال لها آزرمى دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز) وقيل انه ابن لابرويز وكان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل فى الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا (ثم ملك رجل) من أهل بيت الملك من ولد سابور ابن يزدجرد الاثيم يقال له فيروز خشنس فكان ملكه شهرين (ثم ملكت ابنة لكسرى) ابرويز يقال لها آزرمى دخت فكان ملكها سنة واربعة أشهر (ثم ملك فرخزاد خسرو) بن كسرى ابرويز وهو طفل فكانت مدة ملكه شهرا وقيل اشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار) بن كسرى ابرويز بن هرمز بن أنوشروان قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه الى ان قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك فى مقدار ملكه وخبر مقتله (قال المسعودى) وذهب الاكثر من الناس ممن عنى باخبار الفرس وايامهم الى ان جميع من ملك من آل ساسان بن اردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت فى بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الاول وهم الفرس الاول من كيومرث الى دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهى جمانة بنت بهمن وافراسياب التركى وسبعة عشر رجلا وعدد ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى مقتل دارا بن دارا الى ان ظهر اردشير بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعن والران ومن أجلهم سمى سابور ملوك الطوائف الاشغان فجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بنى آدم على ماذكرت الفرس الى يزدجرد بن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ماملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزجرد ثمانون ملكا.

ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وارباب الكتب المصنفة فى التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سنى الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرث الى اقتقال الملك الى منوشهر الف وتسعمائة وثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن الاسكندر الى ملك اردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة اربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك فى الموضع المستحق له من هذا الكتاب دون ذكر الهجرة وخلافة ابى بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بنى أمية وبنى العباس لانا قد افردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الامويين والعباسيين ترجمناه بذكر التاريخ الثانى وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة اجناس الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال له الحداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرث الى افريدون ثم كيان من افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشعان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ماذكرنا فى باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه فى أخبار الفرس الذى رواه عن كسرى ان الفرس طبقات اربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوستاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباد الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشعانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع وهم الساسانية اولهم اردشير بن بابك ثم سابور ثم اردشير هرمز نرسى بن هرمز هرمز بن نرسى سابور بن هرمز اردشير ابن هرمز سابور بن اردشير سابور بن سابور بهرام بن سابور يزدجرد بن بهرام بهرام ابن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباد بن فيروز أنوشروان بن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباد فيروز خشنس آزرمى دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعد ان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ فى اعدادهم واسمائهم فاوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين وقد أتينا على أخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على

رءوسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث فى أعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من أحوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب جوامع من تاريخهم واعداد ملوكهم ولمع من بعض أخبارهم وكذلك ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وماحفر كل ملك منهم من الانهار واقرد بينائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها فى خواصها وعوامها وانساب اصحاب خيل الملك ومن كان على خيل كل ملك منهم فى الحروب وانساب حكمائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك فى اعصارهم وانساب المرازبة وذكر أولاد الطبقات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب أنسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التى شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون فى أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد بعد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فردا . بن بابك بن مرس بن كيومرث الملك وكان لوهكرت عشر بنين فابناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من تدهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ماذكرنا وله خمس وثلاثون سنة وخلف من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسها ومرادوزبد واكثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوى الدراية كما وصفنا (قال المسعودى) فاذ قد ذكرنا جوامع من أخبار الفرس وطبقاتهم فلنذكر الآن ملوك اليونانيين ولمعا من اخبارهم وتنازع الناس فى بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولى التوفيق برحمته ورضوانه

ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وماقاله الناس فى بدء أنسابهم

(قال المسعودى) تنازع الناس فى فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد اوراس بن ياوان بن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم

قبيل متقدم فى الزمان الاول وأنماوهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم فى السجية والمذهب فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت فى لغاتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص فى اللسان من اليونانيين وأضعف فى ترتيب الكلام الذى عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم (قال المسعودى) وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وأنه من ولد عابر بن شالخ وأن أمره فى الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك فى الشركة فى النسب وانه خرج عن ارض اليمن فى جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى اقاصى بلاد المغرب فاقام هنالك وانسل فى تلك الديار واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك فى اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا فى ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأى كثير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندى يذهب فى نسب يونان الى ماذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك باخبار نذكرها فى بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشى فى قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ماذكرنا آنفا فى صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف انى نظرت فلم أجد * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا
أتقرن إلحادا بدين محمد * لقد جئت شيأ يا أخا كندة ادا
وتخلط يونانا بقحطان ضلة * لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج يسير فى الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثينا وهى المعروفة بمدينة الحكماء فى ديار المغرب فى صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن أدركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه حرينوس فقال له يابنى انى قد وافيت الاجل وقربت من الحتم الواجب وانى راحل عنك ومفارقك ومفارق

اخوتك وأهل بيتك وقد كانت أحوالكم حسنة النظام بى وكنت كهفا فى الشدائد وعونا على المحن ومجنا فى الزمان فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التى عليها بنى العقل فان من ترك رأى اللب وثمرة العقل تورط فى المهالك ووقع فى مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده حرينوس على مكان أبيه وضم اليه أهله وولده ونما خيرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكير وأجناس الامم من الصقالبة وغيرهم وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس فى كتابه فيلبش وتفسيره محب الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلقوس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما أن سار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما أن كان من أمر الاسكندر بن فيلبش وهو الملك الماضى الذى هو أول ملوك اليونانيين على ماذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارانوس ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالب بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن لحق بهم من ملوك المشرق فى الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبش بن مصريم بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومى بن نويط بن نوفيل بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن نوح ونسبه قوم أنه من ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم ومنهم من رأى انه الاسكندر بن يونه بن سرحون ابن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى بن الاصفر بن اليغز بن العيص بن اسحق بن إبراهيم وقد تنازع الناس فيه فنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى أنه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى أنه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على

ابن أبي طالب رضي الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما ذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فأسكنها خلقا من اليمن وان ذا القرنين هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد ان ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج بابنة ملكها دارا ابن دارا بعد أن قتله ثم سار الى أرض السند والهند ووطئ ملوكها وحملت اليه الهدايا والخراج وحارب ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار فى مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبنى مدنا فى سائر أسفاره وكان معلمه أرسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفيسة وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وابانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها أو صحوها لمن استعجم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة شهرزور اشتدت علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات الاسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الامم وكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم وجعل بعد أن مات فى تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد أن طلى جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا وقام فوضع يده على التابوت فقال أصبح آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذى كان يخبؤ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال الحكيم الثالث ما ازهد الناس فى هذا الجسد وأرغبهم فى هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب ان القوى قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال الخامس ياذا الذى جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك هلا حققت من أملك الامتناع عن فوت اجلك وقال السادس أيها الساعى المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره

وفارقت أيامه فغنناه لغيرك ووباله عليك وقال السابع قد كنت لناواعظافما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له عقل فليعقل ومن كان مغترا فليغتر وقال الثامن رب هائب لك كان يغتابك من ورائك وهو اليوم بحضرتك لا يخافك وقال التاسع رب حريص على سكوتك اذلا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذلا تتكلم وقال العاشر أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال الحادي عشر وكان صاحب خزانة كتب الحكمة قد كنت تامرني أن لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك وقال الثاني عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وأدبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر ياعظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يامن ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعري كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر أعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام الهائد والهشيم البائد وقال السادس عشر أيها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الآن هذا الباقي وقال العشرون هذا الذي دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادي والعشرون ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال الثاني والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي انت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون في أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجلس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالجمع والادخار فالى من ادفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل أن أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن والعشرون

هـذه الدنيا الطويلة العريضة طويت منها فى سبعة أشبار القول التاسع والعشرون قول زوجته روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب ان غالب دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذى سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شرابه فقد خلف الكاس الذى تشرب به الجماعة القول الثلاثون ما يحكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه لئن فقدت من ابنى أمره فما فقدت من قلبى ذكره وقبض الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وتملكه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن إحدى وعشرين سنة وذلك بمقدونية وهى مصر وعهد الى ولى عهده بطليموس بن أذينة ان يحمل تابوته الى والدته بالاسكندرية وأوصاه ان يكتب اليها اذا أتاها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادى فى مملكتها ان لا يتخلف عنها أحد وان لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك مأتم الاسكندر بالسرور خلاف مأتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع التابوت بين يديها نادت فى أهل مملكتها على ما به أمرها فلم يجب احد دعوتها ولا بادر الى ندائها فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتى فقالوا لها أنت منعتيهم من ذلك قالت وكيف قيل لها أمرت ان لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزانى ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما اشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل فى تابوت من المرمر وطلى بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه فى ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد رصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هـذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها ونيلها فى الموضع المستحق له من ذلك فى كتابنا ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند ﴾

﴿ قال المسعودى ﴾ لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب ما ذكرناه من حمل الاموال والخراج اليه بلغه ان فى أقاصى ارض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وإنصاف للرعية

وانه قد أتى عليــه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهر النفسه مميتا لصفاته من الشهوة الغضبية وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب زائن فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك واعلمه انه قد اجتمع له قبله أشياء لا يجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه في علمه وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت في هذا العالم عرضا للآفات والحتوف والبلايا وقدح عندي اذا أنا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منــه شيء ولا يزيده الوارد عليه الادهاقا وأنا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندي ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب الي من ان لا تكون عندي ويهلك فأنفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين في عدة من الرجال وتقــدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الي ودعوا الرجل في موضعه وان تبينتم أن الامر بخلاف ذلك وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الي فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم بأحسن لقاء وأنزلهم أحسن منزل فلما كان في اليوم الثالث جلس لهــم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا في الاولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بهــا مجالسها أقبل عليهــم مباحثا لهم في أصول الفلسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب في المبادىء الاول وتشاحوا القوم ونظروا في موضوعات العلمــاء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهى بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورهم من العلويات ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقطع طرف واحــد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدى ببصره الى غيره وشغله تأمل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان

صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعى طبعه ثم أرادهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من أرضه فلما وردوا على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وأمر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى ومن أحضره من فلاسفته وحكمائه فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم والغاية التى اليها كان أصدرهم وأقبل ينظر الى مطاردة الهند فى عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها على ما قدمنا من أوضاعها ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما أخبر عنه فخلا بنفسه وأجال فكره فسنح له سانح من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة فى نفسه لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأجال فكره وسير المراد به ثم دعا بنحو الف ابرة فغرز أطرافها فى السمن وأنفذها الى الاسكندر فأمر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وأمر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبأن يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتأمل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وأمر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وأمر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك أمر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها فى الطست فوق الماء فطفت فوقه وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر الاسكندر الى ذلك أمر بتراب ناعم فملئت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال أنينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم افاق من ذلك الحال وزجر نفسه واقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يا نفس ما الذى قذف بك فى هذه السدفه وأصار بك الى هذه

الغمه ووصلك بهذه الظلمه أنسيت وأنت فى النور تمرحين وفى العلوم تمرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلم والمعانده والغشم والمفاسده تخطفك الخواطف وتنتهرك العواصف قد حرمت علم الغيوب والكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب ورفضت كل مطلوب أين مصادرك الطبيه وراحتك القويه حللت فى الاجساد فقوى عليك الكون والفساد. حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لا تشاهدين الا غافلا ولا ترين الا جاهلا قد زهد فى الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فراى النجوم تزهر فقال بأعلى صوته يالك من نجوم سائره وأجسام زاهره من عالم شريف طلعت ولشئ ماوضعت افك من عالم نفيس قد كانت النفس فى اعاليه ساكنه وفى اكنافه قاطنه فقد اصبحت عنه ظاعنه ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعنى التراب. ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد فتعجب الاسكندر من ذلك وعلم مرامى الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من النقلة مما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان فى صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتامل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال فى نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان اوحد زمانه ولست أشك ان هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابنى عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس فى وقته أحد يدانيه فى حكمته ولا يلحقه فى علمه وتأمل الفيلسوف الاسكندر فادار أصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة أنفه وأسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه فحياه بتحية الملوك فأشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث امره فقال له الاسكندر ما بالك حين نظرت الى ورميت بطرفك نحوى أدرت اصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة انفك قال تاملتك أيها الملك بنورية عقلى وصفاء مزاجى فتبينت فكرتك فى وتأملك لصورتى وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فأدرت أصبعى مصداقا لما سنح لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس فى الوجه الا أنف واحد فكذلك ليس فى دار مملكة الهند غيرى ولا يلحق أحد من الناس بى فى حكمتى فقال له

الاسكندر ما أحسن ما تأتى لك ماذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ماوصفت فدع عنك هذا ما بالك حين أنفذت اليك قدحا مملوءا سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الى قال الفيلسوف علمت أيها الملك انك تقول ان قلبى قد امتلأ وعلمى قد انتهى كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمى يستزيد فى علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر فى هذا الاناء قال فاخبرنى ما بالك حين عمل من الابر كرة وأنفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت أيها الملك انك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب فى فهم الغايات والعلوم والحكمة فاخبرتك مجيبا ممثلا بسبك الكرة والحيلة فى أمرها بجعلى منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتنى عن مرادى فاخبرنى أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة فى الطست ورسبت فى الماء جعلتها قدحا فوق الماء طافية ثم رددتها الى قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك ان الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير فى المهل القليل فاجبت الملك ممثلا انى سأعمل الحيلة فى ايراد العلم الكثير فى المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالى للمرآة من بعد كونها راسبة فى الماء حتى جعلتها طافية عليه قال له الاسكندر صدقت فاخبرنى ما بالك حين ملأت الاناء ترابا ورددته الى ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتدل الذى هو الارض ودثورها وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئى قال الاسكندر صدقت ولاحسنن الى الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو أحببت المال لما أردت العلم ولست أدخل على علمى ما يضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان الغنية توجب الخدمة ولسنا نجد حاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذى يصلح النفس الفلسفة وهى صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضدها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه واعلم أيها الملك أن بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارىء جل وعز فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل وزلل وأشبه الاشياء من أفعال الناس بافعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك

بسيفك وصولة ملكك وتانيك فى أمورك وانتظام سياستك أجسام رعيتك فتحرأن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهى خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فاحترز من ان تقول تأمن من أن تفعل فالملك السعيد من تمت له رياسة أيامه والملك الشقى من انقطعت عنه فمن تحرى فى سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة (قال المسعودى رحمه الله) وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فلحق بارضه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة فى أنواع من العلوم ومكاتبات ومراسلات جرت بين الاسكندرو بين كند ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها فى كتابنا فى أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبى البشر عليه السلام بارض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة فى أوائل المعرفة وصنعة الطب وترقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى الاختصار فى هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذى تدعيه الهند فى صنعة الطب وغيرها وقد كان للاسكندر فى أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائى ديارهم وبعد أوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب صورهم وتباينهم فى شيمهم وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من السير وما أحدث من الابنية قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سميناو غير ذلك مما عن وصفها أمسكنا وانما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شىء منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته وبالله التوفيق

﴿ ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر ﴾

(ثم ملك بعد الاسكندر) الملك خليفته بطليموس وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالى للملك الاسكندر حروب مع بنى اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من

أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم انه أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب فى بعض الايام فى طربه الى بعض منتزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا علا صب واذا سفل خفق واذا أراد ان يستوى ذرق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتها وكمال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح ينبغى أن تتزين به الملوك فى مجالسها فأمر أن يجمع منها عدة لتكون فى مجلسه زينة فعرض لباز منها أيم وهو الحية الذكر فوثب عليه البازى فقتله فقال الملك هذا ملك يغضب مما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازى فأفلت الاحر يصا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فأكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وثنى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الجبل الفتح والابواب جملا من أخبارها وأخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وأنشأها على منازلها ودرجاتها وهى أربعة أجناس وثلاثة عشر شكلا فأما الاجناس الاربعة فهى البازى والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال على طريق الخبر فى الكتاب الاوسط على مراتبها من سائر أنواع الحيوان الجوارح ودلائلها وما قاله الناس فى ذلك (ثم ملك بعد بطليموس) هيفلوس وكان رجلا جبارا وفى أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام لشبه دخلت عليهم وأنها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه وتدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل أربعين وقد قيل ان الذى تملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثانى محب الاخ وغزا بنى اسرائيل ببلاد فلسطين وايليا من أرض الشام فسباهم وقتل منهم وطلب العلوم ثم رد بنى اسرائيل الى فلسطين وحمل معهم الجواهر والاموال وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذى بنى مدينة أنطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها أحد عجائب العالم فى البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا

عشر ميلا عدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجا وجعل عدد شرافاته أربعة وعشرين ألف شرافة وجعل على كل برج من الابراج بتولة بطريق أسكنه اياه برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات والبطريق فى أعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها أبواب حديد وآثار الابواب ومواضع الحديد بين الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأظهر فيها مياها من أعين وغيرها الاسبيل الى قطعها من خارجها وجعل اليها مياها منصبة فى قنى مخرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها فى هذه المياه مايستحجر فى مجاريها المعمولة من الخزف لترادف البصر فيها فيترا كم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد فى كسره وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب وماشاهدناه حسا ونمى الينا خبرا ممايولده ماء انطاكية فى أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم ومايحدث فى معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد أراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ماذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم تفاريح الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليموس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذى بنى مدينة فامية بين حمص وانطاكية (ثم ملك) بعده على اليونانيين بطليموس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى وغيره أربعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس محب الام خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الصانع سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الاسكندرانى اثنتى عشرة سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديدى ثمان سنين (ثم ملك) بعده بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت) بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت ايامهم وامتحت آثارهم وزالت علومهم الا مابقى فى أيدى حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر ظريف فى موتها وقتلها لنفسها

وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها فى ملك مقدونية وهى بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم الثانى من ملوك الروم ومن بلاد رومية وهو اغسطس وهو أول من سمى قيصر واليه تنسب القياصرة بعده وسنذكر خبره فى ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطره الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره فى دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهى نوع من الحيات تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من أعضائه قفزت أذرعا كثيرة كالريح فلم تخطئ ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتى عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات فجأة حتف أنفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحامردوية بين مدينة دروق وبلاد الياسيان والعندم فى الماء وهى حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون فى الرمل وفى جوف تراب الأرض فاذا أحست بالانسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها الى أى موضع من ذلك الحيوان فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحينه فبعثت قلبطره هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التى توجد باطراف الحجاز فلما ان كان اليوم الذى علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وأن لا يلحقها العذاب بعدها فسمتها فى انائها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطره الملكة على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية فجفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والاصباغ فدخلت فى تلك الرياحين

ودخل أغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها يلمسه ويتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها النفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من التماء الحية بين الرياحين فقال فى ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله ومانزل به وقصتها وأقام بعد مانزل به ماذكرنا يوما وهلك ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه فى يومهم ويرثون به ملوكهم ورد بماذكروه فى اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقائل فلاسفتهم وغير ذلك من أسرارهم وعجيب أخبارهم والذى يعول عليه من عدد ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة باخبارهم ان جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطره وان جميع عدد سنى ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الاسكندر بن فيلبس يسمى بطليموس وهذا الاسم الاعم الشامل لملكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشى وتسمية ملوك الزنج وهليمن وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر ملوك الروم وما قاله الناس فى أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم ﴾

تنازع الناس فى الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم فنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها رومانس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمى من كان بها روما وكذلك الروم فى لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور الا رميس ومنهم من رأى ان هذا الاسم اسم للاب وهو روم بن سماحلين بن هربان بن عقلا بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ومنهم من رأى انهم سموا باسم

جدهم رومى بن ليطن بن يونان بن يافث بن ربه بن سرحون بن رومية بن مربط ابن نوفل بن روين بن الاصفر بن اليغز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الاسلام ذلك الاشتهار ماوصفنا فيهم منهم عدى بن زيد العبادى حيث يقول

وبنو الاصفر الكرام ملوك الر * وم لم يبق منهم مذكور

وقد كان العيص بن اسحق وهو عيصو تزوج من بنات الكنعانيين فأكثر أولاده منهم وقد قيل ان العماليق وهم العرب البادية الذين كانوا بالشام من ولد اليغز بن عيصو وهذا مالا ينقاد اليه علماء العرب الا فى الروم دون ماذكرنا من العماليق وغيرهم وهذه الانساب كلها تتعلق بما فى التوراة وغيرها من كتب العبرانيين (قال المسعودى) وغلبت الروم على ملك اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر فى هذا الكتاب شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر بن روم بن سماحلين فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أول من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس بن افليوس ثمان عشرة سنة وفى نسخة أخرى ان أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين يوليس سبع سنين ونصفا وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة (ثم ملك) بعده اغسطس بن قيصر ستا وخمسين سنة وهذا الملك هو الاول من ملوك الروم واسمه قيصر وهو الثانى من ملوكهم وتفسير قيصر أى شق عنه وذلك ان أمه ماتت وهى حامل به فشق بطنها فكان هذا الملك يفتخر فى وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أمهم فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم والله أعلم * وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وأزال من بقى من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهى مصر وقد قدمنا ان كل ملك كان يلى مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس واحتوى هذا الملك أعنى اغسطس على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وكانت له حروب كثيرة فى الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم مدنا وكورا نسبت تلك المدن اليه منها قيسارية وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو يسوع الناصرى على حسب ماقدمنا لاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس

هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية فى بعض تواريخ الروم الملكية فى كنيسة القسبان انه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد يسوع الناصرى بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية فمن هبوط آدم الى مولد المسيح فى تواريخ اصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام اغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفى سائر أسفاره ستا وخمسين سنة على حسب ماقدمنا من موته ولسع الحية اياه بعقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا الفعل قلبطره بنفسها فى الباب الذى قبل هذا الباب (ثم ملك الروم بعده) طيباريوس وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح عليه السلام ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع فى الملك مائتى سنة وثمان وتسعين سنة لانظام لهم ولاملك يجمعهم ولما انقضى ماذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطاريس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لايعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع فى قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان فى أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسميه سمعان هو وبولص صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما من أتى الى انطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما فى سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا فى أجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية فى بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وأكثر من عنى بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما قتلا برومية فى ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصرى فى الارض فسار مارا الى العراق فمات بمدينة برمى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط وهذا البلد بلد على بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هناك فى كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من

الاثنى عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعة المسيح فمات هناك وسار آخر الى آخر مدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم اردمات ببلاد قوف وحا البحار وكرخ حران فى تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارقس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هناك وهو أحد التلاميذ الاربعة الذين ألفوا الانجيل وقد كان لمارقس مع أهل مصر خبر ظريف فى مقتله قد أتينا على السبب فى ذلك فى كتابنا الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب انه من جاءكم على صورتى فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدى اناس يتشبهون بى فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم مايقولون ومضى وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم فلما هموا بقتله قال لهم ويحكم أنا مارقس قالوا الاقد أخبرنا أبونا مارقس وعهد الينا بقتل من يتشبه به قال فانى أنا مارقس قالوا لاسبيل الى تركك ولا بد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل فى بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زر ثيابه وأتزر بمئزر صوف على ان يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان امره بعد ذلك على ماوصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيي ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا فى غير الاثنى عشر ولا ادرى ما معناهم فى ذلك والاثنان اللذان من الاثنى عشر يحيي بن سيداى ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذى ورد انطاكية وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور فى القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس فى سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس أباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) فيرون واستقام ملكه ورغب على حسب ماقدمناو نمى دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسباسيانوس مشتركين فى الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سار الى الشأم وكانت لهما مع بنى اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيهما من بنى اسرائيل ثلثمائة ألف وخرب بابيت المقدس واحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما للاصنام

ووجدت فى بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذى خربت فيه بيت المقدس ان يسبى كل يوم منهم سبى يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبى واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) ذو نسطناس خمس عشرة سنة عابدا للتماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس سنة (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادرياليس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب سائر ما بنى بنو اسرائيل بالشام (ثم ملك بعده) انطاوليس برومية ثلاثا وعشرين سنة وبنى بيت المقدس وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولد له يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثانى أربع سنين يعبد التماثيل وفى آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماميا س وتفسير مامياس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عردياس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) يعريس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن فى قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب اصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس فى اصحاب الكهف والرقيم فنهم من رأى ان اصحاب الكهف هم اصحاب الرقيم وزعموا ان الرقيم هو ما رقم من أسماء أهل الكهف فى لوح من حجر على باب تلك المغارة ومنهم من رأى ان اصحاب الرقيم غير اصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بأرض الروم وقد حكى أحمد بن الطيب عن مروان السرخسى تلميذ يعقوب ابن اسحق الكندى عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بخارى وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر اصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم

(١) فيه أن الملك الذى هرب منه اصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما فى القاموس وكتب التفسير كتبه مصححه الاول

وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبر نا عن السد الذى بناه ذو القرنين ما نعاليأجوج وماجوج (قال المسعودى) وجدت فى كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب فى الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغانى المنجم وتكلم عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب الذى قتله المعتضد بالله لماذكر قامن الكهف والرقيم رسائل قد أتينا على ما قيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك حابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له فارس نحوا من سنتين (ثم ملك بعده) فليطاليس عشر سنين (ثم ملك بعده) قسطنطين (قال المسعودى) والذى وجدت فى الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الكتاب تسعة وأربعون ملكا وجميع عدد سنى ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ماذكرنا من الخلاف فى صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هلانى أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ فى هذا المعنى مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم واكثرها بالرومية فحكينا من ذلك ما تأتى وصفه ولهؤلاء الملوك اخبار وسير هى موجودة فى كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها فى كتابنا فى أخبار الزمان وما شيدوا من البنيان وما كان لهم فى هذا العالم من الاسفار وبالله التوفيق

﴿ ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم ﴾

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطاليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهى مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له فى بنائها خبر ظريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله فى دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها

المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند ذكرنا الاخبار مصر من هذا الكتاب وهى التى بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد دين النصرانية وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فانها بنتها هذه الملكة هلانى أم قسطنطين وقد جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم فى أحرفهم هاء وأحرف هلانى خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ماذكرناه هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر اسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فأقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السندوسات واحدها سندوس فالاول بنيقية على ماذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على ارينوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السندوس أيضا والسندوس الثانى بالقسطنطينية على مقدونوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسندوس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل والسندوس الرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا والسندوس الخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان فى ملكه المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن هلانى فى دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج فى بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه فى بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير نخاف البوار فرأى فى النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلام على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها فى النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه

الدير فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ماذكرنا ودفعها فى عسكره و زحف الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون ذلك فى شئ من الآراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشأم مجمع لهذا المذهب وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشأم والى بيت المقدس فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فاتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ماذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفى وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاد الموضع القسطنطينية ووروده الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وان خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجرى الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشأم ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه فى الموضع الذى يأخذ من بحر مانطش نحو من عشرة أميال وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى سباه تمنع من يرد فى هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية فيصير عرضه وهو موضع العبور من الجانب الشرقى الى الموضع الغربى الذى فيه القسطنطينية نحوا من أربعة أميال وعليه العمائر وينتهى فى ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين فى فم هذا الخليج مما يلى بحر الشأم ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه من يردمن مراكب المسلمين فى الوقت الذى للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرنى أبو عمير عدى بن حاتم بن عبد الباقى الازدى وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية فى هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلى بحر مانطش ونيطش وربما يتبين فى الماء الجرى مما يلى بحر الشأم فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل فى بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع

غلام ازارقة وقد كانوا دخلوا الى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة أنهم وجدوا الماء فى هذا الخليج يقل فى أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومى وان فى مدخله من بحر الروم مدينــة تقرب من فم الخليج والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلى الشرق ومما يلى الشمال وفى الجانب الجنوبى البر وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس وأعلى موضــع فى سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن أقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلى البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ماوصفنا لهذه البحار (قال المسعودى) ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء فى الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعنى الارثماطيقى وهو علم الاعداد والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقى وهو علم تأليف اللحون ولم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة الاقطار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية فى الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا اسبلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهــم أوضحته وكان من شريف ماتركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها تبتهج عند سماعه وتحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفــة كانت تعذرت عن المنطق ليست فى قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليهــا ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعــة فجعلوا الزير بازاء المرة الصــفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول فى الموسيقى وأصحاب الملاهى والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمــة من الامم من أصــناف الملاهى من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار وممازجة النفس والالحان وكيفية تولد الطرب وأنواع

السرور وذهاب الغم وزوال الحزن وعلل ذلك الطبيعية والنفسية وما أحاط بذلك من جميع الوجوه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على ظريف أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب فى غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا لمعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين بن هلانى الملك المتنصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضى وكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية (ثم تملك) ابن أخى قسطنطين الاول بوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو بوليانس المعروف بالحنفى وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس البرياط وغزا العراق فى ملك سابور بن أردشير بن بابك فأتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق فى جنود لا تحصى ولم يكن لسابور حيلة فى دفعه ولقائه لمفاجأته اياه فانصرف سابور عن اللقاء الى الحيلة فى دفعه وكان من أمره ما وصفنا وكان ملكه الى ان هلك سنة وقيل أكثر من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس جزع من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مريناس وقيل انه كاتب الماضى فأبى عليهم أن يتملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فأجابوه الى ذلك وضايق سابور القوم وأحاط بعساكرهم فكان لمريناس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أتلف من أرضه بأموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيد هيا كل فى دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى أيامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم فى الشمال وللناس ممن عنى بعلم الفلك وازورار الشمس عن كهفهم فى حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى فى كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن

كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد أوانيس) عرامطنامس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم فى روح القدس عندهم واحرقوا مقدويس بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثانى (ثم ملك بعده) بدرسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبنى كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدى فى كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من أهل أصبهان وانهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب أنهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبد الله بن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والاخبار والاشهر من أمرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك الاندلس من الازارقة واحدهم أزريق وقد تنوزع فى دياناتهم فمنهم من رأى أنهم كانوا على دين المجوس ومنهم من رأى أنهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسيس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بمدينة أفسس وجمع مائتى أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذى قدمنا ذكره آنفا ولعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الحية التى وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسى بالاسكندرية وما كان من نسطورس وقفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان فى بدريا زوجة الملك الى ان نفى نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يأبون هذه الاضافة الى نسطورس ويكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأى المشارقة فى الثالوث وهو الكلام فى الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك بدرسيس الى أن هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرقيانوس (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفى أيامها كان خبر اليعاقبة من النصارى ووقوع

الخلاف بينهم فى الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد فات وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسى اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة أنطاكية وكذلك لهم كرسى بمصر ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين وهما مصر وأنطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر بن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وفى أيامه أحرم مسعرة اليعقوبى بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا وفى تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجتماع هو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا تعتد بهذا السندوس ولهم خبر ظريف فى قصة سوارى البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعى ودعوته الى مذهب سوارى واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعى هذا وبه عرفت وكان من أهل أنطاكية يعمل البراذع (ثم ملك بعد اليون الاصغر) ابنه ليون سنة على دين الملكية (ثم ملك بعده) بيرو هو من بلاد الارمينيان وكان يذهب الى رأى اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دار الملك فظفر بهم (ثم ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوز اود فائن عظيمة وكان ملكه الى أن هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطايانس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهى احدى عجائب العالم والهيا كل المذكورة وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك أن يسوع الناصرى حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى ان قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أعطى هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن أخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأى الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين وأظهر فى ملكه أنواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده)

مور يقس عشرين سنة ونصر كسرى أبرويز على بهرام جور فقتل غيلة وبعث ابرويز غضباله بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ماقدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا فى بعض الجزائر قبل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبنى الكنائس ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى

﴿ ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام ﴾

. (قال المسعودى) وجدت فى كتب التواريخ تنازعا فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فنهم من ذهب الى ماقدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى أن مولده عليه الصلاة والسلام كان فى ملك نوسطورس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذى فى كتب الزيجات فى النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفى تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف أن ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام او أيام أبى بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا فى اليسير منها وفى تواريخ أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده قيصر بن قيصر) وذلك فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل بن قيصر) وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل ابى عبيدة ابن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام وكان الملك على الروم مورق بن هرقل فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه (ثم ملك) مورق بن مورق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأيام معاوية بن أبى سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان المختلف بينهما فياق الرومى غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان بشره بالملك وأعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ثم يؤول الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ أميرا على الشام لعثمان فى خبر طويل قد أتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم

عن اسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق فى الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من ايام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون بن قلفط) فى أيام عبد الملك بن مراون وكان الملك بعده جيرون بن لاون فى أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة بن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم فى البر والبحر فملكوا عليهم رجلا من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك فى خلافة ابى العباس السفاح وابى جعفر المنصور أخيه (ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين) وذلك فى أيام المهدى والهادى (ثم ملك بعده قسطنطين) بن اليون وكانت أمه ارين ملكة معه مشاركة له فى الملك لصغر سنه فى أيام هرون الرشيد فمات قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم يعفور (١) بن اسدراق) وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فاعطى القود من نفسه بعد بغى كان منه فى بعض مراسلات فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفى انقياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى اصبحت بالدين معنيا * واصبحت تسقى كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فأنت الذى تدعى رشيدا ومهديا
اذا ماسخطت الشئ كان مسخطا * وان ترض شيأ كان فى الناس مرضيا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا * فأوسعت شرقيا واوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى * فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى * نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله ان صفى لهارون ملكه * وكان قضاه الله فى الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا * وأصبح يعفور لهارون ذميا

(١) قوله يعفور كذا بالنسخ لكن فى تاريخ ابن خلدون نغفور بالنون ثم الغين المعجمة هنا وفى كل ما يأتى اه

فلما عوفى الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقدها به الناس ان يخبروه بغدر يعفور فقال

نقض الذى أعطاكه يعفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية ان أتى * بالغدر عنه وافدو بشير
ورجت بيمنك ان تعجل غزوة * تشفى النفوس فكالها مذكور
يعفور انك حين تغدران نأى * عنك الامام لجاهل مغرور
لظننت حين غدرت انك مفلت * هبلتك أمك ماظننت غرور
ان الامام على اقتصادك قادر * قربت ديارك أم نأت بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا * عما يسوس بحزمه ويدير
ملك يجود الى الجهاد بنفسه * فعدوه ابدا به مقهور
يامن يريد رضا الاله بسعيه * والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش امامه * والنصح من نصحائه مشكور
نصح الامام على الانام فريضة * ولاهله كفارة وطهور

وهى طويلة فلما أنشده أياها قال الرشيد أوقد فعل وعلم أن الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك فى سنة تسعين ومائة وأخبرنى أبو عمير عدى ابن أحمد عبد الباقى الازدى ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهله الثغور وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين وابو أسحق الفزارى صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أى شئ تقول فى نزولنا على هذا الحصن فقال هذا أول حصن لقيت من حصون الروم وهو فى نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بأبى اسحق الفزارى فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا أمير المؤمنين هذا حصن بنته الروم فى بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالاهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا فى التدبير والرأى عندى أن يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق

كثير من المسلمين وفنيت الازوادو العلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فأحضر
أبا اسحق الفزارى فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فما الرأى الآن عندك فقال
يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد
والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد
المباشرة فيكون ذلك نقصا فى الملك ووهنا فى الدين واطماعا لغيره من الحصون فى
الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأى يا أمير المؤمنين ان تأمر بالنداء فى
الجيش أن أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل على المسلمين
وتأمر بقطع الخشب وجمع الاحجار وبناء مدينة بازاء هذا الحصن الى ان يفتحه الله
عز وجل ولا يكون هذا الخبر ينمو الى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله
عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فأمر الرشيد من ساعته
بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى
أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون انفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمير
ابن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة
بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزادفيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى
اشتراها له فبلغت من قلبه وبنى لها نحو الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه
هرقلة يحاكى به حصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جميعه فى كتابنا
الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة * وأخبرنا أبو
بكر محمد بن الحسين بن دريد قال اخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت
مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا مكتوبا عليه
باليونانية فجعلت اترجمه والرشيد ينظر الى وانا لا اعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن
الرحيم يا ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط
السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من اجلك وبقية عمرك يأت
الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل
حليلته ومقترا لنفسه موفرا الخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم
زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على وادو خندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل
الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة
والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من أهلها كاجمل

الرجال قد خرج فى أكمل السلاح فنادى يامعشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج
الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن
الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم
ايقاظه فقيل له ياأمير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه و يطغيه و يجرئه ان يخرج
فى غد فيطلب المبارزة و يعود لمثل قوله فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له
اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة
القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب فاذن
لبعضهم وفى مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزارى فدخلوا فقالوا ياأمير المؤمنين
قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحرب ومتى خرج
واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر
عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحدنا صيت فان رأى أمير المؤمنين ان
يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا
ياأمير المؤمنين فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزرى مشهور فى الثغور موصوف
بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا
وسيفا ورمحا وترسا فقال ياأمير المؤمنين أنا بفرسى اوثق ورمحى فى يدى اشد
ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد واتبعه بالدعاء وخرج
معه عشرون من المتطوعة فلما انقض فى الوادى قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا
واحدا انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا بأس فنادوه ليس يخرج
لك منا الا رجل واحد فلما انفصل منهم ابن الجزرى تأمله العلج وقد أشرف أكثر
الروم من الحصن يتأملون صاحبهم فقال له الرومى اتصدقنى عما أسألك عنه قال نعم قال
أنت ابن الجزرى بالله قال اللهم نعم فكفء له قال بلى كفء ثم أخذا فى شأنهما فاطعنا
حتى طال الامر بينهما وكاد الفرسان ان يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش
صاحبه ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه واقتضيا سيوفهم وقد
اشتدت الحرب عليهما وتبلد جواداهما فجعل ابن الجزرى يضرب الرومى الضربة التى
يظن أنه قد بالغ فيها فيتقيها الرومى وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر
ويضربه الرومى فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزرى كانت يمانية وكان العلج يخاف أن
يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزرى

فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعطعط المشركون من حصنهم وإنما كانت حيلة من ابن الجزرى فاتبعه العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزرى رماه بوهق فاختطفه من سرجه ثم عطف عليه فما وصل الى الارض حتى فارقه رأسه وكبر المسلمون وانكسر المشركون و بادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد ان يجعلوا فى حجارة المجانيق النار فلبس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقيل انهم نادوا بالامان فامنوا وافتتاحها عنوة أشهر من قول قال انها فتحت صلحا فقال فى ذلك الشاعر المكى

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا * خوائما ترتمى بالنفط والنار

كان نيرانها من جنب قلعتهم * مصقلات على أرسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره فى ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت الاموال على ابن الجزرى وقود وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسال ان يعفى و يترك على ماهو عليه ففى ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة بالخراب * من الملك الموفق للصواب

غدا هرون يرعد بالمنايا * و يبرق بالمذكرة العضاب

ورايات يحل النصر فيها * تمر كانها مر السحاب

أمير المؤمنين ظفرت فاسلم * وأبشر بالغنيمة والاياب

وللرشيد مع يعفور هذا بعد ذلك اخبار كثيرة قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا الاوسط وما كان من خبره فى ارساله ليحيي بن الشخير حين أمره ان يتطارس على يعفور وما كان من يعفور وأخباره لبطارقته ان الرشيد بعث بهذا متصانما وما طالبه ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه أينما كان من ماء عين العشيرة وهى عين اليديدون وهى فى نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه أمسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد يعفور) استراق بن يعفور بن استراق فى أيام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك قسطنطين قلفط وكان ملك قسطنطين هذا فى خلافة المأمون (ثم ملك بعده) نطر نوفيل وذلك فى خلافة المعتصم وهو الذى فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخاييل بن نوفيل وذلك فى خلافة الواثق

والمتوكل والمنتصر والمستعين (ثم كان بين الروم تنازع في الملك) فملكوا عليهم توفيل ابن ميخاييل بن توفيل (ثم غلب على الملك نسيل الصقلبي) ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ملكه أيام المعتز والمهتدي وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون ابن نسيل بقية أيام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد (ثم هلك فملكوا عليهم ابناله يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا أمره فخلعوه وملكوا عليهم أخاه لاوي بن اليون ابن نسيل الصقلبي وكان ملكه بقية أيام المعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك أرميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبي بابنته وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة ابي اسحق المتقي بن المقتدر وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور ارميوس المتغلب ثم الثاني وهو قسطنطين بن لاوي بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اسطفانوس وجعل أرميوس ابناله آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذي يأخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى الكنيسة وأمر الروم يدور في وقتنا هذا على ماذكرنا من ملوكهم (قال المسعودي) فالى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم على حسب ماذكرنا والله أعلم مايكون من أمرهم في المستقبل من الزمان فعدد سني ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين بن هلاني وهو المظهر لدين النصرانية على ماذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا في هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلاني اثنان وأربعون ملكا في مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عني بأخبار العالم الى ان من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعا وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار ملوكها وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب)

﴿قال المسعودى﴾ ذكر الله جل ثناؤه مصر فى مواضع من كتابه فقال عز وجل وقال الذى اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر فى شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو اب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب قد أحاطت المياه بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا فى الزوارق وأما المسكة السوداء فان فى شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمردة الخضراء فان فى شهر طوبة وهو كانون الثانى وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار تلمع ويكثر عشبها ونباتها فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فان فى شهر برمودة وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤونة وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك فى الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم نعب وحر وبهم حرب وهى لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومى فليس للمسلمين عليه من المدن الى المصيصة وكفربيا ذو مجراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدئهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومصبهما فيما سلف من هذا الكتاب وانه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة وغيرها مما اشتهر من الانهار الكبار وقد قالت العرب فى النيل انه اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض

زادت فزياداتها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصري

يغيض ان زادت له الانهار * فى الارض ذات العرض والمقدار

وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وتوالى الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فتحبسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع فى النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار فى أخبار الزمان فى الفن الثانى فأغنى ذلك عن اعادتها فى هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى يبدء النيل منه وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق وقد روى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شأنها عجيب * ونيلها تجرى به الجنوب

وهى مصر واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد قال عمرو بن معديكرب

ماالنيل أصبح واحدا بعدوده * وجرت له ريح الصبا فجرى لها

عودت كندة عادة محمودة * فاصبر لجاهلها وروسجالها

(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤونة وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو أيلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلا وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا وفى ذلك كفايتها ورى جميع أرضها واذا زاد على السبع

عشرة وبلغ ثمان عشرة ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر
لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة
ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا
وقد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين فى خلافة
عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا
ومن اثنى عشر ذراعا الى مافوق يصير الذراع أربعا وعشرين أصبعا وأقل مايبقى فى قاع
المقياس من الماء ثلاث أذرع وفى قيل تلك السنة يكون الماء قليلا والاذرع التى
يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهى الذراع الثالثة عشر
والذراع الرابعة عشر فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعنى ثلاث عشرة واربع
عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا
لكل البلدان الا أن يأذن الله عز وجل فى زيادة الماء واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست
عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج
السلطان والترع التى بفيضة مصر أربع امهات اسماؤها ترعة ذنب التمساح وترعة
بلقينة وخليج سردوس وخليج ذات الساحل وتفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا
فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو أيلول وقد قدمنا خبر تسمية
هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر
من ماء طوبة وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى من طوبة وأصفى
مايكون النيل فى ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت وفيه
تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر شأن
عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبة وستة من
كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد
ابن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد
أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ماأسرج أهل مصر من
المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى
منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون
الحضور ويحضرون كل مايمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات
الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر

وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون ان ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودى) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فانى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون ان يوسف النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجئ الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولى عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة وهى الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربى من الفسطاط والجانب الشرقى وهذا المقياس الذى اتخذه اسامة بن زيد التنوخى هو أكثرها استعمالا واتخذ ذلك فى أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالفسطاط وقد كان من سلف يقيسون بالمقياس الذى بمنف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس الجزيرة المعمول فى أيام سليمان بن عبد الملك وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لاحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان بمصر سبع خلجانات فنها خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا وذلك ان جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوّله الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع اذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا وكان الذى ولى حفر خليج سردوس لفرعون عدو الله هامان فلما ابتدأ فى حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجرى الخليج الى تحت قراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما فى أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردد على أهل كل قرية ما أخذته

منهم ففعل ذلك هامان وردعلى أهل كل قرية ماأخذ منهم فليس فى الخلجان التى بأرض مصرأ كثر عطوفاوعزاقيل من خليج سردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذى حفرهمايوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك أن الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه فى البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلى من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قال المسعودى) وقد تنازع أهل الملة فى تصرف المؤمنين مع الفاسقين فنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ماوسع يوسف معاونة الكفار والتصرف فى أوامرهم ونواهيهم ومنهم من رأى ان ذلك جائز على مايوجبه احوال الوقت والاصلح للحال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وخلجانها من المرتفع والمطاطى ومطاطى المطاطى وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته ارضها بعد كونها خربة ومصفاة لمياه الصعيد وهى جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر اقطارها فقد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط فاغنى عن أعادته فى هذا الكتاب وكذلك فى تسمية الفيوم فيوما وان ذلك ألف يوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على مازعم أهل الخبرة والعناية باخبار شأن العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط فى وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من أسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه ومانيقل من النوبة بتيامن موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ماوصفنا عن صاحب المنطق من عمران الارض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر وطرقوا الماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا فى وجهه المسناة الا ان ذلك خفى على ساكنها الان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من أخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التى تداولتها والملوك التى سكنتها من العرب وغيرها الا انا قد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وسنذكر بعد

هذا الموضع جملا من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من أمر الاسكندر فيها (قال المسعودى) وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالى بلاد مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الاقباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل وانه علامة بمصر وأرضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر فى الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من أنواع البيضان والسودان وانه ذو معرفة بهيئات الافلاك والنجوم وأحكامها فبعث أحمد بن طولون برجل من قواده فى أصحابه فحمله فى النيل اليه مكرما وكان قد انفرد عن الناس فى بنيان اتخذه وسكن فى اعلاه وقد رأى الرابع عشر من ولده وولد ولده فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر الى رجل دلائل الهرم فيه بينة وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة والحواس سليمة والقضية قائمة والعقل صحيح يفهم عن مخاطبه ويحسن البيان والجواب عن نفسه فاسكنه ببعض مقاصيره ومهدله وحمل اليه لذيذ المآكل والمشارب فابى ان لا يتواطأ على شيء وان لا يتغذى الا بغذاء كان حمله معه من كعك وغيره وقال هذه بنية قوامها بما ترون من هذا الغذاء وهذا الملبس فان أنتم رمتموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما أوردتموه عليها من المآكل والمشارب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه البنية وتفريق هذه الصورة فترك على ما كان عليه وما جرت به عادته وأحضر له أحمد بن طولون من حضره من أهل الديار وصرف همته عليه واخلى نفسه له فى ليال وايام كثيرة يسمع كلامه وايراداته وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وثراوة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة

قبرس اليوم بينها وبين العريش فى البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين أرض الروم وقد كان بين الاندلس فى الموضع الذى يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغارا تجرى تحت قناطرها وماعقد من الطاقات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل جانب حجرا الى حجر طاق وهو مبدأ بحر الروم الآخذ من أوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلو أرضا فارضا فى طول على ممر السنين يرى زيادته أهل كل زمان ويتبينه أهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التى كانت بين الاندلس وبر طنجة وماوصفت فبين ظاهر عند أهل الاندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثنى عشر ميلا وعرض واسع وسمو بين فلما مضت لديقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما التى كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسيمود وغير ذلك مما هى باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبونهم واحدا فوق واحد وهى الاكوام الثلاثة التى تسمى أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقد مضى لديقلطيانوس الملك مائتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان البلينا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وخلجانات فتحت من النيل الى البحر يمنع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا فى ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النار فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها وناريتها فتحولت ذهبا وقد يطبخ الذهب الذى يؤتى به من المعدن خالصا صفائح بالملح والزجاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الا من

لامعرفة له بما وصفنا ولا قارب شيأ مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل فى أعاليه قال البحيرة التى لا يدرك طولها وعرضها وهى نحو الارض التى الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر وهى تحت الموضع الذى تسميه المنجمون الفلك المستقيم وما ذكرت فمعروف غير منكر وسئل عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق فى الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى أى شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على ان يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة فقيل له ما بال هذه الكتابة التى على الاهرام والبرابى لا تقرأ فقال دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم وتداول أرض مصر الامم فغلب على أهلها القلم الرومى كاشكال أحرف القبط والروم باحرفها على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام بن نوح ومر فى أنساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يجلون ما عملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرءوس التى تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل أسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم ينفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن ينفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هى غربى اهرام بوصير الجيزة وهى على خمسة أيام بلياليها للراكب المجد وقد عميت طريقها وعميت المسالك

اليها والسمت الذى يؤدى نحوها وذكر ما فيها من عجائب البنيان والجواهر والاموال والعلة التى لها سميت مدينـة العقاب ووصف مدينـة أخرى غربى اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفـة وذكر من شأن هـذه المدينـة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها و بين اخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة ايام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم اصحاب ابل وبخت و بقر وغنم وملكهم يستعد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسى عربية وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وأرضهم كانها جزء من أرض اليمن وللنوبة اترج كاكبر ما يكون بأرض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة ووراء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفى مملكة هـذه الامـة يخترق النيل فيتشعب منـه خليج عظيم ثم يحصر الخليج من بعـد انفصاله من النيل وينحدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا كان فى بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء فى ذلك الخليج وابيض الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مانوسـة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الزنج ومصبه فى بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون فذكر كلاما طويلا فى أمر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلوا الفيوم وكانوا البدء فى عمارتها وعمارة أرضها وانما كان الماء يأتى الفيوم من المنهى أيام جرى النيل ولم يكن حجر اللاهون بنى وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بنى اللاهون على ما هو اليوم عليه ويقال ان يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه أيام العزيز ودبر من أمر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخلج المرتفعـة المطأطئة وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهى القنطرة المعروفة بسفونه وأقام العمود الذى فى وسط الفيوم وهو غائص فى الارض لا يدرك منتهاه منها وهو أحـد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى آخره فى الارض حفرا فلم يتأت لهم ذلك وغلبهم الماء فعجزهم ورأس هذا العمود دمسا ولا رض المنهى قال وأما حجر اللاهون فان من سطح الحجر الذى فيما بين الفرش الى ناحية اللاهون واللاهون هى القرية بعينها ففيها من السطح الى القرية ستون ذراعا وربما قل

الماء فى المنهى وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين القبتين و بين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدرب الحجر وجعلت الاسقالة وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر أيام سده فبالتقدير ببناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة اتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثيرا من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل ملوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتاملته لما قد نمى اليها من اخباره وسار فى الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فامر أحمد بن طولون فى بعض الايام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر أن يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية فسأله عن ذلك فقال دليلى على صحتها وجودى اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها لا نظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا عظيمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ماذكرت من تناقضها فى العقل الا لدلائل شاهدوها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها قال له السائل وما التضاد الذى فيها قال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر وهو التالوت وهل الاقانيم فى أنفسها قادرة عالمة أم لا وفى اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث وما جرى فى ولادته وقتله وصلبه وهل فى التشنيع أكبر وأفحش من إله صلب وبصق فى وجهه ووضع على رأسه الاكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقى الخل فى بطيخ الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا عن مجادلته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه فقال طبيب لابن طولون يهودى قد حضر المجلس أيأذن لى الامير فى مخاطبته قال شأنك فاقبل على القبطى مسائلا له فقال له القبطى وما أقت أيها الرجل وما نحلتك قال له يهودى فقال له مجوسى اذا قال له كيف ذلك وهو يهودى قال لانهم يرون نكاح البنات فى بعض الحالات اذ كان فى دينهم ان الاخ يتزوج

بنت أخيه وعليهم أن يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودى أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من أن يتزوجها وهذا من أسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل فى المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودى ذلك وجحد أن يكون فى دينه أو يعرفه أحد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد الطبيب اليهودى قد تزوج امرأة أخيه وكانت بنته ثم أقبل القبطى على ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودى ان الله خلق آدم على صورته وعن نبى من أنبيائهم سماه قال فى كتابه انه رآه فى قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال إنى أنا النار المحرقة والحى الآخذة وأنا الذى آخذ الابناء بذنوب الآباء ثم فى توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى سكر وزنى بهن وحملن منه وولدن وان موسى دعى الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه وأن هرون صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا فى ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنتسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير ويسمونه منتظرون يقوم فى هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلى اذا خربت بيتى وأيتمت بنتى قامتى منكسة لا أرفعها حتى آتى بنتى وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والريصانية والثنوية والصابئة والمجوس وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده فى كتابنا فى أخبار الزمان وذكرنا جميع ذلك فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وكان هذا القبطى على ما نمى الينا من خبره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فابى قبول شىء من ذلك فرده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرناعنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما فى البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد رعدت

يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بارباب الارض والفلاحة لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولي عائدا الى الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك شيء في ممره كانه يحدد مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت ووردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما في اجوافها في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بارباب الضياع طرح له الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبددا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو في جوفه ويزداد في انتفاخه فيشق جوفه فيموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا أن حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة أوسع (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من الشرعيين أن بيصر بن حام بن نوح انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت مدينة ثمانين من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان وانما نسبت الى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فأوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملتهم وأخصبت البلاد فتملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشأم وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشأم وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد أسوان من أرض الصعيد طولا ومن أيلة وهي تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة ارباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون في النسب الى أبيهم قبط بن مصر وأضيفت المواضع الى

ساكنيها وعرفت باسمائهم فمنها اشمون وقبط وصا واتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم فى أنسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده اشمون بن مصر (ثم ملك بعده) صا بن مصر وملك بعده اتريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كلكى بن حرايا وأقام فى الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس بن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حوريا بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة أخرى يقال لها مأموم وكثر ولد بيصر بن حام بأرض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشأم ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان بن الوليد العملاقى وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما فى كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك فى كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقى (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقى (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشأم ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر بن بيصر وكان يعرف بظلما وقد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج فى طلب بنى اسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا فى البحر يبسا ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشى من بقى بارض مصر من الذرارى والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشأم والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاد مصر حائطا يحيط بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس والرجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض وأثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادى فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل فى ذلك من الوجوه غير

ماذكرنا فلكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابى والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت مايرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشأم وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات والحيوان من الحادية والبادية وجعلت ذلك فى أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصورة التى فى البرابى من الابل وغيرها فيتعور مافى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشأم فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام مافعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ماصنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ماورد من جيوش الغرب وماورد فى البحر من رومية والشأم وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها لزوم أقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص وأسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لايشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هــذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب مارسمت له ووضعت من أجله على حسب قولهم فى الطباع التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وأخبرنى غير واحــد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابى ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احــذر العبيد المعتقين والاحــداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم أنه رأى فى آخره كتابة وتبينها فى ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل مايريد

وكانت هذه الامــة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم ان طوفانا سيكون

فى الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ماهو انار تأتى على الارض فتحرق ماعليها أوماء فيغرقها أوسيف يبيد أهلها نخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابى واحدها بربى ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا وفرزت ما يبنى بالطين مما يبنى بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما يبنى من الطين وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما يبنى بالطين ويبقى ما يبنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين ماهو بالطين وماهو بالحجر وهذا ماقيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك مايوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم ومايوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض فى كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لايدرى من أى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا مايوجد فى تلك الروابى والجبال من حليهم والبرابى ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا المتخذة بانصناء من صعيد مصر وهو احد الموصوفين منها والبربا التى ببلاد اخميم والبربا التى ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الداثرة لايدرى ماتلك الكتابة ولا ما المراد بها وقد قال من عنى بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها فى الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعداء دق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم ماذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر واسرار الطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعى موازاتنا فى الملك وبلوغنا فى القدرة وانتهاء نا من السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع فى هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيرها لايفى بقلعها وهى من الحجر والرخام والغرض فى كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا فى مطابقات الارض والممالك ومانمى الينا خبرا من الخواص وأسرار

الحيوان والنبات والجماد فى عجائب البلدان والآثار والبقاع فى كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب ولا تمانع بين ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية اذا أخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شئ الى ان كسر عمود من الرخام فى بعض المواضع بها فاصيب فى أعلاه حق من نحاس فى داخله بق مصور من نحاس نحو كف فما مضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق فى وقتنا هذا يعم الاكثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شئ ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله فى الحديد واذا غسل بشئ من الخل أو ناله شئ من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس فى الحديد خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الاشياء وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر بعلمها لم يظهرها لخلقه فلا تقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى هو غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلى عند الطبخ والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلى وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا واذا مزج ماء القلى بماء الزاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا فى النتاج بين الفرس الانثى والحمار فتحدث بغلا ولو نتج دابة على أتان لخرج منها بغل أفطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذى كان بصعيد مصر مما يلى الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الاتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التى ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذى ليس بدابة ولا حمار وقد ضربنا ضروب التوليدات فى أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والاشجار وما تولد من الطعوم فى المذاق فى كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب فى أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الاشياء ومعرفتها والطلسمات وعجائبها وهو باب كبير فى ذكر بعضه نيابة عن بعض والجزء

منه يوهمك الكل واليسير منه يدلك على الكثير ويمكن والله أعلم أن تكون هذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة فى العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة فى الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء فى الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبى دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتنبيئه من غيره ليؤدى عن الله أمره ونهيه ومافيه من الصلاح لخلقه فى ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشئ وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا فى أيدى الناس وأصل ذلك الهى كما وصفنا اذ كان ماذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع فى القدرة (قال المسعودى) فلنرجع الى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن ملوطش (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده لعس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسابن نوش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكاكيل وكانت له حروب ومسير فى الارض وهو فرعون الاعرج الذى غزا بنى إسرائيل وخرب بيت المقدس (ثم ملك بعده) مرينوس وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) قفاس بن مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن قفاس عشر سنين (ثم ملك بعده) كاميل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وغزاه البخت ناصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله وسار البخت ناصر نحو المغرب وقد أتينا على أخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه باخبار مسير الملوك للارض وأخبار مقاتلتهم دون ماذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ولما زال أمر البخت ناصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى انوشروان فغلبت جيوشه على الشأم وسارت نحو مصر فلكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشأم لامر حدث فى دار مملكتهم فغلب الروم على مصر والشأم وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشأم ومصر الى أن أتى الله بالاسلام وكان من أمر المقوقس صاحب القبط مع النبى صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان الى ان افتتحها عمرو بن العاص ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله

عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر
وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها
مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة
الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه وبين المقوقس وفتحه لقصر
الشمع وغير ذلك من أخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك
ودخول عمرو بن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع
الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى أعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو
ابن العاص وذلك قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا
فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقت عليه أهل
التواريخ مع تباين مافيها أن عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون
فرعونا ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق الذين
ظهروا اليها من بلاد الشأم أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل
قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها أناس من الفرس من قبل الاكاسرة
وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة وثلثمائة
سنة (قال المسعودى) وسألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من
أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك ولا تحصل لى فى لغتهم فيمكن
والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة للملوك تلك الاعصار وان تلك اللغة تغيرت كتغير
الفهلوية وهى الفارسية الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الى الرومية وتغير
الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر أخبار عجيبة من الدفائن وما يوجد من الدفائن من
ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض
وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع
أخبارها ماذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه
عبد الملك بن مروان فاتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم
قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير
من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى قلع باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك
عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه
صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقة الوف من الدنانير

لاجرة من يحفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيــه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة
عظيمة فى الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز
حرصا على ذلك واوسع فى النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور رأس
الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما فى عينيه من الياقوت وشدة
نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان
بأنواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت
منها تماثيل وصور أشــخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قــد
اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقيد ذلك بأعمدة الذهب فركب عبد العزيز بن مروان
حتى أشرف على الموضع فنظر الى ماظهر من ذلك فاسرع بعضهم فوضع قــدمه على درجة
منسبكة من نحاس تنتهى الى ماهنالك فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان
عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتفا على الرجــل فلم يدرك حتى جزآه قطعا
وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك تصفيرا
عجيبا ســمعه من كان بالبعــد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات
عجيبــة قــد عملت بالكواكب والحركات اذا ماوقع على بعض تلك الدرج شئ
أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال الى أســفل تلك الحفيرة وكان فيها ممن يحفر
ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويامر وينهى نحو الف رجــل فهلكوا جميعا
فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منــه وأمر جماعة من
الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع
قبرالهم (قال المسعودى) وقــد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قــد أغرى
بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض
ببلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على
اذرع يسيرة من بعض الاهرام المقدم ذكرها بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد
محمــد بن طغج بذلك فاذن لهــم فى حفره وأباحهــم استعمال الحيلة فى اخراجــه
فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى أزج واقباء وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه
تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المــانعة من سرعة
البــلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء
وأطفال أعينهــم مــن أنواع الجواهر كاليــاقوت والزمرذ والفــيروزج

والزبرجد ومنها ماوجوهها ذهب وفضة فكسر وابعض تلك التماثيل فوجدوا فى اجوافها رمما بالية وأجساما فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب وما بقى من الطلاء متروك فى ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف فى نوع من الانواع التى للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملك وزعم قوم من ذوى الدراية منهم ان لذلك القلم من حين فقد من الارض اعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ماذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

﴿ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب﴾

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد) أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وانا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت ان ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى

وعرف خبري وطول عمري ونفاذ بصري وشدة حذري فلا يغتر بالدنيا بعدي فانها غرارة غدارة تأخذ منك ما تعطي وتسترجع ما تولي وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها ونزل الاسكندر يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر أوقيانوس وحمل اليه أيضا من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة دار صناعة الروم وبها تنشأ المراكب الحربية وفيها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي وأمر الاسكندر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من اساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان امام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيم مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد فخفق الاسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بنيانها واثبت آساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبني في كل يوم

و يحكم و يوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فاقبل يفكر ما الذى يصنع وأى حيلة يوقع فى دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة فى ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع فى عرض خمس وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال ودخل الاسكندر فى التابوت ورجلان معه من كتابه ممن له علم باتقان التصوير ومبالغة فيه وأمر أن تسد عليهم الابواب وان يطلى بما ذكرنا من الاطلية وأمر فاتى بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوى بالتابوت سفلا اذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب فى سفله وجعل التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف فى صفاء ماء البحر فاذاهم بشياطين على مثال الناس رءوسهم على مثال رءوس السباع وفى ايدى بعضهم الفؤوس وفى أيدى بعض المناشير والمقامع يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما فى أيديهم من آلات البناء فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وأحكموها بالتصوير فى القراطيس على اختلاف أنواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم واشكالهم ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من فى المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا التابوت فلما خرج الاسكندر من التابوت وساروا الى مدينة الاسكندرية أمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره الاسكندر وصاحباه فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطىء البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت أمر الاسكندر ان يكتب على ابوابها هذه الاسكندرية أردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات فى الدهور ولم يرد البارى عز وجل ملك السموات والارض ومفنى الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها وآتانى الله من كل شىء علما وحكما وسهل لى وجوه الاسباب فلم

يتعذر على فى العالم شيء مما أردته ولا امتنع عنى شيء مما طلبته لطفا من الله عز وجل وصنعا بى وصلاحا لى ولعباده من أهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله رب كل شيء ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده فى مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضىء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شيء من المطر وقد كان عليها سبعة اسوار من أنوع الحجارة المختلفة الوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا واشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم وعند أصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى فى مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتى فى هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى ولهم فى ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له ولغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك للطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس وما ذكرنا من درج الفلك فوجود فى كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين كأبى معشر البلخى والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى وماشاء الله وحسن واليزيدى ومحمد بن جابر البتانى فى زيجه الكبير وثابت بن قرة وغير هؤلاء ممن تكلم فى علوم هيآت الفلك والنجوم (قال المسعودى) فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى بأخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن فيلبش

المقدونى هو الذى بناها على حسب ما قدمنا فى بناء المدينة ومنهم من رأى أن دلوكة
الملكة هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى أن
العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا
الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية
ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته
بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة
يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه
فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على
كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل
فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته
من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فأصبعه مشيرة
نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير
بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب
المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن
العدو قد دنا منهم ويرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة
سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك
الروم فى مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان انفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى
ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد
فاخبره أنه من خواص الملك وأنه أراد قتله بموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه
استوحش منه ورغب فى الاسلام فاسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه وتنصح اليه فى
دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك
الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال
له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن
الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك ان الاسكندر احتوى على
الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام فبنى بها
الآزاج تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر
من العين والورق والجواهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها فى الهواء ألف

ذراع والمرآة على علوها والديادبة جلوس حولها فاذا نظروا الى العدو فى البحر فى ضوء
تلك المرآة صوتوا بمن قرب منهم ونصبوا ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم
فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش
وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرآة فضج الناس
من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا أنها مكيدة وحيلة فى أمرها ولما علم الخادم
استفاضة ذلك وأنه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب فى الليل فى مركب
كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ماذكرنا
فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية فى
البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من
الجواهر منه الكركهن والادرك واشبادجشم ويقال ان ذلك من الآلات التى كان
اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها فى تلك المواضع من
البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجوهر وغرقه حول
المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل
عصر فى معدنه برا كان أو بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا
والاكثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاشباد جشم وقد
رأيت كثيرا من أصحاب التلويحات ومن يعنى باعمال الجواهر المشبهة بالمعدنية يعمل
هذه الجواهر المعروفة بالاشباد جشم ويتخذ منه النصول وغيرها وكذلك
الفصوص المعروفة بالباقلمون هى ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون فى المنظر
ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجوهر فى صفائه
واختلاف نظر البصر فى ادراكه وتلون هذا النوع من الجوهر اعنى الباقلمون نحو
تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون ألوانا مختلفة اذنابها واجنحتها أعنى الذكور
دون الاناث وقد رأيت منها بارض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تاملها لا تدرك
ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما يتراءى من تموج الالوان فى ريشها ويتاتى
ذلك منها العظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة ريشها لان للطواويس بارض الهند شأنا
عجيبا والذى يحمل منها الى أرض الاسلام ويخرج عن أرض الهند فيبيض ويفرخ
تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تخطف أنوار الابصار بادراكها وانما تشبه
بالهندية بالشبه اليسير هذا فى الذكور منها دون الاناث وذلك نحو النارنج والاترج

المدور حمل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم الا أن من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممارقها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا فى خلافة المقتدر فى جيش صاحب المغرب ودخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتاهوا فيها وفيها طرق تؤول الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتهوروا بدوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان فى كرسى بها قدامها وفيها مسجد فى هذا الوقت يرابط فيه فى الصيف مطوعة المصريين وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية وبلاد الاندلس ورومية وما فى الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة فى عجائب البلدان والابنية والآثار وخواص البقاع وما يؤثر فى ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على الاخبار منها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم من دوابه وبره وبحره فأغنى ذلك عن اعادة ذكره ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهياكل المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما يليق بمعناها بل نذكرها فى الموضع المستحق بها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿ذكر السودان وأنسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباينهم فى ديارهم وأخبار ملوكهم﴾

(قال المسعودى) لما تفرق ولد نوح فى الارض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والغافو ومرتك وكوكو والحى وغانة وغير ذلك من أنواع الاحابش والدمادم ثم افترق الذين مضوا بين المشرق والمغرب فصارت الزنج من المكين والمسكون وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج وقد قدمنا فيما سلف عند ذكرنا للبحر الحبشى والخليج

البربرى وماعليه من أنواع السودان واتصالهم فى ديارهم الى بلاد الدهلك والزيلع وناصع وهؤلاء القوم هم أصحاب جلود النمور والحمير وهى لباسهم ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهى أكبر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها السرو ج وبحر الزنج والاحابش هو عن يمين بحر الهند وان كانت مياههما متصلة ومن أرضهم يحمل الذبل من ظهور السلاحف وهو الذى يتخذ منه الامشاط كالقرن وأكثر ماتكون الدابة المعروفة بالزرافة فى أرضهم وان كانت عامة الوجود فى أرض النوبة دون سائر بلاد الاحابش وقد تنوزع فى نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فنهم من رأى ان بدء نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الابل والزرافة وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وأن ليس سبيلها كسبيل البغال المولدة من الخيل والحمير وتدعى الزرافة بالفارسية اشترا كاو وقد كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بنى العباس وولاة مصر وهى دابة طويلة اليدين والرقبة قصيرة الرجلين لاركبتين لرجليها وانما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا فى نتاجها وأن فى أعالى بلاد النوبة يجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة فى حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفون فى الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهى دابة منحنية الى خلفها مصبوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس فى الزرافة كلام كثير على حسب ماقدمنا فى بدء نتاجها وأن النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وان الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم وان ذلك لاتساع أرحام القلاص العربية لحوائج الزمان وغيرها من ابل خراسان فيظهر بينهما ويتولد عنهما الجمال البخت والحمارات ولا ينتج بين بختى وبختية وانما يصح هذا النوع من الابل بين نوائج الابل وهى ذات السنامين وبين قلاص الابل وهى النوق العربية وكنتاج البخت بين البجاوية والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق فى كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من اعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل فى إلفها وتوددها الى أهلها وهى كالفيلة منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قدمناذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين صاروا

عن عين النيل ولحقوا باسافل البحر الحبشى وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من اعلى النيل الذى يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج فى ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهى أقاصى بلاد الزنج واليه تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهى غاية مقاصدهم فى بحر الزنج كما ان أقاصى بحر الصين متصل ببلاد السيلى وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق وهى أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب حصينة حارة واتخذت الزنج دار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمن وهى سمة لسائر ملوكهم فى سائر الاعصار على ما قدمنا آنفا ويركب لوقليمن. وهو يملك ملوك سائر الزنوج فى ثلثمائة ألف فارس ودوابهم البقر وليس فى أرضهم خيل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم من الاحابش ومنهم أجناس محددة الاسنان يأكل بعضهم بعضا ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم فى الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ اودية وجبال ورمال والفيلة فى بلاد الزنج فى نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيأ فى حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بارضهم فى الماء ويختفى رجال الزنج فترد الفيلة لشربها فاذا وردت وشربت من ذلك الماء أسكرها فتقع ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا فيخرجون اليها باعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لاخذ انيابها فمن أرضهم تجهز انياب الفيلة فى كل ناب منها خمسون ومائة من بل أكثر من ذلك والاثنان منها ثلثمائة من وأكثر من ذلك فيجهز الاكثر منها من بلاد عمان الى أرض الصين والهند وذلك انها تحمل من بلاد الزنج الى عمان ومن عمان الى حيث ذكرنا ولولا ذلك لكان العاج بارض الاسلام كثيرا وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها وأراكنتها الاعمدة من العاج ولا يدخل قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشئ من الحديد بل بتلك الاعمدة المتخذة من العاج ورغبتهم فيما استقام من انياب الفيلة ولم يتقوس لاتخاذ الاعمدة منها على ما ذكرنا ويستعمل العاج فى دخن بيوت أصنامها وأبخرة هيا كلها كاستعمال النصارى فى الكنائس الدخنة المعروفة بدخنة مريم وغيرها من الابخرة وأهل الصين لا يتخذون الفيلة فى ارضهم ويتطيرون من اقتنائها عندهم والحرب عليها لخبر كان لهم

فى قديم الزمان فى بعض حروبهم والهند كثيرة الاستعمال لما تجهز اليهم من العاج فى نصب الخناجر وهى الحرازى واحدها حرزى وفى قوائم سيوفها وهى القراطل واحدها قرطل وهى سيوف معوجة والاغلب فى استعمال الهند العاج اتخاذها منه الشطرنج والنرد والشطرنج ذو صور واشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم كل قطعة من الشطرنج كالشبر فى عرض ذلك كالاكبر الى الاكبر فاذا لعبوا بها فانما يقوم الواحد قائما فينقلها فى بيوتها والاغلب عليهم فى لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر وربما انقذ الى أحدهم ما معه فيلعب فى قطع أعضاء من جسمه وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لهم أحمر فيغلى ذلك الدهن المدمل للجراح والماسك لسيلان الدم فاذا لعب فى أصبع من أصابعه وقمر قطعها بتلك الخنجر وهو مثل النار ثم غمس يده فى ذلك الدهن فكواها ثم عاد الى لعبه فاذا توجه عليه اللعب أبان أصبعا ثانية وربما توجه عليه اللعب فى قطع أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكى بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من اخلاط وعقاقير بارض الهند عجيب المعنى لما ذكرنا وما ذكرناعنهم فستفيض من فعلهم والهند تتخذ الفيلة فى بلادها وتتناتج فى أرضها ليس فيها وحشية وانما هى حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل وأكثرها يأوى الى المروج والضياع والغياض كالجواميس فى أرض الاسلام والفيلة تهرب من المكان الذى يكون فيه الكركدن على حسب ما قدمنا فلا ترعى فى موضع يشم فيه رائحة الكركدن ويعمر الفيل بارض الهند نحوا من أربعمائة سنة كذلك يذكر الزنج لانها تعرف فى ديارها ومفاوزها والفيل العظيم مما يتأتى فيها قتله ومنها الاسود والابيض والابلق والاغبر وفى أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين ويضع حمله فى كل سبع سنين ولها بأرض الهند آفة عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزبرقان وهى دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغب وعينين براقتين عجيبة سريعة الوثبة يبلغ فى وثبته الثلاثين والاربعين والخمسين ذراعا وأكثر من ذلك فاذا اشرف على الفيل ورشش عليه بوله بذنبه فيحرقها وربما لحق الانسان فاتى عليه وفى الهند من اذا أشرفت عليه هذه الدابة تعلق باكبر ما يكون من الساج وهى أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز تسكن الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما تحمل الى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج فى طوله فاذا

تعلق الانسان بأعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن ادراكه لصق بالارض ووثب الى أعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشش من بوله الى أعلى الشجرة والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا عجيبا فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته وأى موضع من الشجر سقط عليه بوله أحرقه وان أصاب الانسان شىء من بوله أتلفه وكذلك سائر الحيوان وملوك الهند تتخذ فى خزائنها مرارة هذه الدابة ومذاكيره ومواضع من أعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومذاكير هذه الدابة كمذاكير كلب الماء الذى يخرج منه الجندبادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسى معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الخصية فعرب فقيل جندبادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرقان لا تأوى الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضا والفيل يهرب من السنانير وهى القطاط ولا يقف لها البتة اذا أبصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت توقى الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب بتخلية السنانير عليها وكذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الخنازير ربما تهرب منها الفيلة وقد كان رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هرون بن موسى مولى الازد كان شاعرا شجاعا ذا رياسة فى قومه ومنعة بأرض السند مما يلى أرض المولتان وكان فى حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد خبأ تحت ثوبه سنورا فلما دنا فى حملته من الفيل خلى القط عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون بن موسى قصيدة يصف فيها ماذكرناه وهى

أليس عجيبا بأن تلقه * له فطن الاسد فى جرم فيل

واطرف من قشه زوله * بحلم يجل عن الخفشليل

أليس عجيبا بأن بلعما * غليظ الدراك لطيف الحويل

وأوقص مختلف خلقه * طويل النيوب قصير النصيل

ويخضع لليث ليث العرين * بان فاشب الهر من رأس ميل

ويلقى العدو بناب عظيم * وجوف رحيب وصوت ضئيل

وأشبه شىء اذا قسته * بخنزير بر وجاموس غيل

ينازعه كل ذى أربع * فما فى الانام له من عديل
ويعصف بالنمر بعد النمور * كما يعصف الريح للعنديبل
وشخص يرى يده انفه * فان وصلوه فسيف صقيل
وأقبل كالطود هادى الخميس * بصوت شديد أمام الرعيل
فمر يسيل كسيل الاتى بخطم خفيف وجرم ثقيل
فان شمته زاد فى هوله * بشاعة أذنين فى رأس غول
وقد كنت أعددت هراله * قليل التهيب للزنديبل
فلما أحس به فى العجاج * أتانا الاله بفتح جليل
وطار وراغم فياله * بقلب نجيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده * اله الانام ورب الفيول

العنديبل طائر صغير يكون بارض السند والهند تذكره الشعراء فى أشعارها تمثلا به لصغره والزنديبل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزنديبل هو اسم لما اشتد فى الهرب من أنياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزنديبل عند ذكره للفيل فقال

ذاك الذى مشفره طويل * وهو من الافيال زنديبل

(وقال آخر) * وفيله ذو الطول زنديبل *

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشبيل وتفسير قول الانصارى فى صفة النحل

تبيض العشاء باذنابها * وفى مدر الارض عنها فضول
ويشبعها المص مص الثرى * اذا جاعت الشاة للخنشبيل

﴿ قال وهذا غير قوله ﴾

قد علمت جارية عطبول * أنى بنصل الصيف خنشبيل

والفيلة لاتنتج ولا تولد الا بارض الزنج والهند ولا تعظم انيابها بارض السند والهند على حسب ماتعظم بارض الزنج والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا يلحق ذلك فى المنعة بشئ من الدرق الصينى والتبتى واللمطى والتجاوى ولا مايقع من اللين وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومة انفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شئ من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب

ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه وقد كان المنصور عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واقتنائها لها واعدادها للحروب والزينة في الاعياد وغيرها فانها أوطأ مراكب الملوك وأمهدها وأخبرني بعض الكتاب ممن يرجع الى ادب وعقل ومعرفة بايام الناس بمدينة السلام انه اشترى بغلة في غاية الفراهة والحسن فكان يركبها في مهماته وتصرفاته وكانت اذا رأت الجمال البخت أو العراب من العمالة أو غيرها في الطريق نفرت وشبت وكان يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هي عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان في بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك في أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن علي الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تجمز في مشيتها لا سبيل لمن عليها ان يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبها ورمت بي الارض فوقعت كجلد ثور منفوخ ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كان البغلة حين رمت بي ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على أثر ذلك فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها ودلت كتدلل الجمال اذ رآني جماعة من الناس فرفعوني ودخل الغلام فاخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك من جمل ولقد ألفت الجمال حتى كأنها بعضها لاستصغارها صورة الجمل عند ما شاهدت صورة الفيل وكل حيوان ذي لسان فاصل لسانه الى داخل وطرفه الى خارج الا الفيل فان طرف لسانه الى داخل واصله الى خارج والهند تزعم انه لولا أن لسانه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم والهند تشرف الفيل وتفضله على سائر الحيوان لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبدع منظره واتصال صهوته وطول خرطومه وسعة أذنه وكبر غرموله مع خفة وطئه وطول عمره وثقل جسمه وقلة اكترائه بما وضع على ظهره وأنه مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة يمر بالانسان فلا يحس بوطئه ولا يشعر به لحسن خطوته واستقامة مشيه * وقد وصف عمرو بن بحر الجاحظ الفيل في كتاب الحيوان فاغرق في وصفه وأكثر في مدحه

وعددمعانى كثيرة فى صفة الفيل وهيئته وماهو عليه من عجيب التركيب وغريب التاليف والمعانى الصحيحة والاحساسات اللطيفة وفى قبولها التأديب وصحة تمييزها وسرعتها الى التلقين والتقويم وما فى ابدانها من الاعضاء الكريمة والاجزاء الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وبكم فضيلة تلك الاحساس فاقت تلك الاجناس ومافيها من الآلات والبرهانات والعلامات النيرات التى جلاها العيون خلقه وفرق بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم لتكثر لهم وتزيدبهم الى وضوح الحجة وتسخرهم لتمام النعمة وماذكر الله فى الكتاب الناطق والخبر الصادق وفى الآثار المعروفة والامثال المضروبة فى التجارب الصحيحة وما قالت الشعراء فيه ونطقت به الفصحاء وميزته العلماء وعجبت منه الحكماء وحالها عند الملوك وموضع نفعها عند الحروب وسياستها فى العيون وجلالتها فى الصدور وفى طول أعمارها وقوة أبدانها وفى اعتزامها وتصميمها واحقادها وشدة اكترائها وطلبها بطوائلها وارتفاعها عن ملك السقاط واقتناء السفلة والاراذل وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسف وابتذالها وازالتها عن امتناع طبائعها وتمنع غرائزها أن تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم جوارحها وتتسافد وتتلاقح الا فى معادنها وبلادها ومغارس اعراقها مع التماس الملوك ذلك منها وطبع القوم عليها بالتقرب بذلك منها حتى اعجزت الحيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختبار عن حملها ووضعها ومواضع أعضائها والذى خالفت فيه الاشكال الاربعة التى تحيط بالجميع مما يستناخ أو يقوم أو يمشى أو يطير وجميع ماينتقل عن أولية خلقه ومايبقى على الطبع الاول من صورته وعما يتنازعه من شبه الحيوان ومايخالف فيه جميع الحيوان وعن القول فى شدة قلبه وأسره وفى حدته على ماهو أعظم بدنا وأشد قلبا وأحد ظفرا وأذرب لسانا وهربه مما هو أصغر جسما وأكل حدا وأضعف أسرا واخمل ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول فى لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المواعيد الكثيرة التى تضمن ايرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما اسلفه من القول فى هذه المعانى التى قدمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة فى الفيلة وغيرها واعرض عن ايراد خواص اعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها وماذكر من أسرار الطبيعة وماقالته فلاسفة الهند فى بدئها وما أثرته عمن تقدم من حكمائها فى تداولها

وعلة تكونها فى أرض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها فى غيرها والتضاد الذى بينها و بين الكركدن مع عظم خلقها وفرارها من السنور مع صغر حجم جسمه ولطافة منظره وعن كثرة الطرب الذى يوجد فى الفيل دون غيره من الحيوان وقبولها الرياضة والدراية والمعرفة عند المحاورة والدهاء والخبث والتمييز وقد ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة مالم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من ان العالم بما فيه من الاجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومضاد وان ذلك فى الجملة هو جماد ونام واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الاجسام السماوية وليست بجماد ولا نام وانها أحيا نا ناطقة (قال المسعودى) فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا فى صدر هذا الباب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها العاجها غير منتفعة بشئ من ذلك فى آلاتها وانما تتحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وماذكرنا من دوابهم انها بقر وانهم عليها يتقاتلون بدلا من الابل والخيل وهى بقر تجرى كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالرى نوعا من هذا البقر يبول كما تبول الخيل ويثور بحمله كما تثور الابل اذا استقلت باحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والابل والحمير والبقر وملاكها نوع من المجوس من دفنه ولهم خارج الرى قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم فاذا مات بالرى أو قزوين شىء مما ذكرنا من البهائم ورد الواحد منهم مع ثوره فاناخه وحمل عليه تلك الجيفة وسار بها الى قريته فأكلهم منها وبنيانهم من عظامها ويجففون من لحمها ما يدخرونه لشتائهم فاكثر أكلهم وأكل بقرهم من تلك اللحمان رطب ويابس وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الحدق وسائر البقر تنفر وتهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان وقم منها ما فى أنوفها حلق الحديد والصفر قد خرمت فيها الحبال وخطمت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالرى رأيت ثورا منها قد عدا نحو ثور من غير هذا النوع فلما رآه قصده قام فزعا من هذا الجنس وليس فى سائر أنواع البقر ما يأوى المياه والجزائر والبحيرات الا البقر المعروف بالحبشية التى تكون ببلاد مصر وأعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار وأما الجواميس فانها بالثغر الشامى فى بحر أكبر ما يكون من العجل فى أنوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك منها ببلاد انطاكية وأكثر من ذلك ببلاد

السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر أكبر من قرون هذه الجواميس التى بارض الاسلام وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين وكذلك الجواميس كثيرة بارض العراق مما يلي صفوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء فى الحمامات وغيرها ولم أجد أحدا فى هذه الممالك ممن شاهدته او نمى الى خبره ذكر أنه رآها ولست أدرى كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى اخبار الزنج وأخبار ملوكها فأما تفسير اسم ملك الزنج الذى هو وقليمن فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فتى جار الملك عليهم فى حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذى هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج اولو فصاحة فى السنتهم وفيهم خطباء بلغتهم يقف الرجل منهم الزاهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم فى القرب من بارئهم ويبعثهم على طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم واسلافهم وليس لهم شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعيتهم واكلهم الموز وهو ببلادهم كثير وكذلك بارض الهند والغالب على اقوات الزنج الذرة ونبت يقال له الكلارى يقلع من الارض كالكماة والراسن ومنه ماهو كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذى يكون بالشأم ومصر ومن غذائهم أيضا العسل واللحم ومن هوى منهم شيأ من نبات أو حيوان أو جماد يجده وجزائرهم فى البحر لا تحصى كثرة وفيها النارجيل يعم اكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو ويتوارثها المسلمون على حسب ماذكرنا من أمرها فى هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة فى شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهى مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سريه (قال المسعودى) وانتهيت فى تصنيفى الى هذا الموضع من كتابنا هذا فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فأخبرت ان الملك فى مدينة دنقلة

الى النوبة ليرنى بن سدر وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوى على أم قرية وعلوه والبلد المتصل بمملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجة فانها نزلت بين بحر القلزم وفيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة الى أن قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن فى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا فى البجة فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحق وهو من ربيعة يركب فى ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجة والدار حلاس من البجة كفار يعبدون صنما لهم وأما الحبشة فاسم دار مملكتهم كعبر وهى مدينة عظيمة وهى دار مملكة النجاشى وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشى بالبحر الحبشى ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع وهذه مدن فيها خلق من المسلمين الا انهم فى ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة علافقة وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن فى أيام ذى نواس وهو صاحب الاخدود المذكور فى القرآن وصاحب زبيد فى وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة ويركب فيها التجار بالامتعة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين اعنى ساحل اليمن وساحل الحبشة أقل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تسقى منه أرباب المراكب ويفعل فى القرائح والذكاء فعلا جميلا وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من الخواص وذكر علة ذلك وقد أتينا على الخبر فى كتابنا فى أخبار الزمان عند ذكرنا الاخبار

المتطببين فى تجاربهم وما كان من قضاياهم فى علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام وغيرهم ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة وله فى هذا الوقت رجال مرتبون فيها من أصحابه وفى هذا البحر مما يلى بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطرى ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاليس بن نقوماخس حين كتب الى الاسكندر بن فيلبش حين سار الى الشأم فى أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذى يقع فى الايارجات وغيرها فصير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن نقوماخس وهى مدينة اسطاغيرا فى المراكب بأهليهم فى بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم فى أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر فظهر المسيح فتنصر من كان بها الى هذا الوقت وليس فى الدنيا والله أعلم موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون انسابهم لم يداخلهم فى انسابهم روم ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم فى هذا الوقت تأوى اليهم بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين فى هذه البوارج وهى المراكب على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم فى الشوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشأم ومصر ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة أخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن فى المغرب مثل الزغاوة والكركر والقراقر ومرندة والمرويين والهنديين واللالله والقرماطن وزويله والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من انواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وأنواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولأية علة تفلفت شعورهم واسودت ألوانهم وغير ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتشعبهم فى انسابهم فى كتابنا فى أخبار الزمان فى الفن الاول من جملة الثلاثين فنا ثم فيما بعد من هذا الكتاب مما لم نذكره فى كتابنا أخبار الزمان مما لا ينبغى ترك ايراده فيه ولا تعريته منه ﴿قال المسعودى﴾ وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدهم يرمون الحدق وأبى عمرو بن

العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر وو ليها عبد الله بن سعد فصالحهم على رءوس من السبي معلومة مما يسبي هذا الملك المجاور للمسلمين من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو بملك مريس وغيرها من أرض النوبة فصار ماقبض منه من السبي سنة جارية فى كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبي فى العربية بأرض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا وأراه رسم على عدد أيام السنة هذا البيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللامير بمصر غير ماذكرنا من عدد السبي أربعون رأسا ولخليفته المقيم ببلاد أسوان المجاورة لارض النوبة وهو المتولى لقبض هـذا البقط وهو السبي عشرون رأسا غير الاربعين وللحاكم المقيم باسوان الذى يحضر مع أمير اسوان قبض البقط خمسة أرؤس غير العشرين التى يقبضها الامير ولاثنى عشر شاهدا عدولا من أهـل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثناعشر رأسا من السبي على حسب ماجرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة والموضع الذى يتسلم فيه هـذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هـذه مدينة فى الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة فى هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التى فى الجزائر بين رحبـة مالك بن طوق وبين الرسـة وناوسة وغانة والحديثة وفى مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير فى كلا الشطين وهذه المدينة اليها ينتهى سفن النوبة وسفن المسـلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من التال والفسيل وهو النخل الصغير ومايخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح ولمن باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضـياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أميـة وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخـل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من

أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا الملوكهم بالعبودية وأن يقولوا اسبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم عبيدا لملككم وأموالكم له فنحن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوقفوه عليه من هذا المعنى فضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا أحرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهى بلاد مريس ومعدن الزمرذ فى عمل الصعيد الاعلى من اعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى فيه الزمرذ يعرف بالحزبة مفازة وجبال والبجة تحمى هذا المكان المعروف بالحزبة واليها يؤدى الخفارات من يرد الى حفر الزمرذ والزمرذ الذى يقتلع من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثانى يدعى بالبحرى ومعناهم فى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزانج والصين ترغب فى هذا النوع من الزمرذ وتباهى فى استعماله ولباسه فى تيجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها فسمى البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المر فى الجودة وتشبه خضرته بالاول والماء كقداح ورق الآس الذى يظهر فى أوائل اغصان الآس واطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم فى هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والنوكبرد والاندلس والجلالقة والوسكنس والصقالبة والروس وان كان اكثر هؤلاء الامم متصلين بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ماذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين فى النوع المعروف

بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهــذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة وجملة الوصف بهذه الانواع الاربعــة فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا اســلم مما ذكرنا كان فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وفى حجارته ما يبلغ الخمسة المثاقيل فى الوزن الى ان ينتهى الى حد العدسة فى المقدار فيدخــل ذلك فى النظم من المخانق وغــيرها وآفات هــذا الجوهر المنوع كثيرة منها الريم والحجارة والعروق البيض التى تشوب هــذا الجوهر وتوجد فيه ولا يتناكر بين ذوى الدراية بهذا الجوهر ومن عنى بمعرفته أن الحيات والافاعى وسائر انواع الحيات من الثعابين وغيرها اذا أبصرت الزمرذ الخالص سالت احداقها وان الملسوع اذا سقى من الزمرذ الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من ســرى السم فى جسده ولا يوجد شئ من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه وهو حجر لين رخو يتكاس اذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شأن هــذا الجوهر وتفضله على غــيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة ولخفته فى الوزن دون سائر الجواهر المعــدنية وأكثر ما يوجد من هذه الانواع العروق فى الارض وهو المتنافس فيه اذا سلم من الاعوجاج والتنقب واستقام سلــكه واستطال ما استدار وأدناه ما ينحل فى معدنه من التراب و يلتقط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض فى هذا المعدن فى وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه وهو المغربى والاصم المقدم ذكرهما وقد يحمل من أرض الهند من بلاد سندان و بحر كتبايت من مملــكة البلهر اصاحب الناكور المقدم ذكره فيما سلف من هذا الــكتاب نوع من الزمرذ يلحق بوصف ماذكرنا من النور والخضرة والشــعاع الا انه حجر صلب أصلب ممــا وصفنا وأثقل مما ذكرنا ولا يفرق بين هــذا النوع المحمول من أرض الهند و بين الانواع الاربعــة المقــدم ذكرها الا ذو دراية فطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندى يعرفه أصحاب الجوهر بالمكى لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن و يؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا وبهذا النعت لما ذكرنا وقد أتينا على مبسوط اخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح فى كتابنا فى أخبار

الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر الذى هو الزمرذ يخبرون ان هذا الزمرذ يكثر و يقل فى فصول من السنة وفى قوة من مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى فى أوائل الشهر والزيادة فى نور القمر ولذلك اختار من عنى بمعرفة أكثر المعادن من الجوهرية وغيرها أن الكبريت الابيض والاصفر وغيرهما من أنواع الكبريت يكثر فى معدنه فى السنة التى يكثر برقها وتشتد صواعقها على حسب ما أخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن الكافور من بلاد قيصورة وغيرها من أرض الهند انه يكثر فى السنة التى تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق ولولا ان المكثار كحاطب ليل والايجاز لمحة دالة ووحى صرح عن ضمير والبلاغة ايضاح بايجاز لاسهبت فى هذا الباب وبين هذا الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن هذا النوع من الجوهر وهو الزمرذ وبين ما اتصل به من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهى قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة للنيل و بين النيل وقفط نحو من ميلين ولمدينتى قفط وقوص أخبار عجيبة فى بدء عمرانهما وما كان فى أيام الاقباط من أخبارهما الا أن مدينة قفط فى هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس فيها أكثر وبوادى البجة المالكة لهذا المعدن معدن الزمرذ وتتصل ديارها بالعلاقى وهى معدن الذهب على حسب ما قدمنا فى هذا الباب و بين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقى ما انهل من السماء ولهم معين يسيل فى وسط العلاقى وأقرب العمارة اليه مدينة اسوان ومنها يستمد العلاقى والنوبة متصلة تجاراتهما وقوافلهما بمدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودى) واما بلاد الواحات وهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الاحابش من النوبة وغيرهم فقد ذكرنا جملا من أخبارها وكيفية العمران بها والخواص فى أرضها فيما سلف من كتبنا ولها أرض شبية وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا أنه مروانى المذهب و يركب فى ألوف من الناس خيلا ورجلا ونجبا و بينه و بين الاحابش نحو من ستة أيام وكذلك بينه و بين سائر ماذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفى أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه و يحمل من أرضه

التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من اخبار بلادهم وما احتجت أن أعلمه من خواص أرضهم وكذلك كان فعلى مع غيره فى سائر الاوقات ممن لم اصل الى بلادهم وأخبرنى هذا الرجل عما بارضهم من الشب وأنواع الزاج وما يحمل من بلادهم وما بارضهم من أنواع العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم وقد ذكر صاحب المنطق أن ببعض المواضع عيونا حامضة يستعمل ماؤها كاستعمال الخل وذكر المواضع التى تنبع منها العيون المرة وأن قوة مائها فى المرارة لايخالط شيأ الا امرره وأن العلة فى اختلاف هذه الطعوم فى المياه أن الارضين المختلفة مثل مواضع الشب والمواضع النارية والرمادية وذكر الاطعمة التى ببلاد صقلية المقدم ذكرها اذا خالطت الماء افادته طعوما مختلفة على قدر اختلافها وأعداد طعومها واعداد الطعوم ثمانية فاولها العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريف وقد تنازع الناس فيما ذكرنا فنهم من رأى أن أعدادها سبعة ومنهم من ذهب الى أنها ستة وأكثر من قال فى اعدادها هو ما ذكرنا آنفا ثمانية وقد قال من سلف فى قوى المياه أقاويل مختلفة فن ذلك أن العذب مغذ وان كان سخنا فان استعمل من داخل أو من خارج فانه ينقى الجسد وان استعمل أكثر مما يحتاج اليه فانه يرخى الاعضاء ويضعفها وأن الماء البارد يشد الاعضاء ويقطع العطش وأن الزيادة منه تخدر الجسد وتميته وأن الماء الاجاج ينفع من سدد الكبد والطحال وان الماء الكبريتى ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة والروقى نافع للحكة والجرب وأن ماء النضار نافع من أوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من الاسترخاء فى الاحشاء وما بطن من الاوعية وماء النحاس نافع من الرطوبة والبلة الكائنة فى الجسد والرأس وماء الجص يشنج المعدة ويقبضها ويكرشها وماء الزاج يحسن الدم وماء البحر نافع من البرص وقد ذكر جماعة أنه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز ولهُ فى البصر ايعاب فظيع وأن أصح المياه للاجساد الابيض البراق الذى يخرج من جبال الصين من مشرق الشمس نحو مغربها القابل بسرعة ما يرد اليه من الحر والبرد وللناس فيما ذكرنا كلام كثير فى أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها ليس كتابنا هذا موضعا له وانما تغلغل بنا الكلام الى ذكرها وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ما ذكرنا من بلاد الاحابش ما كان من غربى اليمن وجدة والجار

مما يلي بحر القلزم فبلاد قشفة لا خير في أرضها ولا شيء يحمل من ساحلها الا ما وصفنا من الذبل والنمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضر موت الى عدن فبلاد لا خصب لاهله فيه ولا يحمل من أرضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهند وان كان الماء متصلا وليس في البحار وما ذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشي أصعب ولا أكثر جبالا ولا أسهك رائحة ولا اقحط ولا أقل خيرا في بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشي تقطعه المراكب في ابان سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل أرست في مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره في شيء وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين في قعره اللؤلؤ وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي وفي افواه دوابه العاج وفي منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود وأحجار الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر وطيور الببغاء البيض والخضر واحدها ببغة ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر ومنها ما يكون كالنعامة كبرا وحشرات أرض الهند الزباد كالسنانير كثيرة بأرض الاسلام متخذة كالسنور وأكثر ما يخرج من ضروعها الطيب المعروف بلبن الزباد وهو نوع من الطيب عجيب ثم ما يظهر في وقت من السنة من جباه الفيلة بارض الهند ورءوسها من العرق الذي هو كالمسك والهند تراعي ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه فتأخذه وتجعله على بعض أدهانها الطيبة فيكون أعلى طيبها المستظرف عندها والذي تستعمله ملوكها وخواصها الضروب من المنافع منها طيب الرائحة والتحمر الذي قد فاق على سائر الطيب وما يؤثر في الانسان عند شمه اياه واستعماله من ظهور الشبق من الرجال والنساء والطلب للباه والاغتلام والطرب والنشاط والاريحية وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند اللقاء والحرب لان ذلك عندهم مما يشجع القلب ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها وهيجانها واذا كان ذلك منها هرب عنها سواسها ورعاتها ولا يفرق بين من يعرف وغيره من الناس واذا وجد الفيل ما وصفنا سلك الاودية والجبال

والغياض وندعن بلده وغاب عن وطنه فاذا قدم على النوشان الذى هو الكركدن هرب حينئذ من الفيل ولا يقيم فى الموضع الذى هو فيه لان الفيل عند ذلك بحال السكران لا يعقل ولا يميز بين الكركدن الذى كان يخافه قبل ذلك وغيره فاذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد الى بلاده على مسيرة شهر وأكثر من ذلك وهو فى بقية من سكره فيبقى نحو ذلك المقدار الذى كان هيجانه فيه عليلا ولا يكون ذلك الا فى الفحول من الفيلة وذوى الجراءة منها والاقدام وما ذكرنا من طيب المسك وغير ذلك مما عنه أمسكنا من عجائبه وخيراته وفيما ذكرنا تنبيه على غيره وللهند خطب طويل فى ظهور هذا النوع من الطيب فى هذه الجباه من الفيلة والفرق بينه وبين سائر أنواع الدواب ما يظهر من الفيل من الجزع عند وروده المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء صافيا فانه يثيره ويكدره ويمتنع من شربه حين صفائه وان ذلك يوجد فى أكثر الخيل اذا وردت الماء وكان صافيا ضربته بايديها فكدرته فتشرب حينئذ وتوافق الخيل الفيلة فى هذا المعنى دون سائر الحيوان وان ذلك لمشاهدة صورها فى الماء لصقالته وصفائه ولعلمها بزوال ذلك عند كدره وان الابل الاغلب منها يفعل ذلك ولمعان غير ذلك مما وصفنا من أن ما عظم من الحيوان اذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء اعجبته لعظمها وحسنها وما بان له من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان وليس شئ يفعل ذلك من الحيوان غير ما ذكرنا من الخيل والابل وان الفيل مع عظم جسمه ولطافة نفسه وخفة روحه وحسن تمييزه والمعرفة بوليه وعدوه من الناطقين وغيرهم وقبوله الرياضة تمتنع اناثه كما تمتنع النوق اذا القحت وليس شئ من الدواب يمتنع من السفاد من الاناث عند حملها الا الفيلة والابل وهذا باب ان نحن تقصيناه وذكرنا ما فيه طال به الكتاب وخرج عن حد الاختصار والايجاز وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وغيره من كتبنا فلنذكر الآن أنواعا من ولد يافث بن نوح اذ كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كثيرا من ذكر الامم مع اختلاف ألوانهم وتباينهم فى ديارهم واختلافهم فى أحوالهم ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر الصقالبة ومساكنها واخبار ملوكها واجناسها ﴾

الصقالبة من ولد مار بن يافث بن نوح واليه يرجع سائر اجناس الصقالبة وبه يلحقون فى أنسابهم هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عنى بهذا الشأن ومساكنهم بالجربا الى أن تتصل بالمغرب وهم أجناس مختلفة وبينهم حروب ولهم ملوك ومنهم من ينقاد الى

دين النصرانية الى رأى اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد الى شريعة وهم جاهلية لا يعرفون شيأ من الشرائع وهؤلاء أجناس فنهم جنس كان الملك فيهم قديما فى صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجل وهذا الجنس يدعى ولينانا وكان يتلو هذا الجنس فى القديم سائر أجناس الصقالبة لكون الملك فيهم وانقياد سائر ملوكهم اليه ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانه وملكهم فى هذا الوقت يدعى بصقلابج وجنس يقال له دلاونه وملكهم يدعى وايح صلاف وجنس يقال لهم ياحيق وملكهم يدعى عرابه وهذا الجنس اشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى ماين وملكهم يدعى ريبير ثم جنس عند الصقالبة مهيب لعلل يطول ذكرها وأوصاف يكثر شرحها وتفرتهم من ملة ينقادون اليها ثم جنس يقال له مرارة ثم جنس يقال له جرواش ثم جنس يقال له صاصيف ثم جنس يقال له حانين وماسميناه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملكهم والجنس الذى سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا الجبل الفتح والخزر وأن فى بلاد الخزر مع الخزر خلقا من الصقالبة والروس وانهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار ملكه بأنواع التجارات ثم يلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب الروم والافرنج والنوكبرد وغيرهؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة أجناس كثيرة وانواع واسعة لا يأتى كتابنا هذا على وصف أجناسهم وتفريع أنواعهم وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذى كان ينقاد اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجل ولينانا وهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى اجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين اجناسهم فزال نظامهم وتحزبت اجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ماذكرنا من ملوكهم لامور يطول ذكرها وقد أتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة .

﴿ ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها ﴾

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسنان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير من ذكرنا ممن حل الجراو هو الشمال لا خلاف بين اهل البحث والنظر من الشرعيين ان جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث بن نوح فالافرنجة أشد هؤلاء الاجناس بأسا وأمنعهم هيبة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا واحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة الا أن الجلالقة أشد من الافرنجة بأسا واعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم عدة من الافرنجة وكلمة الافرنجة متفقة على ملك واحد لا تنازع بينهم فى ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم فى وقتنا هذا نومر وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان اوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وان فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد أفريقية وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على اخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهى الاطمة التى يخرج منها اجسام من النار كاجساد الناس بلارءوس فتعلو فى الهواء بالليل ثم تسقط فى البحر فتطفو على الماء وهى الحجارة التى يحك بها الكتابة من الدفاتر وهى خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزنابير الصغار وهى الاطمة المعروفة باطمة صقلية وفيها هلك مرقونوس الحكيم الذى صنف كتاب ايساغوجى وهو المدخل الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كأطمة وادى برهوت من بلاد حضرموت وبلاد الشحر وأطمة بلاد الزنج من بحر الصين وأطمة بلاد أسك وهى ما بين بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهى مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هى عين النار التى تعرض من الارض ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبريتية والزاجية ولا الحامات التى تظهر من مائها النار كالخاصة التى ببلاد ماسبذان من أرض أذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الخاصة فى قرية من قرى أذربيجان يقال لها القومان وهى أطمة تظهر من وسط مائها النار وهى أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهى احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا

على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناها ولمع لوحنا بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

ذكر النوبرد وملوكها

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وانهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحلهم بالجراولهم جزائر كثيرة فيها امم من الناس وهم ذو وبأس شديد ومنعة ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد وأسماء ملوكهم في سائر الاعصار أركيس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هي تبت ويخترقها نهر عظيم وهي جانبان وهذا النهر احد انهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سانيط قد ذكره جماعة ممن عنى بهذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة تارة طارينو (قال المسعودى) وجدت في كتاب وقع الى الفسطاط بمصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه عرمار الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس في هذا الوقت في عهده يا أمير المؤمنين ان اول ملوك افرنجة قلوز وبه وكان مجوسيا فتنصر هو وابنه لذريق وابنه دفشرت ثم ولى بعده ابنه لذريق ثم ولى بعده قرلمان بن دفشرت ثم ولى بعده ابنه تنين ثم ولى بعده نازلة بن تنين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان في أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع اولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة اشهر وهو الذى اقبل الى طرطوسة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى بورشة وملك افرنجة فاقام في ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة ابن بغريرة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين

وثلاثين وثلثمائة واستوت مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب مانمى الينا من خبره (قال المسعودى) وأشد ماعلى الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كما أن الافرنجة حرب لهم غير أن الجلالقة أشد بأسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هــذا الوقت وزير من ولد أمية يقال له أحمد بن اسحاق فقبض عليــه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير أخ يقال له أمية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لهــا سيرين فلما نمى اليه مافعل بأخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج أمية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها فغلب على المدينــة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى أمية ابن اسحق أخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بثورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها وأسوارها فى باب جمــل الاخبار عن البحار ومافيها وماحولهــا من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعــة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعــد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر ثلاثة أيام وكانت للمسلمين عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وأولجوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان فى معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبــله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ماقتــل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قبله على الملك أردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة طارينو ومدينة سيرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان * ثم ان النوبرد أنابوا ورجعوا على من كان فى تلك المدن من المسلمين فاخرجوهم عنها

بعد حرب طويل وماذكرنامن المدن فى وقتناهذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى أيدى النوبرد (قال المسعودى) وماذكرنامن الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنوبرد وغيرهامن الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حربا لاهل الاندلس فى هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ماقدمنامن نسبه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى اول دولة بنى العباس وله أخبار كثيرة فى كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ماذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولديافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرهامن الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب فى مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

ذكر عاد وملوكها

ذكر جماعة من ذوى العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه يدل على تقدمهم وأن هناك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة التى تدحى على مر الدهور العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه إياهم (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين) وعاد أول من ملك فى الارض من هذه الطائفة بعد أن اهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح وذلك (لقوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة) وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيا ت النخل طولا وكانوا فى اتصال الاعمار وطولها بحسب ذلك من القدر وكانت نفوسهم قوية واكبادهم غليظة ولم يكن فى الارض أمة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأقوى عقولا وأكثر أحلامامن قوم عاد ولم يكن الهلك يعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وماأوتوه من الزيادة الى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ماأخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا اعظيم الخلقة وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا انه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب ماقدمنا آنفافيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عنى بأخبار العرب أن عادا لما توسط

العمر اجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر غمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه احتوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ما قدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى أى بلاد هى وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من أخبارهم فى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا تفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من أخبار عاد ونبيها هود فأما تنازع الناس ممن سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت أجسامهم وطالت أعمارهم فقد أتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبيعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف

﴿ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها﴾

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة فى الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد أجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد أجسامهم وكان ملك الملك الاول من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى أن هلك مائتى سنة وتسعين سنة

وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبي صلى الله عليه وسلم ما كان على ماذكرنا
أربعين سنة لجميع ماملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء
ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين
هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ماذكرنا
فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا
فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده ساموه المعجزات واظهار العلامات
ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم فحضر عيد لهم وقد أظهروا أوثانهم
وكان القوم أصحاب ابل فساموه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس
لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم ياصالح ان كنت صادقا فى
قولك وانك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء
عشراء فتوجا حالكة صافية اللون ذات عرف وناصية وشعر ووبر فاستغاث بربه
فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها حنين وأنين ثم انصدعت من بعد تمخض شديد
كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ماطلبوه من الصفة ثم تلاها من
الصخرة سقب لها نحوها فى الوصف فأمعنا فى رعى الكلا وطلب المرعى فآمن خلق ممن
حضره وزعيمهم الذى سأله وهو جندع بن عمرو وأقامت الناقة يحلبون من لبنها
مايعم شربه ثمودا كلها وضايقتهم فى الكلا والماء وكان فى ثمود امرأتان ذواتا حسن
وجمال فزراهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع بن مفرج والمرأتان
عنيزة بنت زعيم وصدوف بنت المحيا فقالت صدوف لو كان لنا فى هذا اليوم ماء
لاسقينا كم خمرا وهذا يوم الناقة وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة بلى
والله لو أن لنا رجالا لكفونا اياها وهل هى الا بعير من الابل فقال قدار ياصدوف ان
أنا كفيتك أمر الناقة فمالى عندك فقالت نفسى وهل حائل دونها عنك فاجابت
الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا ميلا علينا بالخمر فشربا حتى توسطا السكر ثم خرجا
فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه بقوله (وكان فى
المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون) وقصدوا طريق الناقة فى حال
صدورها فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها واتبع صاحبه الآخر العرقوب
الآخر فخرت الناقة لوجهها وجأ قدار لبتها فنحرها ولاذ السقب بصخرة فلحقه
بعضهم فعقره وورد صالح فنظر الى مافعلوه فوعدهم العذاب وكان ذلك فى يوم الاربعاء

فقالوا له مستهزئين ياصالح متى يكون ماوعدتنا به من العذاب عن ربك فقال تصبح وجوهكم يوم مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شيار مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب اسماء الشهور والايام بلغتهم فهم التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا فحالت الملائكة بينهم وبينه وأمطرتهم الحجارة ومنعه الله منهم فلما اصبحوا انظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام وتيقن القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح فى ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين وأتاهم العذاب يوم الاحد وفيهم يقول بعض من آمن بصالح عليه السلام

أراكم يارجال بنى عتيد * كان وجوهكم طليت بورس
ويوم عروبة احمرت وجوه * مصفرة ونادوا يال مرس
ويوم شيار فاسودت وجوه * من الحيين قبل طلوع شمس
فلما كان أول فى ضحاه * أتتهم صيحة عمت بتعس

وفيهم يقول حتاف بن عمرو وكان ممن اعتزلهم من المؤمنين وبان عن ديارهم

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة * ماان يضام لهم فى الناس من جار
لا يرهبون من الاعداء حولهم * وقع السيوف ولا نزعا باوتار
فاهلكوا ناقة كانت لربهم * قد أنذروها وكانوا غير أنذار
نادوا قدارا ولحم السقب بينهم * هل للعجول وهل للسقب من ثار
لم يرعيا صالحا فى عقر ناقته * وأخفروا العهد هذيا أى اخفار
فصاد فو اعنده من ريه حرسا * فشدخوا روسهم شدخا باحجار

(وسنذكر) فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لتفرق الناس مما يلى من أخبار ثمود جملا وما كان من أمر الناس بأرض بابل وافتراق لغاتهم وما قاله كل فريق منهم من الشعر على حسب ما أعطاه الله من اللسان وان كنا قد أتينا على شرح ذلك على الكمال فيما تقدم لنا من كتابنا أخبار الزمان وبالله التوفيق

(ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب)

ولما أسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر واستودعه خالقه على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير ذي زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون لهما مسكنا وكان من ظما اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم وأقحط الشحر واليمن فتفرق العماليق وجرهم في البلاد ومن هناك من بقايا عاد فبقيت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصيبة وعليهم السميدع بن هود بن لابى بن قنطور بن كركر بن حيدان فلما أمعنت بنو كركر فى المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد اقبل السميدع بن هود يحثهم على السير في شعر له ويشجعهم بما قد نزل بهم وهو

سيروا بنى الكركر فى البلاد انى أرى ذا الدهر فى فساد
قد سار من قحطان ذى الرشاد جرهم لما هدها التعادى

فاشرف روادهم وهم المتقدمون لطلب الماء على الوادى فنظروا الطير ترتفع وتنخفض فهبطوا الوادى ونظروا الى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أمنا هاجر لولا أنها بخلت ومنعت ماء زمزم من أن يجرى بما حوطت حوله من الاحجار لجرى الماء على وجه الارض فسلم الرواد عليها واستأذنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فانست اليهم وأذنت لهم فى النزول فتلقوا من كان وراءهم من أهليهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام وتكلم اسمعيل بالعربية خلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس فى ذلك من قحطان ونزار وتزوج اسمعيل بالجداء بنت سعد العملاقى وقد كان ابراهيم استأذن سارة فى زيارة اسمعيل فاذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه أمه هاجر فسلم على الجداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال فما فعل رب البيت قالت هو غائب فقال لها اذا ورد فاخبريه ان ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن أمك استبدل بعتبة بيتك غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشأم وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادى قد أشرق وأنار والاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدى من خبر قالت نعم شيخ ورد على وأخبرته بالقصة فقال ذاك أبى خليل الرحمن وقد أمرنى بتخليتك فالحقى باهلك فلا

خير فيك وتسامعت جرهم بنبي كركر ونزولهم الوادي وماهم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم في حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد ابن الرقيب بن ظالم بن محالة بن هي بن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادي ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بني كركر وقد قيل في كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر أنه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهي شامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هي بن نبت واستأذن ابراهيم سارة في زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل من ركابه وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه فنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على اتان وقيل غير ذلك من الحيوان فلما أتى ابراهيم الوادي سلم على زوجة اسمعيل الجرهمية فسلمت عليه ورحبت به وتلقته بأحسن لقاء وسألها عن اسمعيل وهاجر فاخبرته بخبرهما وأنهما في رعيهما وعرضت عليه النزول فابى وقيل ان هاجر كانت قد ماتت ولها من السن تسعون سنة وألحت الجرهمية على ابراهيم في النزول فابى فقدمت اليه لبنا وشرائح من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة وجاءته بحجر كان في البيت فمال عن ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فاثرت قدماه في الحجر على ماوصفنا من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الجرهمية ذلك اكبرت ماشاهدته وهذا الحجر هو مقام ابراهيم فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شأن ونبأ بعد حين ثم قال لها اذا جاءك اسمعيل فقولي له ان ابراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك احتفظ بعتبة بيتك فنعمت العتبة هي وسار ابراهيم راجعا نحو الشأم وقيل انما سمي اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن في المسجد الحرام حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود * وولد لاسمعيل اثناعشر ولدا ذكرا وهم نابت وقيذار واربل ومسيم ومسمع ودوما ودوام ومشي وحدادو نيم وبطور ونابسر وكل هؤلاء قد أنسل وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتي بالحجر من عشرة جبال ذكرت وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه سبعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه وألصق المقام بالبيت

وذلك قوله عز وجل وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده أناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولى البيت وكان ينزل هنالك فى الموضع المعروف بقعيقعان فى هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك فى أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هود بن حدر بن مازن بن لاى بن قنطورا وكان ينزل اجيادا من أسفل مكة وكان يعشر من دخل مكة من ناحيته وكانت بينهم حروب فخرج الحرث بن مضاض ملك جرهم تتقعقع معه الرماح والدرق فسمى الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخرج السميدع ملك العماليق ومعه الجياد من الخيل فعرف الموضع باجياد الى هذا الوقت فكانت على الجرهميين وافتضحوا فسمى الموضع فاضحا الى هذا الوقت ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمى الموضع بطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم كانت لجرهم عليهم وأقاموا ولاة البيت نحو ثلثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث بن مضاض الاصغر بن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وزادوا فى بناء البيت ورفعته على ما كان عليه من بناء ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم فى الحرم وطغت حتى فسق رجل منهم فى الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى باساف والمرأة نائلة فسخهما الله عز وجل حجرين صيرا بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما الى الله تعالى وقيل بل هما حجران نحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا باسمائهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوى قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعر له فقال

وجرهم دمثوا تهامة فى الدهـ * ـر فسالت بجمعهم اضم

(وفى ذلك) يقول الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا لاسمعيل صهرا ووصلة * ولما تدر فيها علينا الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

فبدلنا ربى بها دار غربة * بها الذئب يعوى والعدو المحاصر

وفيماذكرنامن أخبارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى

وكنا ولاة البيت والقاطن الذى اليـه يؤدى نذره كل محرم

سكنا بهاقبـل الظبـاء وراثة لها عن بنى هى بن نبت بن جرهم

وفى ذلك يقول

كهفنا جرهم وأية كهف * و ولاة لبيته والحجاب

فسـقوا فى الحرام بعـدتقاهم * واستعاضوا العقاب بعدالثواب

ثم صارت ولاية البيت فى ولد اياد بن نزار بن معد وكانت حروب كثيرة بين مضر واياد وكانت لمضر على اياد فانجلوا عن مكة الى العراق * وسنورد بعد هذا جملا من أخبار مكة وولد نزار وخزاعة وغيرهم (قال المسعودى) وقد أتينا على جمل من الاخبار فى هذا الباب من أخبار جرهم وغيرها ووجدت فى وجه اخر من الروايات أن أول ملك من مـلوك جرهم ملك بمكة مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هى بن نبت بن جرهم بن قحطان مائة سـنة ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة وعشرين سنة ثم ملك بعـده الحرث بن عمرو مائتى سنة وقيل دون ذلك ثم ملك بعده عمرو بن الحرث مائتى سـنة وقيل دون ذلك ثم ملك مضاض بن عمرو الاصغر بن الحرث بن عمرو بن سـعد بن الرقيب بن هى بن نبت بن جرهم بن قحطان أربعين سنة وانقرضت العرب العـاربة من عاد وثمود وعتيد وطسم وجـديس والعماليق واياد وجرهم ولم يبق من العرب الا من كان من عدنان وقحطان ودخل من بقى ممن ذكرنا من العرب البائدة فى عدد قحطان وعدنان فانمحت أنسابهم وزالت آثارهم وقـد كانت العماليق بغت فى الارض فسلط الله عليهم ملوك الارض فافنتها وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الـكـتاب عند ذكرنا للروم وأنسابها من لحق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هـذا النسب وهو الاشهر فى الناس وقد رثتهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فـلم يبق منهم * خطـير ولا ذو نخوة متشاوس

عتوا فأدال الله منهـم وحـكمه * على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت فى نحو من سبعين سـنة فى البرارى بما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل وضربت

بهم الشعراء المقال فمن ذلك ماقاله بعض الشعراء ممن رثاهم فى قوله

فـو يلى من جوى هم رسيس * من اللاأوا لطسم أو جديس

بنو عم تفانوا بالمذاكى * و باليوم الاحم العيطموس

وأما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا وهم قوم حنظلة بن صفوان العبسى بعثه الله اليهم فـكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعا وقد قيل فى أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا فى هذا الـكتاب وقد ذكرت هذه القبائل فى التوراة وكل يرجع الى ولد سام بن نوح من بنى ارم بن سام ومن ولده عوص بن ارم ومن ولده عابر بن ارم ومن ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم نبيط بن ماش فصار النبط وملوكها ترجع فى أنسابها الى نبيط بن ماش فحل عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وولده الاحقاف من بلاد حضرموت وحل ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح وولده اكناف الحجاز وحل جديس بن عابر بلاد جو وهى بلاد اليمامة ما بين البحرين والحجاز وهذا البلد فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيد ولد الاخيضر العلوى وهو من ولد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مجاور للبحرين ومن فيها الى هذا الوقت وحل طسم بن لوذ بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بنى جديس وحل عملوق بن اد بن سام بن نوح الحجاز وقد ذكرنا ولد عيلام فيما سلف من هذا الـكتاب أنهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم بن سام بن نوح بابل فغلبوا على العراق وهم النبط ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وانهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا أشر ملوك الارض فادال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ماهم عليه من الذل فى هذا الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو ابن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صـلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صـلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليـه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم يبال من قـدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة

والملك والعزة قال لهم المحتج عن قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التي اعتل بها النبط فتقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما امتحنا به من سلب ما جعل الله للنبط من الفضل في شدة امتحانهم بسلب النبي صلى الله عليه وسلم عنهم والنبط أيضا قد صاروا دون العرب اذ للعرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم بتعريتهم من فضل النبط على شدة امتحانهم بتعرية الله اياهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس للنبط فتصير العرب أيضا خيرا من النبط وهذا لا يصح لهم الا كما يصح عليهم والكلام متوجه عليهم فيما قالوه ومكافئ لعلتهم فيما أوردوه من تفضيل النبط على العرب وقد ذكرنا تنازع الناس في الانساب والفضل بها او بالاعمال دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب وما قالته الشعوبية وغيرها في كتابنا المقالات في أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيي في كتابه في الرد على الشعوبية عللا كثيرة وذكر أن من اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه إذ ذاك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل قال فان زعم زاعم أن ذلك ثواب خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير أجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلان فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها غيره بغير جرم وان زعموا انه تفضل قلنا لهم فاذا جاز أن يصرف الله عز وجل رحمته الى بعض خلقه بغير عمل استحقوها به فلم لا يجوز أن يشرفهم بانسابهم وان لم تكن الانساب من أعمالهم فان قالوا ليس من العدل أن يشرفهم بغير أعمالهم قلنا لهم أرأيتم ان عارضكم معارض فزعم انه ليس من العدل أن يمن عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل كان منهم وبغير معصية كانت من غيرهم ماذا يكون الفصل بينكم معاشر الشعوبية وبينه وقد أخبر الله عمن اصطفاه من خلقه فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم والواجب على ذي النسب الشريف والمجد الرفيع أن لا يجعل ذلك سلما الى التراخي عن الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه فان شرف الانساب يحض على شرف الاعمال والشريف بهذا أولى اذ كان الشرف يدعو الى الشرف ولا يثبط عنه كما أن الحسن يدعو الى الحسن ويحركه عليه وأكثر الممدوحين انما مدحوا باعمالهم دون أنسابهم وهذا كثير في أشعار الناس ومنثور كلامهم وقد قال

الشاعر فى هاشم بن عبدمناف وهو امام ذوى الانساب

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

فمدحه بعمله ولم يذكر نسبه وان كان شريفا رفيعا وانما ينبغى لذوى الانساب أن يكونوا كما قال أخوهم وشريكهم فى النسب

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفى السر منها والصريح المهذب

فما سودتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بام ولا أب

ولكننى أحمى حماها وأتقى * اذاها وأرمى من رماها بمقنب

﴿ وكما قال الآخر ﴾

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل كالذى فعلوا

(قال المسعودى) ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مأرب انخزع بنو ربيعة فنزلوا تهامة فسموا خزاعة لانخزاعهم ولما ثارت الحرب بين اياد ومضر ابنى نزار وكانت على اياد قلعت الحجر الاسود ودفنته فى بعض المواضع فرأت ذلك امرأة من خزاعة فأخبرت قومها فاشترطوا على مضر انهم ان ردوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم فوفوا لهم بذلك ووليت خزاعة أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحى واسم لحى حارثة بن عامر فغير دين ابراهيم و بدله وبعث العرب على عبادة التماثيل لخبر قد ذكرناه فى هذا الكتاب وغيره حين خرج الى الشأم ورأى قوما يعبدون الاصنام فأعطوه منها صنما فنصبه على الكعبة وقويت خزاعة وعم الناس ظلم عمرو بن لحى وفى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

ياعمرو لا تظلم بمكة * انها بلد حرام

سائل بعاد أين هم * وكذاك تخترم الانام

وبنى العماليق الذين * لهم بها كان السوام

ولما أكثر عمرو بن لحى من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وانمحت الحنيفية منهم الالمما قال فى ذلك سحنة بن خلف الجرهمى

ياعمرو انك قد أحدثت آلهة * شتى بمكة حول البيت انصابا

وكان للبيت رب واحد أبدا * فقد جعلت له فى الناس اربابا

لتعرفن بأن الله فى مهل * سيصطفى دونكم للبيت حجابا

وعمر عمرو بن لحى ثلثمائة سنة وخمسا وأربعين سنة وكانت ولاية البيت فى خزاعة وفى مضر ثلاث خصال الاجارة بالناس من عرفة والافاضة بالناس غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى أبى سيارة فدفع أبو سيارة من مزدلفة الى منى أربعين سنة على حمار له ولم يعتل فى ذلك حتى أدركه الاسلام فكانت العرب تتمثل به فتقول «أصح من عير أبى سيارة» وفى أبى سيارة يقول قائلهم

نحن دفعنا عن أبى سياره * حتى أفاض محرما حماره * مستقبل القبلة يدعو جاره

والنسء للشهور الحرم وكانت النسأة فى بنى مالك بن كنانة وكان أولهم العملس حذيفة ابن عبد ثم ولده فيولع بن حذيفة وورد الاسلام وآخرهم أبو ثمامة وذلك أن العرب كانت اذا فرغت من الحج وأرادت الصدر اجتمعت اليه فيقوم فيهم فيقول اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر للعام المقبل وظهر الاسلام وقد عادت الشهور الحرم الى بدئها على ما كانت عليه فى أصلها وذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث الى آخره فأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى انما النسىء زيادة فى الكفر الآية وقد فخر بذلك عمرو بن قيس الفراسى فقال

ألسنا الناسئين الى معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقد كان قصى بن كلاب بن مرة تزوج ابنة مليك ومليك هو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو بن لحى حين عمر ما ذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ولما حضر مليكا الوفاة وهو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته زوج قصى بن كلاب فقال انها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بأبى غبشان الخزاعى فباعه أبو غبشان ببعير وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا فقالت اخسر من صفقة أبى غبشان فى بيعه لولاية البيت ببعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك يقول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى * وأظلم من بنى فهر خزاعه

فلا تلحوا قصيا فى شراه * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم * وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخـر الفخور

وقد كانت ولاية البيت فى خزاعة ثلثمائة سنة واستقام أمر قصى وعشر على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى النسب بمكة وبنو الابطح من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهرى ظاهرا وقريش البطاح هى قبائل بنى عبد مناف وبنى عبد الدار وبنى عبد العزى ابنى قصى وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدى وهم لعقة الدم وبنو عتيك بن عامر بن لؤى وقريش الظواهر بنو محارب والحرث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤى وفى ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك بن قيس الفهرى

تطاولت للضحاك حتى رددته * الى نسب فى قومـه متقاصر

فلو شاهدتنى من قريش عصابة * قريش بطاح لا قريش الظواهر

ولـكنهم غابوا وأصبحت شاهدا * فقبحت من حامى ذمار وناصر

فريقان منهم سـاكن بطن يثرب * ومنهم فريق ساكن بالمشاعر

والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصى وسهم وجمح وعدى ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو أسـد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤى وفى ذلك يقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى امرأة

ولها فى المطيبين جدود * ثم نالت ذوائب الاحلاف

انهـا بـين عامر بن لؤى * حين تدعى وبـين عبـد مناف

وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتقرشت والتقريش الجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكرى

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أخذها الايلاف من الملوك الى الشأم والحبشة واليمن والعراق وفى ذلك يقول مطرف الخزاعى

ياايها الرجـل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبـد مناف

الآخذين العهد من آفاقنا * والراحلين برحـلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا فنبه بها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما

لحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشأم ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر انا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لى المدن وأهويتها ومساكنها وماتؤثره الترب والاهوية فى سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم ياأمير المؤمنين أن الله تعالى قد قسم الارض اقساما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى فى التشريق فهو مكروه لاحتراقه ونار يته وحدته واحراقه لمن دخل فيه وماتناهى مغربا أيضا أضر بسكانه لموازاته ماأوغل فى التشريق وهكذا ماتناهى فى الشمال أضر ببرده وقره وثلوجه وآفاته الاجسام فأورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريته مااتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض جزأ يسيرا ناسب الاعتدال وأخذ بحظه من حسن القسمة وسأصف لك ياأمير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (أما الشأم) فسحب وآكام وريح وغمام وغدق ركام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفى الالوان لاسيما أرض حمص فانها تحسن الجسم وتصفى اللون وتبلد الفهم وتنزح غوره وتجفى الطبع وتذهب بماء القريحة وتنصب العقول والشأم ياأمير المؤمنين وان كانت على ماوصفت لك فهى مسرح خصب ووابل سكب كثرت اشجاره واطردت أنهاره وغمرت أعشاره وبه منازل الانبياء والقدس المجتبى وفيه جل أشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجباله مساكن المجتهدين والمنفردين (وأما أرض مصر) فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحمد بفضل نيلها وذمها أكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الالوان وتخيب الفطن وتكثر الاحن وهى معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الابشار وتنمو فيها الاعمار وفى أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (وأما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة فى أهله هممهم كبار ولهم أحساب وأخطار ومغايضه خصبة وأطرافه جدبة وفى هوائه انقلاب وفى سكانه اغتيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من الترفه وفقرة من الفصاحة (وأما الحجاز) فحاجز بين الشأم واليمن والتهائم هواؤه حرور

وليله سهور ينحف الاجسام ويجفف الادمغة ويشجع القلوب ويبسط الهمم ويبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (وأما المغرب) فيقسى القلب ويوحش الطبع ويطيش اللب ويذهب بالرحمة ويكسب الشجاعة ويقشع الضراعة وفى أهله غدر ولهم خب ومكر ديارهم مختلفة وهممهم غير مؤتلفة ولديارهم فى آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم من أمر يظهر وأحوال تبهر (وأما العراق) فمنار الشرق وسرة الارض وقلبها اليه تحادرت المياه وبه اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال فصفت أمزجة أهله ولطفت أذهانهم واحتدت خواطرهم واتصلت مسراتهم فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم وقلب الارض العراق وهو المجتبى من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق ومسلك النور ومسرح العينين ومدنه المدائن وماوالاها ولاهله أعدل الالوان وأنقى الروائح وأفضل الامزجة وأطوع القرائح وفيهم جوامع الفضائل وفوائد المبرات وفضائله كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته واغداق الماء عليه ورفاهية العيش به (وأما الجبال) فتخشن الاجسام وتغلظها وتبلد الافهام وتقطعها وتفسد الاحلام وتعيت الهمم لما هى عليه من غلظ التربة ومتانة الهواء وتكاثفه واختلاف منابه وسوء متصرفاته والاخلاق والصور ياأمير المؤمنين تناسب البلد وتحاذيه وتقارنه وتوازيه وتوافقه وتضاهيه وكل بلد اعتدل هواؤه وخف ماؤه ولطف غذاؤه كانت صور أهله وخلائقهم تناسب البلد وتحاذيه وتشاكل ماعليه اركانه وما اسس عليه بنيانه وكل بلد يزول عن الاعتدال انتسب أهله الى سوء الحال (وأما خراسان) فتكبر الهام وتعظم الاجسام وتلطف الاحلام ولاهلها عقول وهمم طامحة وفيهم غوص وتفكير ورأى وتقدير (وأما بلد فارس) فخصب الفضاء رقيق الهواء متراكم الماء معتمر بالاشجار كثير الثمار وفى أهله شح ولهم خب وغرائزهم سيئة وهممهم دنيئة وفيهم مكر وخداع (وأما بلد خوزستان) فهى كدرة الاهواء تفسد الاحلام وتبلد الافهام وتخبث الهمم وتستأصل الكرم تساق أهله سوق الانعام وهم الهمج الطغام (وأما أرض الجزيرة) فتناسب البر بالهواء اللطيف وفيها خصب وسرح ولاهلها باس ومراس والبر ياأمير المؤمنين أفضل قطع الارض وأسناها وأشرفها وأعلاها نحو الانجاد والتهائم لحماية الهواء الاقذاء عن سكانه ودفعه الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وتهذيب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاضرار واعلم ياأمير المؤمنين أن الله تبارك

وتعالى قسم الارض أقساما فضل بعضها على بعض فأفضل أقسامها العراق فهو سيد الآفاق وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (وأما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بى الى وصفها لك لانها منازل شاسعة وبلدان نائية كافرة طاغية وفى الذى ذكرته لك ما اشفى بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما وصفته فى هذه البلدان فهو الاعم من أمور أهلها والاغلب على أحوالهم فان وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو النادر يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودى) وذكر جماعة من أهل العلم بالسير والاخبار أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أراد الشخوص الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من الجمع ببلادهم سأل كعب الاخبار عن العراق فقال يا أمير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شىء بشىء فقال العقل أنا لاحق بالعراق فقال العلم وأنا معك فقال المال وأنا لاحق بالشام فقالت الفتن وأنا معك فقال الخصب وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك فقال الفقر وأنا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وانا معك فقال الشقاء وانا لاحق بالبوادى فقالت الصحة وأنا معك (قال المسعودى) وأوسط الاقاليم الاقليم الذى ولدنا به وان كانت الايام أنأت بيننا وبينه وساحقت مسافتنا عنه وولدت فى قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون بالعراق وأكثرهم يصيفون بالجبال وينتقلون فى الفصول الى الصرود من الارض والحرور وقد كان أهل المروآت فى الاسلام كابى دلف القاسم بن على العجلى وغيره يشتون فى الحرور وهو العراق ويصيفون فى الصرود وهى الجبال وفى ذلك يقول ابو دلف

وانى امرؤ كسروى الفعال * اصيف الجبال واشتو العراقا

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال ارضه وغضارة عيشه ومادة الوافدين اليه وهى دجلة والفرات وعموم الامن فيه وبعد الخوف عنه وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان ارضه من اقليم بابل الذى تشعبت الآراء عن اهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان اهله واجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر ومن جفا من الامم واجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار وكما اعتدلوا فى الجبلة كذلك لطفوا فى الفطنة والتمسك بمحاسن الامور واشرف هذا الاقليم مدينة السلام

ويعز على ما أصارتني اليه الاقدار من فراق هذا المصر الذى عن بقعته فصلنا وفى قاعته تجمعنا لكنه الزمن الذى من سيمته التشتيت والدهر الذى من شروطه الابانة ولقد أحسن أبو دلف العجلى حيث يقول

أيا نكبة الدهر التى طوحت بنا * ايادى سبا فى شرقها والمغارب
قفى بالتى نهوى فقد طرت بالتى * اليها تناهت راجعات المصائب

وقد ذكر الحكماء فيما خرجنا اليه من هذا المعنى أن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه وبكاءه على ما مضى من زمانه وأن من علامة الرشد أن تكون النفوس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة وللالف والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه وقال ابن الزبير ليس الناس بشىء من أقسامهم اقنع منهم بأوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك عليك كحرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال آخر أولى البلدان بصبابتك بلد رضعت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر ميلك الى موضع مولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال افلاطون غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تنبت الحبة ببلل القطر وللنفوس فى علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب طب النفوس ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل أول العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وأمثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستظرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع اليه الخاصى والعامى ويميل الى روايته العربى والعجمى وبعد فانه يوصل به كل كلام ويتزين به فى كل مقام ويتجمل به فى كل مشهد ويحتاج اليه فى كل محفل ففضيلة علم الاخبار بينة على كل علم وشرف منزلته صحيح فى كل فهم فلا يصبر على فهمه وتيقن ما فيه وايراده واصداره الا انسان قد تجرد له وفهم معناه وذاق ثمرته واستسفر من غرره ونال من سروره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس

ونعم الذخر ان شئت ألهتك نوادره وأضحكتك بوادره وان شئت أشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادى والحاضر والشكل وخلافه والحسن وضده وهو ميت ينطق عن الموت ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق معك الا بما تهوى ولا نعلم جارا أبر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية واقل خيانة ولا أبدى نفعا ولا احمد اخلاقا ولا ادوم سرورا ولا اسكت غيبة ولا احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا اخف مؤنة منه ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وايد فهمك واكثر علمك وتعرف منه فى شهر ما لا تاخذه من أفواه الرجال فى دهر ويغنيك عن كد الطلب وعن الخضوع لمن انت أثبت منه أصلا وأسمح فرعا وهو المعلم الذى لا يجفوك وان قطعت عنه المائدة لم يقطع عنك الفائدة وهو الذى يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ويطيعك فى السفر كطاعته لك فى الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرام الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كاخباره عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض أهل الادب

لما علمت بانى لست اعجزهم * فوتا ولا هربا قدمت أحتجب
فصرت بالبيت مسرورا به جذلا * حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا يحدثنى حقا وينطق لى * عن علم ما غاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللائى عنيت بهم * فليس لى فى جليس غيرهم أرب
لله در جليسى لا جليسهم * فذا عشيرهم للسوء يرتقب

وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ويزاول مقبرة وكان لا يرى الا وفى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر واعظا أوعظ من قبر ولا ممتعا أمتع من كتاب ولا شيأ أسلم من الوحدة فقيل له قد جاء فى الوحدة ما جاء فقال ما أفسدها للجاهل وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها

زوامل للاسفار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * باحماله أوراح ما فى الغرائر

﴿ذكر تنازع الناس فى المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا﴾

تنازع الناس فى اليمن و تسميته فنهم من زعم أنه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمى الشأم شاما لانه عن شمال الكعبة وسمى الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل عن الفرق الذى بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وانما سمى العراق عراقا لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأظنه مأخوذا من عراقى الدلو وعراقى القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما سمى يمنا اليمنه والشأم شأما الشؤمه وهذا قول يعزى الى قطرب النحوى فى آخرين من الناس ومنهم من رأى انه انما سمى يمنا لان الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن و بعضهم تشاءم فوسم له هذا الاسم وسنذكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع و بعض ماقالوه فى ذلك من الشعر عند سيرهم فى الارض واختيارهم البقاع وقيل انما سمى الشأم شاما لشامات فى أرضه بيض وسود وذلك فى الترب والبقاع وأنواع النبات والاشجار وهذا قول الكلبى وقال الشرقى بن القطامى انما سمى الشام شاما لسام بن نوح لانه أول من نزله وقطن فيه فلما سكنته العرب تطيرت من ان تقول سام فقالت شام وقيل ان سامرا انما سميت بذلك اضافة الى سام وقيل ان أول من سكنها من خلفاء بنى العباس سماها بهذا الاسم وانها سرور لمن رآها وقد ذكر فى أسماء هذه المعاقل والبقاع والامصار وجوه غير ماذكرنا قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا

ذكر اليمن وأنسابها وماقاله الناس فى ذلك

اختلف الناس فى أنساب قحطان فحكى هشام بن الكلبى عن أبيه والشرقى بن القطامى انهما كانا يذهبان الى أن قحطان بن الهميسع بن نبت وهو نابت بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل ويحتجان لذلك بوجوه من الاخبار منها ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو مارواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبى عن أبى صالح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يابنى اسمعيل فان أباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم نبالهم وقالوا يارسول الله من كنت معه فقد نضل فقال ارموا وأنا معكم جميعا (قال المسعودى) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقطن وانما عرب فقيل له قحطان (وحكى ابن الكلبى) أن اسم يقطن فى التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح والواضح من أنساب اليمن

وماتدين به كهلان وحميرا بنا قحطان الى هـذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقى عن الماضى والصغير عن الكبير والذى وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بارض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح فى نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقد كان لعابر ثلاثة أولاد فالغ وقحطان وملكان والخضر عليه السلام من ولد ملكان فى قول كثير من الناس وولد لقحطان احد وثلاثون ذكرا وأمهم حنى بنت روق بن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب بن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدين احدهما عبد شمس وهو سبا بن يشجب وانما سمى سبا لسبيه السبايا فولد سبا حمير وكهلان ابنى سبا والثانى لم يعقب وانما العقب من ولد هـذين وهما حمير وكهلان فهذا المتفق عليه عند أهل الخبرة بهما والمتيقن لديهم وكان الهيثم بن عدى الطائى يقول اسمعيل تكلم بلغة جرهم لان اسمعيل كان سريانى اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين اسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ماذكرنا فصاهر جرهم ونشأ على لغتها ونطق بكلامها ونزار تأبى أن يكون اسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون ان الله عز وجل أعطاه هذه اللغة وذلك أن ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن أربع عشرة سنة فى واد غير ذى زرع ولا أنيس فحفظهما الله تعالى وأنبع لهما زمزم وعلم اسمعيل هذه اللغة العربية قالوا ولغة جرهم غير هذه اللغة ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد فهذا يقضى بابطال قول من قال ان اسمعيل اعرف بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل عربى اللسان لاجل جرهم لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة وقد وجدنا قحطان سريانى اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم فأعطاه فضيلة اللسان العربى التى أعطيها يعرب ابن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتى عليها كتابنا هذا فى التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما قد أتينا على ذكر جمل من حجاجهم وما ادلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية فى كتابنا أخبار الزمان * وزعم

الهيثم بن عدى أن جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان وتأول الهيثم قول النبى صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يا بنى اسمعيل أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما نالهم من الولايات من ولد اسمعيل لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزيل نسبا قد ثبت ولا يثبت نسب قوم الى غير آبائهم وقد نقلوا ذلك قولا وعملا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله من مراد عن سبا أرجلا كان أو امرأة أو واديا أو جبلا فقال له كان رجلا ولد له عشرة فتشاءم أربعة وتيامن ستة فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والازد ومذحج وكنانة والاشعريون وأنمار الذين هم بجيلة وخثعم وقال ابن المنذر هو أنمار ابن اياس بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودى) وقد تنوزع فى نسب أنمار فذهب الاكثر الى أن أنمارا واياداً وربيعة ومضر بنو نزار ابن معد بن عدنان وأنمار دخلوا فى اليمن فاضيفوا اليه وما ذكرناه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن تيامن وتشاءم فمن أخبار الآحاد وليس مجيئه مجئ الاستفاضة التى يقطع بها العدد ويثبت بها الحكم وللناس فى هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام عن أبيه الكلبى قال كان يقال لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو أخو عمرو بن عامر واخبار العرم والسيل وما كان من كهانتهما فى أمر السد وسيل العرم وتفرق القبائل من مارب ومن لحق بعمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

﴿ ذكر اليمن وملوكها ومقدار سنيها ﴾

أول من يعد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا الاية علة سمى سبأ على ماقيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده ولده حمير بن سبأ ابن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس فى وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن (ثم ملك بعده) أخوه كهلان بن سبا فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لاخبار يطول ذكرها وتنازع فى الملك ولد حمير

وكهلان (ثم) ملك ابو مالك عمرو بن سبأ واتصل ملكه وغمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة (وقيل) ان اول من ملك بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذى سدد (ثم ملك) جبار بن غالب بن افريقس بن صيفى بن يشجب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحو اربعين سنة وقيل ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذى المنار (ثم ملك) بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الرائش وهو ذو منار وكان ملكه مائة وثمانين سنة (ثم ملك) بعده اخوه المعبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وقد تنوزع فى مقدار ملكه فنهم من راى انه عاش عشر سنين ومنهم من ذكر سبعا ومنهم من قال ستا (ثم ملك) تبع الاول وكان ملكه اربعمائة سنة وذكر كثير من الناس ان بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمنا (ثم ملكت) بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر ظريف ذكرته الرواة فيما روى انه تصور لابيها فى بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء فامر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا فعلقت منه ببلقيس ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها فغابت عنه فى خبر ظريف وهو موجود فى كتب التبابعة وانما نحكى هذه الاخبار على حسب ما وجدناه فى كتب الاخباريين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها وليس قصدنا من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم لانهم ينكرون هذا ويمنعونه وانما نحكى فى هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق وأخبار الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبى المرسل وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وإعجاز الخليقة ان يأتوا بمثل هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل فى كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرها فملك سليمان اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده كليكرب بن تبع وكان ملكه ثلثمائة سنة وعشرين سنة وسكن قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان (ثم ملك) بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك فى ملكه تنازع

وخلاف وكان ملكه الى أن قتل خمساً وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عمرو بن تبع وهو القاتل لاخيه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة ويقال انه عدم النوم لما كان من فعله فى قتل أخيه (ثم ملك) بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك السائر من اليمن الى الحجاز وكانت له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود فكساها القصب اليمانى وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة (ثم ملك) عمرو بن تبع بعد تفرق وتنازع كان بينهم فى الملك ثم خلع عن الملك وملكوا عليهم مرثد بن كلال وكان فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة (ثم ملك) بعده وكيعة بن مرثد وكان ملكه تسعا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الصباح بن وكيعة بن مرثد وهو الذى يدعى شيبة الحمد وكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان غلامة وله سير مدونة (ثم ملك) بعده عمرو بن ذى قيعان وكان ملكه سبع عشرة سنة (ثم ملك) بعده ذوشناتر ولم يكن من أهل بيت الملك فغرى بالاحداث من أبناء الملوك وطالبهم بما يطالب به النسوان وأظهر الفسق باليمن واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وانصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف ذو نواس وكان من أبناء الملوك خوفا على نفسه وانفة أن يفسق به (ثم ملك) بعده يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الاصغر ابن حسان بن كليكرب وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتبنا وما كان من أمره مع أصحاب الاخدود وتحريقه اياهم بالنار وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه فقال (قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود) واليه عبرت الحبشة من بلاد فاصع والزيلع وهو ساحل الحبشة على حسب ماذكرنا الى بلاد زبيد من أرض اليمن فغرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة وقيل أقل من ذلك وذلك أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس باتباع المسيح عليه السلام ومايعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم أرباط بن اصحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشى غضب عليه وحلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته يعنى أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها فى حق من العاج وجعل دمه فى قارورة وجعل من تراب اليمن فى جراب وانفذ

ذلك الى النجاشي ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة وألطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد أنفذت الى الملك ناصيتي فليجزها بيده ويدمي في قارورة فليهرقه وبجراب من تربة بلادي فليطأه بقدميه وليطفئ الملك عني غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه فلما وصل ذلك الى النجاشي استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه وأبرهة بن يكسوم هو الذي سار بأصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بأبي رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال في الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك وفي ذلك يقول جرير بن الخطفي في الفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

(قال المسعودي) رحمه الله وقيل ان أبا رغال وجهه صالح النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات الاموال فخالف أمره وأساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم فقال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال نحن قسي وقسا ابونا وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي

قفوا عن أرضهم عدنان طرا * وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال * بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفي ذلك يقول عمرو بن دراك العبدي

ترانى ان قطعت حبال قيس * وخالفت المرور على تميم
لاعظم من فخار أبي رغال * وأجور في الحكومة من سذوم

وقال مسكين الدارمي

وأرجم قبره في كل عام * كرجم الناس قبر أبي رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم في ذلك قال وفي طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهند نحو النظامية موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان وفي كتاب حدائق الاذهان وفي أخبار أهل البيت رضي الله عنهم فكان ملك ابرهة على

اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا فى الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم أذاه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق بن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم أذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه فى الاذى وكانت أمه من آل ذى يزن وكان سيف بن ذى يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فاقام ببابه سبع سنين وأبى أن ينجده وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس فى الديانة أن ينصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى أنوشروان فاستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وماهذه القرابة التى ادليت بها الى فقال أيها الملك الجبلة وهى الجلدة البيضاء اذ كنت أقرب اليك منهم فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذى يزن فأتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سأل عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى أنوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز اصبهيد الديلمى فى أهل السجون فقال ان فتحوا افلنا وان هلكوا افلنا وكلا الوجهين فتح فحملوا فى السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا ابلة البصرة وهى برج البحر ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا فى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان أصيب بعضهم فى البحر فامرهم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلموا أنه الموت ولا وجه يؤملون المفر اليه فيجهدون أنفسهم وفى ذلك يقول رجل من حضرموت

أصبح من مثوب الف فى الجنن * من رهط ساسان ورهط مهرسن
ليخرجوا السودان من أرض اليمن * دلهم قصد السبيل ذو يزن

فى شعر له طويل ونما خبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فأتاهم فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم

وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس أصدقوهم الخبر واستشعروا الصبر ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السنن فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة فى تاجه بعلاق من الذهب تضيء كالنار فرمى وهرز ورمى القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فأخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة وأخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورءوس خواص الحبشة ورؤسائهم فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا وقد كان أنوشروان اشترط على معديكرب شروطا منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفى ذلك يقول الشاعر على أن ينكحوا النسوان منهم * وأن لا ينكحوا فى الفارسينا

فتوج وهرز معديكرب بتاج كان معه وقفازات من الفضة البسه اياها ورتبه فى ملكه على اليمن وكتب الى أنوشروان بالفتح وخلف هناك جماعة من أصحابه وكان جميع ما ملكت الاحابش اثنتين وسبعين سنة وكان ملك مسروق بن ابرهة الى أن قتل ثلاث سنين وذلك لخمس وأربعين خلت من ملك أنوشروان وأتت معدى كرب الوفود من العرب تهنيه بالملك فأتاه عبد المطلب وجدامية بن أبى الصلت وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذى يزن فى هذا الكتاب فيما بعد وما قيل من الشعر وفى مسير الفرس الى اليمن ونصرتهم على الحبشة يقول بعض أولاد فارس .

نحن خضنا البحار حتى فككنا * حميرا من بلية السودان

بليوث من آل ساسان شوس * يمنعون الحريم بالمران

وببيض بواتر تتلالا * كسنا البرق فى ذرى الابدان

فقتلنا مسروق اذ تاه لما * أن تداعت قبائل الحبشان

وفلقنا ياقوتة بين عينيه * بنشابة الفتى الساسانى

وهرز الديلمى لما رآه * رابط الجأش ثابت الاركان

وحوينا بلاد قحطان قسرا * ثم سرنا الى ذرى غمدان

فنعمنا فيه بكل سرور * ومننا على بنى قحطان

وفى ذلك يقول البحترى يمدح ابناء العجم ويذكر فضل الفرس على أسلافه لانه من قحطان

فكم لكم من يد يزكو الثناء بها * ونعمة ذكرها باق على الزمن
ان تفعلوها فليست بكر أنعمكم * ولا يد كأياديكم على اليمن
ايام جلى أنوشروان جدكم * غيابة الذل عن سيف بن ذى يزن
اذ لا تزال خيول الفرس دافعة * بالضرب والطعن عن صنعا وعن عدن
انتم بنو المنعم المجدى ونحن بنو * من فاز منكم بفضل الطول والمنن

(قال المسعودى) وأتت معديكرب الوفود من العرب تهنيه بعوذ الملك اليه وأشراف العرب وزعماؤها وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وخويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وجدامية بن أبى الصلت الثقفى وقيل أبو الصلت ابوه فدخلوا اليه وهو فى أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان وهو مضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء المقاول فتكلمت الخطباء ونطقت الزعماء وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب ان الله جل جلاله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه فى اكرم معدن واطيب موضع وموطن فأنت ابيت اللعن رأس العرب وتبعها الذى يخطب له وأنت أيها الملك ذروة العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى تلتجئ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه أيها الملك نحن أهل الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذى أبهجنا من كشف الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد الرزية فقال له الملك وايهم أنت ايها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معدى كرب بن سيف ابن اختنا قال نعم قال أدنوه منى فأدناه ثم أقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا مجلا يعطى عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فأنتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم ثم قام أبو زمعة جدامية بن أبى الصلت الثقفى فانشأ يقول

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن * فى لجة البحر اجوالا واحوالا
حتى أتى بينى الاحرار يحملهم * تخالهم فى سواد الليل اجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان رأيت لهم فى الناس امثالا

ارسلت أسداً على سود الكلاب فقد * امسى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دار امنك محلالا
ثم اطل بالمسك اذشالت نعامتهم * وأسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعاد ابعد أبوالا

ولمعديكرب بن سيف بن ذى يزن كلام كثير مع عبد المطلب و كوائن اخبره بها فى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحبا جميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان فاغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودى) وأقام معد يكرب بن سيف بن ذى يزن ملكا على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب فى بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة الاف سنة ومائة وتسعين سنة (قال المسعودى) وأما عبيد بن شرية الجرهمى حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه ذكر أن أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده الحرث بن شداد بن ملطاظ بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده افريقس بن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة (ثم ملك) بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو ذو الصرح سنة (ثم ملكت) بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين (ثم ملك) سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس (ثم ملك) بعده رحبعم بن سليمان سنة ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعد رحبعم بن سليمان ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذى الاذعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل فى تسميته ذا الاذعار خبر تأباه العقول وتنكر النفوس كونه مثله فى العالم ويجوز كون ذلك فى المقدور وانه انما سمى ذا الاذعار لانه وصل الى قوم فى اقاصى مفاوز اليمن وحضرموت مشوهى الخلقة عجيبى الصورة وجوههم فى صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك اذعرهم ما شاهدوا من ذلك وجزعت منه نفوسهم فسمى ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته (ثم ملك) بعده عمرو بن

شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة (ثم ملك) بعده من ولده كليكرب بن تبع وهو تبع أبو كرب اسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده كلال بن سويب اربعا وسبعين سنة (ثم ملك) بعده تبع بن حسان بن تبع (ثم ملك) بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة (ثم ملك) بعده ذو شناتر ابن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده حنيفة ويعرف بذى الشناتر أربعا وثمانين سنة فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما ذكرنا ماحكيناه عن عبيد بن شرية فى ترتيب ملوكهم وتباين تواريخ سنيهم لنأتى على جميع ماقيل فى ذلك من التنازع والله ولى التوفيق ولما قتلت الحبشة معديكرب بن سيف بن ذى يزن على حسب ماقدمنا فى الرحبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز فى جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معد يكرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من ارض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره فى البر فى اربعة آلاف من الاساورة وامره باصلاح اليمن وان لا يبقى على احد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان فى نسبه فأتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك أنوشروان وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان (ثم ملك) بعده حورادالشهر (ثم ملك) بعده ابن سيحان (ثم ملك) بعده المرزبان حرحسو وكان من اهل بيت مملكة فارس (ثم ملك) بعده حرحس وكان مولده باليمن (ثم ملك) بعده باذان بن ساسان (قال المسعودى) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن رجل من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وهو يعد من ملوك اليمن واسمه هينية بن اميم بن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم فى اليمن وطالت ايامه وذكره امرؤ القيس فى شعره فقال

وهينية الذى زادت قواه ... على زيدان اذ حان الزوال

تمكن قائما وبنى طريقا ... الى زيدان اعيط لا ينال

ويقال انه منتبه بن أميم بن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار مثل آل ذى شحر وآل ذى الكلاع وآل ذى أصبح وآل ذى يزن الا اليسير منهم فانهم نزلوا غيرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول فى حجر أسود

يوم شيدت ظفار قيل لمن أنـ * ـت فقالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * ان ملكي لفارس التجار
وقليلا مايلبث القوم فيها * منذ شيدت مشيدها للبوار
من اسود يلقيهم البحر فيها * تشعل النار في اعالى الديار

وهذا خبر عن ملوك تداولوها اخبروا عن ملكهم قبل كونه فتداولتها الملوك على حسب ماوصفنا وينتظر في المستقبل من الزمان ماذكرنا من وقود النيران في اعالى الديار وعند أهل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الاحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن وأحداث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى ثم غلب الاسلام فظفر بحمد الله * وقد أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم ومطافاتهم في البلاد وحروبهم وأبنيتهم في سائر مطافاتهم في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب * وبلد اليمن طويل عريض حده ممايلي مكة الموضع المعروف بلجة الملك سبع مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عمان وهو آخر عمل اليمن تسع مراحل والمرحلة من خمسة فراسخ الى ستة والحد الثاني من حكم ورحاء الى مابين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ماذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة وأسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى مواضع والى أفعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم

ولما ملك جذيمة الوضاح أتت عليه الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر وقد كان ملك من مشارق الشأم الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا وقد كانت الزباء تملكت بعد أبيها وأطمعت جذيمة في نفسها الى أن قتلته وأقام جذيمة ملكا في زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة وفي ملك أردشير بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثا

وعشرين سنة فكان ملكه مائة سنة وثمان عشرة سنة وكان يكنى بابى مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن كاهل اليشكرى

ان أذق حتفى فقبلى ذاقه * طسم عاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القيل الذى * قتلتـه بنت عمرو بالخـدع

وكان الملك قبل جذيمة اباه وهو أول من ملك الحيرة والله أعلم وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن العوف بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشأم وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتى عشرة سنة (ثم ملك) بعده ابنه جذيمة على ماذكرنا (ثم ملك) بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى ابن نصر بن ربيعة بن الحرث بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودار ملكه واليه تنسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودى) وقد ذكر غير واحد ممن عنى بأخبار العرب وأيامها أن جذيمة أول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخى وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لى عن غلام من أياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسى والقيام على رأسى لكان الرأى قالوا الرأى ما رأى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من أنت قال أنا عدى بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه فعشقته رقاش ابنة مالك أخت الملك فقالت ياعدى اذا سقيت القوم فامزج لهم وغرق للملك فاذا أخذت الخمر منه فاخطبنى منه فانه يزوجك فاشهد القوم ان فعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فأشهد عليه وانصرف الغلام اليها فأنبأها فقالت عرس بأهلك ففعل فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ماهذه الآثار ياعدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب على الارض ورفع عـدى جراميزه وهرب واسرع جذيمة فى طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثينى رقاش لاتكذبينى * ابحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فانت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهـل لدون

فاجابته رقاش تقول

انت زوجتنى وما كنت أدرى * وأتانى النسـاء للتزيـين
ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك فى الصبا والجنون

فنقلها جذيمة اليـه وحصنها فى قصر دفاشتملت على حمل وولدت غلاما فسمته عمرا ووشحته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه منه محبة ومودة حتى اذا خرج الملك فى سنة مكائمة قد اكمأت فبسط له فى أرضه وخرج عمرو فى غلمة يجنون الـكمأة فـكانوا اذا أصابوا كماة طيبة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم ويقول هـذا جناى وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فالتزمه جذيمة وحياه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذ أقبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت قدرا وأصلحت لهما طعاما فبينما هما يأكلان اذ أقبل رجل اشعث أغبر الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الـكلب ومد يده فناولته القينة طعاما فأكل فلم يغن عنه شيأ فمد يده فقالت القينة ازيعط العبـد كراعا طلب ذراعا فأرسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابها واوكت زقها فقـال عمرو بن عدى

عدلت الـكاس عنا أم عمرو * وكان الـكاس مجراها اليمينا
وماشر الثـلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لاتصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكرانى فلن تنكرا حسبى أنا عمرو بن عدى فقاما اليه فلثماه وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما كنا لنهدى الى الملك هدية هى أنفس عنده ولا هو عليها أحرص من ابن أخته قد رده الله اليه فخرجا به حتى إذا وقفا على باب الملك بشراه به فصرفه الى أمه وقال لهما حكما فقالا حكمنا منادمتك مابقيت وبقينا قال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعى فى مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالـكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معـا

وقال أبو خراشة الهذلى

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنـا   خليلا صفاء مالك وعقيل

وان أم عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة يقومون عليـه فى الحمام حتى اذا

خرج ألبسته من ظرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر ملكة الشأم والجزيرة من أهل بيت عاملة من العماليق كانوا في سليح وقال بعضهم بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهي اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد سقفت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية وجعلته أنفاقا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود نخطبها جذيمة الابرش فكتبت اليه اني فاعلة ومثلك من رغب فيه فاذا شئت فاشخص الي وكانت بكرا فجمع عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فأشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فأمره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة أقبلت اليك والا لم تقع في حبالها فعصاه وأطاعهم حتى اذا كان بنقبة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فأمروه بالشخوص اليها ما علموا من رأيه في ذلك وقال قصير تنصرف ودمك في وجهك فقال جذيمة بنقبة قضى الامر فأرسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير أمر فأرسلها مثلا وظعن جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي بمكان دون الخانوقة ونظر الى الكتائب دونها فهاله ما رأى فقال أي قصير ما الرأي فقال قصير اني تركت الرأي بنقبة فقال عند ذلك أشر علي فقال ان لقيتك الكتائب فحيتك بتحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة وان هم أخذوا بجنبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق يعني فرسا كانت جنبت معه فاستقبله القوم وأحاطوا به فلم يركب العصا فعمد اليها قصير فركبها وحمل وانطلق فالتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فقال جذيمة ماضل من تجري به العصا فادخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبعثاتها (أي عفلها) وتنضفت باستها وقالت يا جذيمة أي متاع عروس ترى قال أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ماذاك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ماس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من عسجد فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة في غير طست طلب بدمه فقالت أي جذيم لا تضيعن من

دمك شيأ فانى انما بعثت اليك لانه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم أضاعه أهله وفى ذلك يقول المغيث

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحبة والخبل

واستصفت دمه وجعلته فى برنية وقال بعضهم دخل عليها جذيمة فى قصر لها ليس فيه الا الجوارى وهى على سريرها فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هى قد عقدت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بتراء فقالت أما والله ماذاك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس ثم أمرت برواهشه فقطعت فجعلت دمه يشخب فى النطع كراهة أن يفسد مقعدها فقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه أهله ونجا قصير فأورد الخبر على عمرو بن عبد الحى التنوخى بالحيرة فاشفق لذلك فقال له قصير اطلب بثأر ابن عمك والا سبتك العرب فلم يحفل بذلك ان عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدى فقال له هل لك الى ان أصرف الجنود اليك على أن تطلب ثأر خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه ومناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى هو والتنوخى فلما خافوا الفتن بايعه التنوخى وتم الامر لعمرو بن عدى فقال له قصير انظر ماوعدتنى به فى الزباء فقال عمرو كيف لنا بها وهى أمنع من عقاب الجو فقال اما اذ أبيت فانى جادع أنفى واذنى ومحتال لقتلها جهدى فاعنى وخلاك ذم فقال له عمرو أنت أبصر وعلى معونك فجدع أنفه فقيل لامر ما جدع قصير انفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت فقال أنا قصير لا ورب المشارق ما كان على وجه الارض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك منى حتى جدع عمرو أنفى وأذنى فعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منى معك فقالت أى قصير نقبل منزلتك وتصرفك فى بضائعنا فاعطته مالا للتجارة فاتى بيت مال الحيرة فاستخف ما فيه بأمر عمرو بن عدى وانصرف به اليها فلما رأت ماجاءها به فرحت بذلك وزادته مالا الى ماجاء به وقال انه ليس من ملك الا وهم يتخذون فى مدائنهم أنقابا تكون لهم عددا فقالت له أما انى قد فعلت ذلك قد نقبت سربا وبنيته من تحت سريرى هذا حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختى دخلة ففرح بذلك قصير ثم ظعن حتى أتى عمرا فركب عمرو فى ألفى رجل على ألف بعير فى الصناديق حتى صار اليها فتقدم قصير وسبق الابعرة فقال لها اصعدى حائط مدينتك وانظرى الى مالك وتقدمى الى بوابك

فلا يتعرض لشيء من أموالنا فاني قد جئت بمال صامت وكانت قد أمنته فلم تكن تخافه وصعدت وفعلت ما أمرها فلما نظرت الى ثقل مشى الجمال قالت

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة حتى اذا بقي آخرها جملا عيل صبر البواب فطعن بمنخسة كانت في يده خاصرة رجل فضرط فقال البواب بشتا بشتا بالنبطية اى فى الجوالق شر وثار الرجال من الجواليق ضربا بأسيافهم فخرجت الزباء هاربة الى سربها فابصرت قصيرا عند نفقها مصلتا سيفه فانصرفت راجعة وتلقاها عمرو بن عدى فضربها وقال بعضهم مصت خاتمها وكان فيه سم ساعة وقالت بيدى لا بيد عمرو وخربت المدينة وسبيت الدرارى فقالت الشعراء فى أمرها وأمر قصير فاكثرت فمن ذلك قول المتلمس

ومن طلب الآثار ماجذ أنفه قصير ورام الموت بالسيف بيهس

نعاميت لما صرع القوم رهطه تبين فى أثوابه كيف يلبس

ومن ذلك قول عدى بن زيد التميمي يصف ذلك من أمرهم

ألا يا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الاولينا

دعا بالثقبة الامراء يوما جذيمة عصره ينجو معينا

وطاوع امرهم وعصى قصيرا وكان يقول لو وقع اليقينا

لخطبته التي غدرت وخانت وهن ذوات غائلة لحينا

مع أشعار كثيرة قيلت فى ذلك وكانت الزباء لا تأتى حصنا الا ضفرت شعر استها من خلفه ثم تقاعست فتقلعه حتى فعلت ذلك بمارد حصن دومة الجندل وبالابلق حصن تيماء الفرد حصنين منيعين فقالت تمرد مارد وعز الابلق وهما الحصنان اللذان تذكرهما العرب فى أشعارها قال الاعشى فى ذلك

بالابلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

وجذيمة الوضاح الذى يقول فيه

ماست مودعة الحديـ ث فمنجد منهم وغائر

أن تاه احور ذو رعيـ ن لنا وأحوى ذو أباعر

والملك كان لذى نوا س حوله من ذى بحائر

بالسابقات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر

أزمان عملاق وفيهم منهمو باد وحاضر

وانما سمى جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص فكنى به اعظاما له (قال المسعودى) هذا ابدء خبر بنى عدى وقد قدمنا أن مدة ملكه كانت سنة (وملك بعده) ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ستين سنة (وملك بعده) عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب خمسا وعشرين سنة وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهيجانة بنت سلول من مرادو يقال من إياد (وملك) المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق وكردس الكراديس خمسا وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الهيجانة من آل بكر (وملك) المنذر بن الاسود بن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن قصى بن دعا بن خو يلد بن أسد بن ربيعة بن صرار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها (ثم ملك) بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه أخت عمرو بن قابوس من آل نصر (ثم ملك) قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية بن معد يكرب (وملك النعمان) بن المنذر وهو الذى يقال له أبيت اللعن اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة استأذن على النعمان يوما فقال له الحاجب ان الملك على شرابه قال فهو وقت الملق تقبله الافئدة وهو جذل للرحيق فان تلج تلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت قال له الحاجب ماتفى عنايتى بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ما طلبت رهبة التعدى قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد بن جعفر الكلابى نديمه فقال النابغة هل لك الى ان تؤدى الى خالد عنى ما أقول لك قال وماهو قال تقول ان من يدرك وفاء الدرك بك وتأديتى من الشكر ماقد علمت فلما صار خالد الى بعض ماتبعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك التئام حادث النعيم قال وماذاك فاخبره الخبر وكان خالد رفيقا يأتى الاشياء بلطف وحسن بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

الا لمثلك أومن أنت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد

واللات لكانى أنظر الى ذى رعين وقد مدت لهم قضبان الجد الى معالم احسانكم ومناقب أنسابكم فى حلبة أنت أبيت اللعن غرتها فجئت سابقا منهملا وجاؤا لم يلم لهم سعى قال النعمان لا انت فى وصفك أبلغ احسانا من النابغة فى نظام قافيته فقال خالد ما أبلغ

فيك حسنا الا وهو دون قدرك استحقاقا للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضر القال وقلنا فامر النعمان بادخاله فخرج الحاجب فقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحياه بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائد العرب وغرة الحسب واللات لامسك أيمن من يومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك اسمح من يمينه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك اكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أخلاق مجدك جلت مالها خطر في الجود والناس بين العلم والخبر
متوج بالمعالى فوق مفرقه وفى الوغا ضيغم فى صورة القمر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشى فوه جوهرا ثم قال بمثل هذا هو فلتمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدى بن زيد التميمى وكان يكتب لكسرى ابرويز ويترجم اذا وفد عليه زعماء العرب لموجدة وجدها عليه النعمان فى خبر طويل الشرح فلما قتل صار زيد بن عدى مكان أبيه فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب الى النعمان يأمره أن يبعث اليه باخته فلما قرأ النعمان كتابه قال للرسول وهو زيد بن عدى ياز يد أما لكسرى فى مها السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات فقال زيد انما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهرك ولو علم أن ذلك يشق عليك لما فعله وسأحسن ذلك عنده وأعذرك بما يقبله فقال النعمان فافعل فقد تعرف ما على العرب فى تزويج العجم من الغضاضة والشناعة فأدى اليه قوله فى مها السواد على أقبح الوجوه وأوجده عليه وقال ما المها فقال البقر فأخذ عليه وقال رب عبد قد صار فى الطغيان الى أكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طيئ لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بنى رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالوا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبى سلمى

ألم تر للنعمان كان بنجوة من الدهر لوأن امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة من الدهر يوما واحدا كان غاويا
فلم أر مسلوبا له مثل ملكه أقل صديقا معطيا ومواسيا
خلا أن حيا من رواحة حافظوا وكانوا أناسا يتقون المخازيا
يسيرون حتى حبشوا عند ثأره هجان المطايا والعتاق المذاكيا

فجازاهم خيرا وأثنى عليهم ووعدهم توديع أزلا تلاقيا

وأقبل النعمان حتى أتى المدائن فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين فلما صار النعمان بينهن قلن له أمافينا للملك غنى عن بقر السواد فعلم النعمان أنه غير ناج منه ولقيه زيد بن عدى فقال له النعمان أنت فعلت هذا بى لئن تخلصت لاسقينك بكاس أبيك فقال له زيد امض تغنم فقد أخيت له أخية لا يقطعها المهر الأرن وأمر كسرى النعمان فجلس فى مجلسه بساباط المدائن ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة وقال بعضهم بل مات فى محبسه بساباط وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثرت فمن ذلك قول الاعشى وأجاد

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطى الضحاك ويرفق
ويجبى اليه المسلمون وعنده صريعون فى أنهارها والخورنق
ويقسم أمر الناس يوما وليلة وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق

وقال هانئ بن مسعود الشيبانى

ان ذا التاج لا أبالك أضحى فى الورى رأسه تخوت الفيول
ان كسرى عدا على الملك النعـ ـمان حتى سقاه مر البليل

ومما رثى به النعمان

لم تبكه هند ولا اختها خرقاء واستعجم ناعيه
بين فيول الهند تخبطنه مختبطا تدمى نواحيه

(وقد كان النعمان) حين أراد المضى الى كسرى مستسلما مر على بنى شيبان فأودعهم سلاحه وعياله عند هانئ بن مسعود بن هانئ الشيبانى فلما أتى كسرى على النعمان بعث الى هانئ بن مسعود وطالبه بتركته فامتنع وابى ان يخفر الذمة فكان ذلك السبب الذى أهاج حرب ذى قار وقد أتينا على ذلك فيما بعد من هذا الكتاب فأغنى عن اعادته هنا (وقد كانت) خرقاء بنت النعمان بن المنذر اذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخز والوشى ثم تقبل فى جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها فلما هلك النعمان لكبها الزمان فأنزلها من الرفعة الى الذلة ولما وفد سعد بن ابى وقاص القادسية اميرا عليها وهزم الله الفرس وقتل رستم فأتت خرقاء بنت النعمان فى حفدة من قومها وجواريها وهن فى زيها عليهن المسوح والمقطعات

السو دمترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه انكرهن سعد فقال ايكن خرقاء قالت ها أناذه قال انت خرقاء قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنتقل اهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا اهله مدى المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر ياسعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم أنشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ۔ اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

افأف لدنيا لايدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدى بن زيد كانه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها لاتبيتن قدامنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى ولقد كان آمنا مسرورا

قال فبينما هي واقفة بين يدى سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوارا لابيها في الجاهلية فلما نظر اليها قال انت خرقاء قالت نعم قال فادهمك فاذهب بجودات شيمك اين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت ياعمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وابنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فأكرمها سعد واحسن جائزتها فلما ارادت فراقه قالت حي اختك بتحية ملوكنا بعضهم لبعض لانزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها مافعل بك الامير قالت اكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريم (قال ابو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى ان ظهر الاسلام فاظهره الله واذل الكافرين فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى بن اخت جذيمة الابرص على حسب ماقدمنا آنفا في صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى ابرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه تسع سنين وثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد كان كذلك قبل عمرو بن عدى ملوك الحيرة على حسب ماذكرناو كان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بنى نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان عمران الحيرة وبدوه الى أن خربت

فی وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة و بضعا وثلاثين سنة (قال المسعودی) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذی ذكرنا الی صدر من أيام المعتضد فانه استولی عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بنی العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والتحف منها وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعی الخراب اليها واقفرت فی هذا الوقت ليس بها الا الصدی والبوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث فی المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وان هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودی) ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا علی ذكرها والغرر من مبسوطها فی كتابنا أخبار الزمان وفيما بعده من هذا الكتاب فأغنی ذلك عن اعادته

﴿ذكر ملوك الشأم من اليمن من غسان وغيرها من الملوك﴾

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور (ثم ملك) بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل فی كتابه ما كان من خبره علی لسان نبيه وما اقتص من امره ثم غلبت الروم علی ديارها فتفرقوا فی البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير اول من نزل الشأم وانضافوا الی ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا فی النصرانية علی من حوی الشأم من العرب وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك (ثم ملك) بعده عمرو بن النعمان بن عمرو (ثم ملك بعده) الحواری بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا ماذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع فی قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تأبی أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان علی ماذكرنا وقد قيل فی نسب قضاعة واتصالها بحمير ماذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشأم فغلبت علی تنوخ وتنصر من ملكته الروم علی العرب الذين بالشأم وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر بن سبا فسارت غسان الی الشام من ولد مازن وذلك أن الازد بن الغوث بن نبت بن ملك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفی ذلك) يقول حسان بن ثابت الانصاری

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم في البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة اربعمائة سوقة واربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشأم من العرب فملكها الروم على العرب فكان اول من ملك من ملوك غسان بالشأم الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن ماس ابن غسان بن الازد بن الغوث (ثم ملك) بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة ابن عمرو وذكر أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة وهي التي ذكرتها الشعراء في أشعارها وتنسب جماعة من ملوك غسان اليها وملك بعده النعمان بن الحرث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو (ثم ملك) بعده عوف بن أبي شمر وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم ملك) جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحرث ابن ثعلبة بن مازن وهو غسان بن الازد بن عوف وهو الملك الذي امتدحه حسان ابن ثابت الانصاري حيث يقول في شعر طويل

أشهر نهافان ملكك بالشأ * م الى الروم فخر كل يمانى

(وفيه يقول أيضا)

لمن الدار أقفرت بمغان * بين أعلى اليرموك والصمان
من قريات من ثلاثين عدت * فاسكامنه بالقصور الدوانى
قد دنا الفصح والولائد ينظمـ * ـن سراعا أكلة المرجان
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهـ * ـر وحقا تصرف الازمان
صلوات المسيح في ذلك الديـ * ـر دعاء القسيس والرهبان

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق واعمالها بين الجولان واليرموك (وذكر عدة) من الاخباريين أن حسان بن ثابت الانصاري زار الحرث بن أبي شمر الغساني وكان النعمان بن المنذر اللخمي يساميه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان علي فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولامك أشرف من أبيه ولابوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور من بحره وليومك أطول من شهره

ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يابن الفريعة هذا لا يسمع الا فى شعر فقال

نبئت أن أبا منذر * يساميك للحرث الاصغر
قفاك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها * كيمنى يديه على المعسر

(وكانت ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ومنهم من نزل الاردن من أرض الشأم وجبلة بن الايهم هو الذى أسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود من اللطمة وخبره واضح مشهور وقد اتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر أخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما ممن ملك الشأم ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الغسانى الى الاسلام ورغبه فى الايمان وقد أتينا على خبره وما كان من اسلامه وأخباره مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابنا أخبار الزمان فيما بعد (وفى أبيه) يقول النابغة

هـذا غلام حسن وجهـه * مستقبل الخير سريع التمام
الحرث الاكبر والحرث الا صغر والحرث خير الانام
ثم لهنـد ولهند وقد * اسرع فى الخيرات منه امام
وخمسـة آباؤهم ماؤهم * اكرم من يشرب صوب الغمام

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشأم احد عشر ملكا وقد كان بالشأم ملوك ببلاد مآرب من أرض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك مدائن قوم لوط من أرض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن فكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت سمة كل ملك يملكها فارعا وكذلك ذكر فى التوارة وذكر اسماء هذه المدن اعرضنا عنه اذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا اسماء لهم تعمهم وتشهرهم كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشى ولئلا يطول الكتاب بذكرهم وقد اتينا على سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغـيرهم ممن وسم بالملك فى بعض الممالك فى سائر الامم الخالية والممالك الباقيـة من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه وانما ذكرنا فى هذا الكتاب من الملوك ما اشتهر ملكه

وعرفت مملكته ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز وتنبيها على ماسلف من اخبارهم فى كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا والله الموفق

﴿ ذكر البوادى من العرب وغيرها من الامم وعلة سكناها البدو وجمل من أخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى ﴾

وقد تقدم ذكرنا لولد قحطان وان من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وطسم وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من سمينا وان من بقى ممن ذكرنا دخلوا فى العرب الباقية الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا يعلم ان قبيلا بقى يشار اليه فى الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وشيد البنيان فى الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كافريقش بن ابرهة وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية وما كور من الكور هنالك وما اتخذ من العمائر وكسير شمر الى أرض المشرق وبنيانه سمرقند ومن خلف هنالك من حميرها وببلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف (وقد افتخر) دعبل بن على الخزاعى فى قصيدته التى يرد فيها على الكميت وفخر دعبل بمن سلف من ملوكهم وسير فى الارض وأن لهم من الفضل ماليس لمعد بن عدنان فقال فى شعره

هموكتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند * وهم غرسوا هناك التبتينا

(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد الى ملكه أهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق أن يسمى تبعا ومن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا سمى ملكا ولم يطلق له اسم تبع وقد قال الله عز وجل فى قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية حين دخل الحرم فبعث الله عليه الظلة وانما سمي تبعا بمن تبعه وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب سار فى الارض ووطئ الممالك وذللها ووطئ أرض العراق فى ملك الطوائف وعميد الطوائف حينئذ جور بن سابور فلقى أبو كرب ملكا من الطوائف يقال له قتاد وليس بقتاد بن فيروز من الساماقية فانهزم قتاد وأتى تبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشأم والحجاز وكثيرا من الشرق (وفى ذلك يقول) تبع ويذكر ماصنع

ورد الملك تبع وبنوه * ورثوهم جدودهم والجدودا
إذ جبينا جيادنا من ظفار * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد * وابن أقلود قائما مصفودا
فكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لنا به اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا * وسجدنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليماني ان لم * تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدي ربيعة الخرج قسرا * أو تعقني عوائق العواق

(وقد كانت) لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وأنمار وتداعت بجدها نزار وتواهبت ما كان بينها من الدماء والثأر فكانت لهم غلبة ففي ذلك يقول أبو دواد الايادي

ضربنا على تبع حربه * حبال البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هاربا * وكان جبانا كثير الرهب
واتبعته فهوى للجبين * وكان العزيز بها من غلب

(وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فلنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمي ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى البوادي من عرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البراري والقفار (ذكر) عدة من أخباريي العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولادا ايادا وبه كان يكنى وأنمار وبجيلة وخثعم من ولده على ماقيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا انهم من ولد أنمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزارا الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك ثم أخذ بيد مضر فأدخله قبة له حمراء من ادم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالي فلك ثم اخذ بيد ربيعة وقال له هذا الفرس الادهم والخباء الاسود وما اشبههما من مالي فلك ثم اخذ بيد أنمار وقال له هذه البدرة والمجلس وما أشبههما من مالي فلك فان اشكلت عليكم هذه القسمة

فأتوا الافعى بن الافعى الجرهمى وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الأفعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران وهم فى مفازة اذاهم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذى ترون أثره أعور فقال أنمار وانه لابتر قال ربيعة وانه لأزور قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا أن رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال فى وجوهكم قال اياد بعيرك أعور قال فانه لاعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لابتر قال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فأين بعيرى دلونى عليه قالوا والله ما حسسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيرى وما أخطأتم من نعته شيأ قالوا ما رأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيرى ثم حلفوا انهم ما رأوه فدعا به الافعى فقال ما تقول فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيرى وهم أصحابه فقال لهم الافعى ما تقولون قالوا رأينا فى سفرنا هذا اليك أثر بعير فقال اياد انه لاعور قال وما يدريك انه أعور قال رأيته مجتهدا فى رعى الكلأ من شق قد لحسه والشق الآخر وافر كثير الالتفاف لم يمسه فقلت انه أعور وقال أنمار رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه أزور وقال مضر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلأ الملتف الغض فلا ينعش منه حتى يأتى ما هو أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه التمس بعيرك ثم قال الافعى للقوم من أنتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الافعى وكيف تحتاجون الى وأنتم على ما أرى قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فأنزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة ان يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطافهم بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتينى بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من شهد فأكلوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال اياد صدقتم لولا أن نحله فى هامة جبار فوعاها الغلام فلما حضر غذاؤهم وجىء بالشواء فاذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود شيا ولا أرخص

لحما ولا أسمن منه فقال أنمار صدقتم لولا أنه غذي بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمها نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا منزلا أكرم قرى ولا اخصب رجلا من هذا الملك قال مضر صدقتم لولا أنه لغير أبيه فذهب الغلام الى الافعى فأخبره بما كان منهم فدخل الافعى على أمه فقال أقسمت عليك الا ما أخبرتيني من أنا ومن أبي فقالت يا بني وما دعاك الى هذا أنت ابن الافعى الملك الاكبر قال حقا لتصدقيني فألح عليها قالت يا بني ان أباك الافعى الذي تدعى له كان شيخا قد ثقل فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل البيت وقد كان قدم الينا شاب من أبناء الملوك فدعوته الى نفسي فعلقت بك منه ثم بعث القهرمان فقال أخبرني عن الشهد الذي بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال انا أخبرنا بدبر في طيف فبعثت اليه من يشوره فاخبروني أنهم هجموا على عظام نخرة منكرة في ذلك الطيف فاذا النحل قد عسلت في جمجمة من تلك العظام فأتوا بعسل لم أر مثله فقدمته الى القوم لجودته ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ما هذه الشاة التي شويتها لهؤلاء القوم قال اني بعثت الى الراعي أن ابعث الي باحسن شيء عندك فبعث بها الي وما سألته عنها فبعث الى الراعي أن أعلمني خبر هذه الشاة قال انها أول ما ولدت من غنمي عام أول فماتت أمها فبقيت وكانت كلبة لي قد وضعت فانست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم أجد في غنمي مثلها فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ما هذا الخمر الذي سقيت لهؤلاء القوم قال من جنة كرم نبتت غرستها على قبر أبيك فايس في العرب مثل شرابها فقال الافعى ما لهؤلاء القوم انهم الاشياطين ثم أحضرهم فقال ما خطبكم قصوا على قصتكم فقال اياد ان أبي جعل لي خادمة شمطاء وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك برسا فهي لك ورعلو لها مع الخادم قال أنمار ان أبي جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله قال فلك ما ترك أبوك من الرقة والحرثي والارض فقال ربيعة ان أبي جعل لي فرسا ادهم وبيتا أسود وما أشبههما من ماله قال فان أباك ترك خيلا دهما وسلاحا فهي لك وما فيها من عبيد فسمي ربيعة الفرس فقال مضر ان أبي جعل لي قبة حمراء من أدم وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك ابلا حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمي مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوانهم جرهم بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها

و يصل اخوته وذهب ما كان لانمار من شاء فى تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها أنفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا ليلا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصى الرعاء وفى يد أنمار عظم يتعرقه قد جاء به فى ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب فى عنق مضر فتأوه مضر وصاح عينى عينى وتشاغل به اخوته فركب أنمار بعد ان أكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان فى عقبه ماذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا مضر الحمراء لما ذكرنا من أمر القبة وكذلك تفتخر مضر فى كلامها المنثور والمنظوم وربيعة الفرس وربيعة القشعم من الفروسية والشجاعة والنجدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا مالحق عقبه وأنمار وقد بينا الخلاف فى تفرع نسله وماقاله النسابون فى عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر ماحلوا به من الديار وتشعب أنسابها وتسلسلها فاتى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها فمنعنا ذلك من اعادته فى هذا الكتاب (فلنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذى به ترجم واليه نسب من سكنى من حل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والشبجة والبربر ومن تقطن بالبرارى وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم (تباين الناس) فى السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض سكنوا احينا من الزمان لم يبنوا ابناء ولا شيدوا امدنا وكان سكناهم فى شبه الاكواخ والمظال ثم ان نفرا منهم أخذوا فى ابتناء المساكن وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى فى البيوت والاظلال ينتجعون الاماكن الرفهة الخصبة ويتنقلون عنها اذا أجدبت فمضت هذه الطائفة على نهج الاقدمين (وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس لما نضب عنهم الطوفان الذى أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا فى طلب البقاع الخصبة المتخيرة وانفرد من انفرد بانتجاع الارضين وحلول البيداء وآخرون بقاعا تخيروها كمن ابتنى إقليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن كنعان بن سنجاريب ابن نمروذ الاول بن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على إقليم بابل من قبل الضحاك وهو بنوارست وكمن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ماذكرنا فى باب

مصر وأخبارها في هذا الكتاب وكمن عمر الشأم من الكنعانيين وكمن حل بوادى البربر وهم هوارة وزناتة وضريسة ومعولة ورمحولة وقفرة وكتامة ولواتة ومراتة ورلوبه وقفوسه ولعطه وصدسة ومعموره وعفاره وفاطه ووارثه واسمه وبنو اسحين وارلته وهي مورمانه وبنو وكلان وبنو نصر ران وبنو دووعس وبنو منهوسا وصنهاجة ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش وغيرهم الغابة المعروفة بغابة المبرابرية سون ورعوين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير الغابة واتسع فى هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشأم وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبية فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومعوله وضريسه الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهى بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومى فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد أفريقية وأقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة ألفى ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس وأطراف البرارى والقفار (ومن بحر أفريقية) وصقلية يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر أقيانس وغير هؤلاء ممن ذكرنا من الامم من سكن قطع الارض وابتنى المدائن شرقا وغربا (ورأت العرب) أن جولان الارض وتخير بقاعها على الايام أشبه بالعز وأليق بذى الانفة وقالوا لنكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء أصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من أجل ذلك (وذكر آخرون) أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار ونبل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من المعرة والهرب من العار بدأت بالتفكر فى المنازل والتقدير للمواطن فتأملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح اذا الهواء ربما قوى فاضر بأجسام سكانه وأحال أمزجة قطانه وقال

ذووالآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا أيضا أن الابنية والاطلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسد سروحه عن المرور وقذاه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضر هذا مع ارتفاع الاقذاء وسماحة الاهواء واعتزال الوباء ومع تهذيب الاحلام فى هذه المواطن ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن مع صحة الامزجة وقوة الفطنة وصفاء الالوان وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الفضاء وفى هذا الأمن من العاهات والاسقام والعلل والآلام فآثرت العرب سكنى البوادى والحلول فى البيداء فهم أقوى الناس هما وأشدهم أحلاما واصحهم أجساما وأعزهم جارا وأحماهم ذمارا وأفضلهم جوارا وأجودهم فطنا لما أكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء لان الابدان تحتوى أجزاؤها على متكاثف الاكدار وعناء الاقذار بما يرتفع اليه ويتلاطم فى عرصاته واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه فنى أكنافه جميع ما يتصعد اليه وكذلك تراكيب الاقذاء والادواء والعاهات فى أهل المدن وتركبت فى أجسامهم وتضاعفت فى أشعارهم وانثارهم ففضلت العرب على سائر من عداها من بوادى الامم المعترضة لما ذكرنا من تخيرها الاماكن وارتيادالمواطن (قال المسعودى) وكذلك جانبوا فظاظة الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم خروت الارض ودهاسها وذلك أن هذه الامم الساكنة هذه الجبال والاودية تناسب أخلاقها مساكنها فى انخفاضها وارتفاعها لعدم استقامة الاعتدال فى أرضها فلذلك أخلاق قطانها على ماهى عليه من الغلظ (وذكر) الهيثم بن عدى والشرقى بن القطامى وغيرهما من الاخبار يين انه وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها واختيارها البدو فقال أيها الملك ملكوا الارض ولم تملكهم وأمنوا من التحصين بالاسوار واعتمدوا على المرهفات الباترة والرماح السامرة خسا وحصنا فمن ملك قطعة من الارض فكانها كلها له يردون منها خيارها ويقصدون الطافها قال فاين حظوظهم من الفلك قال من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدى مشرفين على الارض بحسب ذلك قال فاريا حها قال أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس قال فكم الرياح قال أربع فاذا انحرفت واحدة منهن قيل

فكباء وما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما بازائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال وما جاء من وراء الكعبة فهى دبور وما جاء من قبل ذلك فهى صبا قال فما أكثر غذائهم قال اللحم واللبن والنبيذ والتمر قال فما اخلاقهم قال العز والشرف والمكارم وقرى الضيف واذمار الجار واجارة الخائف واداء الحملات وبذل المهج فى المكرمات وهم سراة الليل وليوث القيل وعمار البر وأنس القفر ألفوا القناعة وسبقوا الضراعة لهم الاخذ بالثار والانفة من العار والحماية للذمار قال كسرى لقد وصفت هذا الجيل كرما ونبلا وما أولا فانا بنجاح ذلك فيهم فتخيرت العرب فى البرارى والمهمات والمصاف فنهم المنجد والمتهم ممن سكن أغوار الارض كغور بيسا . وغور غزة من أرض الشأم من بلاد فلسطين والاردن ومن سكنه من لخم وجذام وجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع ملكية يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم وأنجاد الارض والبقاع والقيعان والوهاد ولست ترى قبيلا من العرب توغل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كاعضارج وماء العقيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه (وأما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع الناس فى بدئهم فنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الأنفة وجاوروا ما هنالك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية وولد كل من الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر وقد اختصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الامم ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى أن الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره فى هذا الكتاب الذى تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو أنه خرج بكتفيه حيتان لا يهدآن الا بادمغة الناس فأفنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة

وافاه أفريدون بهم وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاصان فاخذ افريدون الضحاك وقيده فى جبل نهاوند على ماذكرنا وقد كان وزير الضحاك فى كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط أدمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين فى كتفى الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا فى تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وماذكرنا من خبر الضحاك فالفرس لا يتناكرونه ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة (وللفرس) فى أخبار الضحاك مع ابليس أخبار عجيبة هى موجودة فى كتبهم وتزعم الفرس أن ظهور المقدم ذكره فى ملوك الفرس هو نوح النبى عليه السلام وتفسيره ادريس بالفارسية الفهلوية وهى الاولى الراية والمطردو العلم (وأما الترك وأجناسها) فقد قدمنا كثيرا من أخبارها وقد غلط قوم فزعموا أن الترك من ولد طوج بن أفريدون وهذا غلط ولى طوج على الترك وسلح على الروم وكيف توليه عليهم وهم ولده وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوج بن أفريدون بل لطوج فى الترك عقب مشهور والمعظم فى أجناس الترك هم التبت وهم من حمير على حسب ماذكرنا أن بعض التبابعة رتبهم هناك وما قلنا من الاكراد فالاشهر عند الناس والاصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار فاما نوع من الاكراد وهم الشاهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة وهى أرض الدينور وهمدان فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد والعاخرذان وهم من الكيكان ببلاد أذربيجان والهلبانية والسراة وماحوى بلاد الجبال من الساذنجان والكريه والبارد لكان والباربنجان واليارسان والخالبة والحبانارفيه والحاوانيه والمكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر ابن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلى الموصل وجبل الجودى (وفى الاكراد) من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادى العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والخلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلى بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض العفص والملوح والخب (قال المسعودى) فأما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام كيوم الهباة وحروب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر ابن وائل وتغلب وهى حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم حرار ومقتل جساس بن

زهـير ويوم ذي قار ويوم شعب جبلة وما كان من بني عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها وتفريقها في البلاد ونذكر جملا من آرائها ودياناتها في الجاهلية وماذهبت اليه في الغيلان والهواتف والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيمها وبالله التوفيق

ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

كانت العرب في جاهليتها فرقا منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا بان الله يثيب المطيع و يعاقب العاصي وقد تقدم ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته في الفترة كقس بن ساعدة الايادي ورباب الشني وبحيرا الراهب وكانا من عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال الى قول اهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون انها بنات الله فكانوا يعبدونها التشفع لهم الى الله وهم الذين اخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح وجعل الاخرى في الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا وفي

ذلك يقول عبد المطلب أعطى بلا شح ولا مشاحح سقيا على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلى والصفائح حليا لبيت الله ذى المسارح

وكان قد نذر ان رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل فى خبر طويل (وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بحب المحصب فأتى بعبد المطلب بن هاشم فاخبر أنه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبي صلى الله عليه وسلم فى جبينه فقال له سلنى ياعبد المطلب فأبى أن يسأله الا ابلاله فأمر بردها وقال ألا تسألنى الرجوع فقال أنا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب الى مكة وهو يقول

يا أهل مكة قد وافاكم ملك مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشى قد سارت كتائبه مع الليوث عليها البيض تتقد
يريد كعبتكم والله مانعه كمنع تبع لما جاءها حرد

وأمر قريشا أن تلحق ببطون الاودية ورءوس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل النعال وخلاها فى الحرم ووقف بباب الكعبة وهو يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع منهمو حماكا
ان عدو البيت من عاداكا فامنعهمو ان يخربوا قراكا

(ويقول)

يارب ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

فارسل الله عليهم الطير الابابيل أشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاهلكهم الله عز وجل (وقد ذكرنا) خبر أبى رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم وهلاكه فى الطريق وجعلت الحبشة يومئذ تسال عن نفيل بن حبيب الخثعمى يدلها على الطريق ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها وقد ريع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جملتهم يؤمل الخلاص وقد تاهوا فانشأ يقول

ألا ردى حى لك يا ردينا نعما كم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تريه لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله اذ عاينت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسال عن نفيل كأن على للحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منهم فى هلاك عنيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما صدهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول

أيها الداعى لقد أسمعتنى ثم ما بى عن ندا كم من صمم
ان للبيت لربا مانعا من يرده بأثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت حمير والحى من آل قرم
فانثنى عنه وفى أوداجه جارح أمسك عنه بالكظم
قلت والاشرم يرمى حيلة انذا الاشرم غربا لحرم
فجزاك الله فيما قد مضى لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة ثم عاد اقبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودى) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو فى بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم فى قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب فى مدحه النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله انى أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل حجة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لها وارث وأشرقت الا أرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
فنحن ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازى ونقلوا هذا المدح من

قول العباس وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت
هذه الطائفة من الغلاة ماذكرنا من الشعرين شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم
على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فمنع منها ما تقدم من أوائل
العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفي كتبهم ومن حذاق مبرزيهم
من فرق المحمدية والعليانية وغيرهم من فرق الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعي
المعروف بالاحمر في كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن علي في
نقضه لكتاب الصراط وذكره المعروف بالهنكي في نقضه هذا الكتاب المترجم
بالصراط وهؤلاء محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العليانية وقد أتينا
على ذكر هؤلاء من المحمدية والنمرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط
واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح في أنواع
أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية
والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول احمد بن حائط وابن بالوس وجعفر القاضي
الى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتأخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم
مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب أبي يعقوب المرايلي ثم أصحاب السوق
ومن تاخر عنهم وفارقهم في أصولهم مثل أبي جعفر محمد بن على اللقاني المعروف بابن
أبي القراقر وغيرهم من أمم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق في هذا
الوقت ممن يراعي وقت الظهر وأصحاب حجج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا
القول بالتناسخ وان الارواح تنتقل في شيء من الاجسام الحيوانية وأحالوا على القديم
عز وجل أن يجوز عليه شيء مما تقدم في كتابنا آنفا (وقد) تغلغل بنا الكلام في ذكر
عبد المطلب (تنازع) الناس في عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان مؤمنا موحدا وانه
لم يشرك بالله عز وجل ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نقل في الاصلاب
الطاهرة وانه اخبر أنه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان
مشركا وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع
بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق في النص والاختيار وليس
كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل
فريق منهم وما اقتدبه قوله في كتابنا المقالات في أصول الديانات وفي كتاب

الاستنصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى فى المتعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب وأوصاه بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد تنوزع فى اسم أبى طالب فنهم من رأى أن اسمه ماوصفنا ومنهم من رأى أن كنيته اسمه وأن على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبى صلى الله عليه وسلم وكتب على ابن أبى طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب فى شعره وصية أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال

أوصيت من كنيته بطالب * بابن الذى قد غاب ليس آئب

وقد كان أكبر العرب ممن بقى ودثر يقر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) فى ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التى نسفت صرح النمروذ ببابل من أرض العراق فبات الناس ولسانهم سريانى وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمى الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك فى ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفى ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ما ذكرنا فى صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعنبل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول

أنا ابن قحطان الهمام الافضل   الايمن المعرب ذى المهلل
ياقوم سيروا فى الرعيل الاول   أنا الندى باللسان المسهل
الأبين المنطق غير المشكل   حثوت والامة فى تبلبل
ياقوم سيروا فى الرعيل الاول   نحو عين الشمس فى تمهل

فحل باليمن على ماوصفنا آنفا من هذا الكتاب (وسار بعده عاد بن عوص) بن أرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انى أنا عاد الطويل البادى   وسام جدى بن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزيادى   وسوقه الطارف والتلادى

فحل بالاحقاف وأدانى الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء فى الارض فانتشر منهم ناس كثير منهم جيرون بن سعد بن عاد حل بدمشق فمصر مصرها وجمع

عمد الرخام والمرمر اليها وشيد بنيانها وتسمى ارم ذات العماد وقد روى عن كعب الاحبار فى أرم ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها على ما كانت عليه والبعض على مسجد الجامع وقد ذكرنا فيما خبر بنى أسهود (وسار بعد عاد بن عوص) ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أنا الفتى الذى دعى ثمودا ياقوم سيروا ودعوا الترديدا

لعلنا أن ندرك الوفودا فتلحق البادى لنا الصديدا

انا أبينا اليعرب الحميدا وعادما عاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادى القرى بين الشأم والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس ابن عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أنا جديس والمسير المسلكا فدتك نفسى ياثمود المهلكا

دعوتنى فقد قصدت نحوكا اذسارت العيس وأبدت شخصكا

وقد قلنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة (وسار بعد جديس) عملاق بن لاوذ ابن ارم بن سام بن نوح ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تبلبل وسار مناذو اللسان الاول

وحدثتنا فى اللحاق الاول فسرت حثا بالسوام المهمل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ومنهم من سار الى بلاد مصر والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من ألحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور ابن اسحق بن ابراهيم الخليل وزعم انهم من ولد العيص على حسب ماذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت فى مواضع من الشأم وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع بن نون مع ملك العماليق وانهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشأم والغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فممن ملك الروم) من العماليق أذينة بن السميدع الذى ذكره الاعشى فى قوله

ازال اذينة عن ملكه * واخرج عن ملكه ذايزن

وقدكان ملك بعد العماليق حسان بن اذينة بن طرب ويقال هو الذى يعرف بامه ثم ملك عمرو بن طرب ويقال هو الذى كان يعرف بامه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدى ابن مالك حروب كثيرة فقتله جذيمة على ماذكرناو ما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر

كان عمرو بن زبا لم يعش ملكا　　ولم يكن حوله الرايات تختفق
لاءم جذيمة من ضرساء مشعلة　　فيها خراشف بالنيران ترتشق

(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

انى أنا طسم وجدى سام　　سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما　　قلت لنفسى ألحقى السواما
أخاك عملاقا وذا الاقدام　　يافث لاكان ولى حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا فى الارض على حسب ما ذكرنا من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عمليق بن جديس وقد ذكر ناعبيد بن شريد الجرهمى حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم بن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه مع اصراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا فى ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم افضل البلاد واكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهى حدائق ملتفة وقصور مصطفة فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق فأراد قبض ولده منها فابت عليه فارتفعا الى الملك عملوق ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذى حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوى فى خصاله أراد أن يأخذه قسرا ويسلبنيه قهرا ويتركنى منه صفرا قال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا ولدا خاملا فافعل ما أنت فاعلا فامر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل فى غلمانه فقالت هزيلة فى ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا　　فأبرم حكما فى هزيلة ظالما

لعمري لقد حكمت لا متورعا ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح واصبح زوجي حائر الرأى نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة وقيل الشموس بنت عمار الطسمي اخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق بها الى عملوق الملك ليطأها على عادته ومعه القينات يغنين ويقلن فى غنائهن

ابدأ بعملوق وقومي فاركبي وبادرى الصبح بامر معجب
فالبكر بعدكم من مذهب

فلما دخلت عفيرة على عملوق وافترعها وخلى سبيلها خرجت عفيرة على قومها فى دمائها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها وهى تقول

لا احد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس

وقالت أيضا تحرض جديس على طسم وأبت أن تمضى الى زوجها من كلمة

أيصلح مايؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشى فى الدما فتياتكم صبيحة زفت فى النساء الى البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تفروا من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما خلقتم لاثواب العروس وللغسل
فبيحا وشيكا للذى ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا العدوكم بحرب تلظى فى القرام من الجزل
ولا تجزعوا للحرب ياقوم انما تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس موكل ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

﴿وفى ذلك يقول أخوها﴾

جاءت تمشى طسم فى خميس كالريح فى هشهشة اليبيس
ياطسم مالقيت من جديس حقالك الويل فهيسى هيس

قال فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت غضبا لذلك فقال لهم الاسود ابن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا ياجديس أطيعونى فيما آمركم به وأدعوكم اليه ففى ذلك

عز الدهر وذهاب الذل قالوا وماذلك قال قد علمتم أن هؤلاء يعني طسما ليسوا بأعز منكم ولكن ملك صاحبكم عليكم وعليهم هو الذي يذعننا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد قبلنا قولك ولكن القوم أقرانا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا ان لا يقيلونا فقال والله يا جديس لتطيعوني فيما آمركم به وأدعوكم اليه أو لا تكئن على سيفي فأقتل به نفسي قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فاني صانع لعملوق وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم بأسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا افعل ما بدالك واجتمع رأيهم عليه فقالت عفيرة لاخيها الاسود لا تفعل هذا فان الغدر فيه ذلة وعار ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وابلغ في الانتقام منهم فقالت عفيرة في ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاخترطوا اسيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون في حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل ان يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها قالوا افعل ما قلت ثم دعا الاسود بعملوق الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا الاجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا على عملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار في ذلك أشعارا يرثي بها طسما ويذكر نعيمها وفعل عملوق بأخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح ابن مرة الطسمي فأتى الى حسان بن تبع الحميري ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وحملها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذي صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن أين مبداك قال ابيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رباح بن مرة الطسمي دعتنا جديس الى مدعاة لهم فاجبناهم منفصلين في الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذقنا الطعام حتى صرنا حطاما بلا طلب دم ولا ترة سلفت

فدونك أبيت اللعن قوماقطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان أمعك خرجت هـذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير وأعلمهم بما فعل بطسم قالوا من فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا اما الناقى هذا من أرب هم اخواننا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك أيها الملك فدعهم فقال حسان ماهذا بحسن ارأيتم لو كان هذا فيكم أكان حسنا للملك ان يهدر دماءكم وماعلينا فى الحكم الا اننا ننصف بعضنا من بعض فقام فرسانهم فقالوا أبيت اللعن الامر أمرك فرنا بما أحببت فأمرهم بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان أبيت اللعن ان لى اختا متزوجة فى جديس ليس فى الارض أبصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وأنا أخاف ان تنذر القوم بك فتأمر كل واحد من أصحابك ان يقتلع شجرة من الارض فيجعلها امامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فأشرفت من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ما ذاك قالت أشجار تسير وراءها شئ وانى لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا او يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ أهبة الحرب ففى ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم

انى أرى شجرا من خلفها بشر فكيف تجتمع الاشجار والبشر
ثوروا باجمعكم فى وجه أولهم فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا فأفنى نساءهم وصبيانهم وهرب الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار طيئ فأجاروه من الملك وغيره من غير ان يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم فى طيئ مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فاذا فى داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر اسود يقال له الاثمد كنت أكتحل به فنشب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جوا باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودى) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم فى الارض وقد

قدمنافصلامن ذلك فيماسلف من هذا الكتاب على مازعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعنادمن الامر المفهوم بزعمهم ان الله عزوجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بوباركما أهلك طسماوجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بوا وبلاد حوران والتبت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعادوثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وحمتها من كل من ارادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عزوجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا أحد من الناس الى تلك البلاد غالطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أعمى على قلبه كانهم كبنى إسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى ان تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ماوصفنامن قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعا جعلا لايهتدى لمقيله من اللؤم حتى يهتدى لوبار
وداع دعاو الليل مرخ سدوله رجاء القرى يامسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف وخلف فى الجاهلية والاسلام يخبرونا عن هذه الارض كاخبارهم عن وادى الروم والصمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الارضين التى نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهى عندهم من الابل التى قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى

كانى على وحشية أو نعامة لها نسب فى الطير وهو ظليم

والاشعار فى ذلك كثيرة (وفى بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار بن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا

وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى

وعبد ضخم اذا نسبتهم ابيض أهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقا يجمعهم فبين الخط قحة العرب

(وذكر)أن هؤلاء أول من كتب بالعربيـة ووضع حروف المعجم وهى حروف ا ب ت ث وهى التسعة والعشرون حرفا وقـد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعـد عبد ضخم بن ارم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى أتوا مكة فنزلوها وفى ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمى

هـذا سبيل كسبيل يعـرب البادىء القول المبين المعرب
ياقوم سيروا عن فعال الاجنب جرهم جـدى وقحطان أبى

(وسار أميم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بارض فارس فالفرس على حسب ماقـدمنا فيما سلف من هـذا الـكتاب فى باب تنازع الناس فى أنساب فارس من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وفى ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس فى الاسلام

أبونا أميم الخير من قبل فارس وفارس أرباب الملوك بهم فخرى
وماعد قوم من حديث وحادث من المجد الاذكرنا أفضل الذكر

وقـد ذكر جماعة من أهل السير والاخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدو مجتمعين فى مساكنهم من الارض وأن أميما أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح وأن ولد حام بن نوح حلوا ببلاد الجنوب وأن ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ماقدمنا آنفا فى باب السودان من هـذا الـكتاب وأن فخذا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد افريقية وطنجة من أرض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان ابن حام (وقد تنازع الناس) فى بدء انساب البربر فمنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مارب عنـدما كان من سيل العرم ومنهم من رأى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ماذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشأم فهم الـكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والانباط (وسار) بوقر بن لوط بن حام بولده

ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند امم لهم أجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من أرض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد بوقر بن حام بن نوح فولد حام فى الجنوب من الارض الاكثر منهم وولد يافث فى الشمال فيما بين المشرق والمغرب على حسب ماذكرنا من الامم وتفرقها فى الشرق وغيره مما يلى جبل الفتح والباب والابواب (وبعث عاد) فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهى صمود وصداء والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ماقدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين واجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحد الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وانه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وماتدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان فى نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ماذكرنا ربوة حمراء فوفدت عاد الى مكة يستسقون لهم وكان بمكة يومئذ العماليق فأتى الوفد مكة فاقبلوا على الشرب واللهو حتى جاءتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر يشرحن لهم ماوردوا من أجله وهو

ألا ياقيل ويحك قم فهينم	لعل الله يطرقنا غماما
فيسقى أرض عادا ان عادا	قد امسوا الا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو	به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تأتى أرض عاد	فلا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم	نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم	ولا لقيوا التحية والسلاما

ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت

ألا ياقيل من عوص	ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ	من الطول الكرام

سقى الله بنى عاد معاصوب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفى مجىء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة

عصت عادرسولهم فامسوا عطاشا لا تبلهم السماء
ألا قبح الاله حلوم عاد فان قلوبهم قفر هواء
لهم صنم يقال له صموذ يقابله صداء والهباء
فبصرنا النبي سبيل رشد فأبصرنا الهدى وناى العماء
وانى موقن فاستيقنوه بان اله هود هو العلاء
وان اله هود هو الهى على الله التوكل والرجاء
وانى لاحق بالامس هودا واخوته اذا حق المساء

فارسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم من وادلهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فاتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تات الاربعاء الثانية ومنهم حى فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه من أيام الشهر فى باب الشهور فلما شاهد هود النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفى ذلك يقول الهيل بن الخليل

لوأن عادا سمعت من هود واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد عادا وبالتقريب والتبعيد
ما اصبحت عاثرة القدود حبوا على الآناف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوفود
أحدوثة فى الابد الابيد

وقال مهد بن سعد فى شعر له

دعاهم خيفة لله هود فما نفع النذير ولا أجابوا
فلما أن أبوا الا اعتوا أصابهم ببغيهم العذاب

وقد كان الآخر من الملوك الجلجان وقد تقدم ذكره فى هذا الباب لملك عاد وثمود وغيرهم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عاد بن عوص ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عاد ابن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم

من الناس فتزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقال شاعرهم يرثى من كان فى تلك الديار

ان طسما وجرهما وجديسا والعماليق فى السنين الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا واستمرت بهم صروف الليالى
وأراك الزمان منهم وأضحى غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهم ريب الزمان فأمسوا دورهم بلقع لمر الشمال

(وقد كان) نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم (وكان) يثرب بن قامة بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب فهلك هؤلاء أيضا ببعض غوائل الدهر وآفاته فقال شاعرهم

عين جودى على عبيد برجع باماق فيضانها بانسجام
عمروا يثربا ليس بها سفر ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا السبيل بالارحام

(وقد أخبر) الله جلت قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع فى قوم شعيب بن نوفل بن رعبيل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل ابن يعصب بن مدين بن ابراهيم وأن شعيبا أخوهم فى النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة فنهم المسمى بابى جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ماذكرنا بنو المحض بن جندل وأحرف الجمل هى أسماء هؤلاء الملوك وهى التسعة والعشرون حرفا التى عليها حساب الجمل وقد قيل فى هذه الاحرف غير ماذكرنا من الوجوه على حسب ماقدمنا فى هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما قاله الناس فيها وتنازعوا فى تأويلها والمراد بها وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وج وهى أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ماذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان فى ملك كلمن منهم وان

شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهى غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لايجدون فيهم ألم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتت عليهم فرثت حارثة بنت كلمن أباها فقالت وكانت بالحجاز

كلمن هدم ركنى * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاها لـ * حتف نارا تحت ظله
كونت نارا وأضحت * دار قومى مضمحله

وفى ذلك يقول المنتصر بن المنذر المدينى

ألا ياشعيب قد نطقت مقالة * أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو
وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها * كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر
ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى * وهوز أرباب الثنية والحجر
هموقطنوا البيت الحرام ورتبوا * خطورا وساموا فى المكارم والفخر

(ولهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها وعليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كتا بناهذا امنبه عليها وباعث على درسها (وأما بنو حضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فنهم من الحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث بن نوح وقيل فى انسابهم غير ماذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب بن ذى مهدم بن حضور ابن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب بن نوفل بن رعبيل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم الخليل صاحب مدين المتزوج اليه موسى بن عمران المقدم ذكره وبينهما مئون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا وتداشفرهم جد نبيهم شعيب بن ذى مهدم فى دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله دمه ولم يكذب وعيده فأوحى الله تعالى الى نبى كان فى عصره وهو برخيا بن أحبيا

ابن روبابيل بن شاليال وكان من سبط يهوذا بن إسرائيل بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن يأتي بختنصر وكان بالشأم وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لي سبع ليال أومر في نومي بما ذكرت وأنادي مجيئك الي وأبشر ويقال لي ماأمرتني به وأنا انتصر للنبي المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم في جنوده وغشي ديارهم في عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا الحربه من حيث عم الصوت جميعهم وهو يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذاك يضل الله من كان قلبه * مريضا ومن والى النفاق وألحدا

فلما سمعوا ذلك علموا أن الامر قد نزل بهم فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم وأخذهم السيف فحصدوا أجمعين (وقد ذكر) أن في قصة هلاكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه فمن الناس من رأى أنهم كانوا بارض السماوة وانها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشأم الى حد الحجاز وهي الآن ديار خراب براري وقفار ومنهم من رأى ان ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن في هذا الوقت مضافة الى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام * (قال المسعودي) وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقي منهم مذاهب وآراء في النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار في هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من أخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفاني والباقي ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر ما ذهب اليه العرب في النفوس والهام والصفر وغير ذلك من مذاهب الجاهلية في النفوس والمرئ ﴾

تنازع الناس في كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس في الدم لا غير وان الروح الهواء الذي في باطن جسم المرئ منه نفسه ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط في الماء هل ينجسه أم لا قال تأبط شرا لخاله الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لجنه عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن في حال الحياة والنماء

مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقي اليبس والبرد وفنيت الحرارة قال ابن براق من كلمة

وكم لاقيت ذاحب شديد * تسيل به النفوس على الصدور
اذا الحرب العوان به استهامت * وحال فذاك يوم قمطرير

(وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا اليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا وفي ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء الاسلام وهم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لاهام ولا صفر ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبدا تتوحش وتصدح وتوجد أبدا في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لاتزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم مايكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أمية لبنيه

هامتي تخبرني بما تستشعروا * فتجنبوا الشنعاء والمكروها

﴿وفي ذلك يقول في الاسلام توبة في ليلى الاخيلية﴾

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على أن الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ماروى عن حاتم طيء مما سنورد خبره في هذا الكتاب

أتيت لصحبك تبغي القرى * لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر في أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير في أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم وغير ذلك من محاوراتهم وللعرب وغيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير في تنقل الارواح قد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

﴿ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب﴾

للعرب في الغيلان وتغولها أخبار ظريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم

فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تابط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فاصبحت والغول لى جارة * فيا جارتى أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت * بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسال عن جارتى * فان لها باللوى منزلا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون

يا رجل عنز انهقى نهيقا لن تنزلى السبيل والطريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى واوقات النهار فيتوهمون انها انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فاذا اصيح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الاودية ورءوس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشأم وان الغول كانت تغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى ان ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وان ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الحمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر وقد وصف ذلك أبو معشر فى كتابه المعروف بالمدخل الكبير فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعرض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى الا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب

وخالفنى الوحوش على الوفاء * وتحت عهودهن وبالبعاد
وغولا قفرة ذكرا وأنثى * كان عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابي

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون في أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب في هذا المعنى وان كل كوكب يظهر في صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتحيل واختلال السابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أى رفيقة	لصاحب قفر خالف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت	حوالى نيرانا تلوح وتزهر

وقد فرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد

وساخرة منى ولو أن عينها	رأت ما رأت عينى من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة	اذا الليل وارى اللحن فيه أرنت

﴿ وقد وصفها بعضهم فقال ﴾

وحافر العنز فى ساق مدملجة * وجفن عين خلاف الانس بالطول

(وللناس) كلام كثير فى الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر فى أكناف اليمن والتهائم وأعالى صعيد مصر وأنه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا أصاب الانسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحى التى سمينا أمنكوح هو أم مذعور فان قالوا منكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وماذكرنا مشهور فى البلاد التى سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه مما ذكرنا من هذه البقاع التى يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة أو غير ذلك من الآفات والادواء المعترضة بجنس الحيوان من الناطقين والله أعلم بكيفية ذلك (ولم نذكر فى هذا الكتاب) ما ذكره أهل الشرائع وماذكره أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وأن الجان غشيها فحملت منه وأنها باضت احدى وثلاثين بيضة وأن بيضة تفلقت من تلك البيض عن قطربة وهى أم القطارب وأن القطربة على صورة الهرة

وأن الابالس من بيضة أخرى منهم الحرث أبو مرة وأن مسكنهم الجزائر وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وأن السعالى من بيضة أخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة أخرى الحماميص لانا قد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وأتينا على ذكر أنسابهم والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره أهل الشرع مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرنا ويأبون ما وصفنا والمصنف حاطب ليل فاوردنا ماقاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف أن يورد جميع ماقاله أهل الفرق فى معنى ماذكرناه وأتينا أيضا على سائر ماخبر فامن الأشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وماقالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى أصول الديانات وبالله التوفيق

﴿ذكر قول العرب فى الهواتف والجان﴾

فاما الهواتف فقد كثرت فى العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أولية مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى ﴿قال المسعودى﴾ وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ماتذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتفرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمرورات الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الأشخاص وأوهمته المحال بنحو مايعرض لذوى الوسواس وقطب ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوى أو طريق مستقيم سليم لان المتفرد فى القفار والمتوحد فى المرورات مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف متوقع للحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها فى نفسه فتوهم مايحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها فى أسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة ابن صفوان بن أمية بن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه أنه خرج فى بعض

الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بخط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى أوصاف ذكرها فقال

علقم انى مقتول * وان لحمى مأكول

أضربهم بالمدلول * ضرب غلام مشمول

رحب الذراع بهلول

فقال علقمة شق مالى ولك * اغمد عنى منصلك * تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخراميتين وهذا مشهور عندهم وأن علقمة بن صفوان قتلته الجن وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتهما فى حرب ابن أمية حين قتلته الجن وهما

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا من قول الجن بان أحدا من الناس لم يتأت له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع فى انشادها لان الناس قد ينشدون العشرين بيتا والاكثر والاقل أشد من هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتعتعون فيه (وممن قتلته) الجن مرادس السلمى وهو أبو عباس بن مرداس السلمى ومنهم الغريض المغنى بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته أن يغنى بأبيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن على بن حرب عن أبى عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الطائى قال رأيت قبر حاتم طيء ببيعة وهو أعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التى كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره أربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك والجوارى بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن فى منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهرى قال حدثنا على قال أنبأنى عبد الرحمن بن يحيى المنذرى عن أبى المنذر هشام الكلبى قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابى هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البخترى مر فى نفر من قومه بقبر حاتم طيء فنزلوا قريبا منه فبات أبو البخترى يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال قومه له مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط

الاقراه ونامو افانتبه صائحا واراحلتاه فقال له أصحابه مابدالك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتى قالوا له كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم منجدلة لاتنبعث فقالوا له والله قراك فظلوا ياكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى اصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال أيكم أبو البخترى فقال أبو البخترى أنا ذلك قال أنا عدى بن حاتم وان حاتما جاءنى الليلة فى النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل فذكر شتمك اياه وانه قرى أصحابك براحلتك وأنشد

أبا البخترى لأنت امرؤ * ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى * لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الرم عند المبيت * وحولك طى وانعامها
فانا سنشبع أضيافنا * ونأتى المطى فنعتامها

وقد أمرنى أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفانى فى مدحه عدى بن حاتم حيث يقول

أبوك أبو سباقة الخير لم يزل * لدن شب حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر ميتا * وكان له اذ ذاك حيا مصاحبا
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

(وحدث) أبو محمد بن الحسن بن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيدة معمر ابن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافدا على بعض ملوك بنى أمية قال فسرت فى ليلة صهاكية حالكة كأن السماء قد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضللت الطريق فتولجت واديا لا أعرفه فاهمتنى نفسى بطرحها حتى الصباح فلم آمن عريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادى من شره واستجيره فى طريقى هذا واسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى

تيامن تجاهك تلق الكلا * تسير وتأمن فى المسلك

قال فتوجهت حيث أشار الى وقد أمنت بعض الامن فاذا أنا باقباس نار تلمع أمامى فى خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت بأوسال وهو ماء لكلب يقارب برية دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

﴿ ذكر ماذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك ﴾

تنازع الناس فى القيافة وغيرها مماذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذبها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه اواحد من اهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى أن فى الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء ممالم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك والى آخرون ماوصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون فى حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون فى غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه ممايوجب الحاق الشبه بشبهه ودون ان يخالف من حيث اوجبت قضية الاختلاف بالتباين وهذه المعانى من خواص ماللعرب وماتفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها فى الاغلب من الامور وليس هو موجودا فى سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك فى بعض الامم كوجود ذلك فى الافرنجة وماجانسها من هنالك من الامم فيمكن ان يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذى قطنت بينهم العرب ويمكن ان تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم اخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من امم العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ماذكرنا آنفا ويمكن ان يكون الله عز وجل خص بذلك أماغير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا فى الامكان خارجا من باب الممتنع فيكون الزجر والفأل شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النمط للبربر والنظر فى الكتف وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس (وقد ذهبت) طائفة ممن سلف من أهل البحث والتنقير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالى وأصل ذلك أن الاشكال اتفصلت فى صورة أنسابها باشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لمابه ضربت الفواصل أضرابها فى وحيدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لماتوجبه الطبيعة من اتفاق كل شئ فى حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أبانته من أغياره وفرقت بينه و بين اشكاله فلذلك أيضا خصت أوحاد الاشخاص المنفصلة فى الهيئة وتغير الغير من أغياره وكذلك لاتكادفنون الصور تتراءى فى المرائى لغير من اغياره

وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع وشملها المادة فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حدان مشتركان وانما ضمه ضرب من ضروب البحث والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير فى الاغلب بنظيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا فى قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه فى كنه أفعاله وباينه فى سائر شكله فى الاغلب لوافقه فى القدم لان النسل لا بد له من تخصيص قوته بشئ يميزه من غيره ينبه من سواه ولذلك وجدوا الطول فى أزد شنوأة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلظ فى الروم وأصحاب الجمال والاكثر من أهل الشأم وأوباش مصر واللؤم فى الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللؤم على الطعام بأصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف فى السودان والطرب فى الزنج خاصة وهذا الذى وصفناه عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الأشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد تقصينا هذا الشأن على كماله فى كتبنا فى الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية فى كتبنا فى الصور السبعة فى أنواع السياسات المدنية على من زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة وأن النور فيه غريب مختار وان ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وأن النور والظلمة قديمان وأنهما لا يريان الاغير ممتزجين وأن الاشياء لا تعمل الا فى جوهرها ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبى المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته تولد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التى ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة وأن الله عز وجل لو كان قادرا على إفناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوى عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذى أرسله وأن المسيح

انسان واله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد أتينا على جمل من متناقضات أهل الآراء فى أثناء ما تقدم من كتبنا وانما انشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جذب ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقرى عن العتبى قال وقف عبيد الراعى ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة فى حضرها واقفة على شأنها فأنكر ذلك عبيد الراعى ولم ينتبه له أصحابه فقال عبيد

ألم تدر ما قال الظباء السوانح * أطفن أمام الركب والركب رائح
فكبر من لم يعرف الزجر منهم * وأيقن قلبى أنهن نوائح

ثم ساروا فوافوا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته أفعى فأتت عليه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء فى حالة رجوعها ووصف الحال الاول فى شعره كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادى الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر عبيد الراعى فى شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبنى أسد والقيافة لبنى مدلج وأحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بنى نزار الاربعة فى مسيرهم نحو الافعى الجرهمى ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة فمن هنالك تفرقت القيافة من أحياء مضر على حسب ما تغلغل فى العروق ونزع وأهل العروق أكهن وأهل الجمال أقوف وبأرض الحفاء وهى بلاد الرمل من بلاد مضر وأرض الشأم فى تلك الاراضى يتناول الانسان من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطئون وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد يخفى عليهم أقدام أى الناس هم (ورأيت) بهذه الارض أناسا قد رتبهم ولاة المنازل يطوفون فى هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أى الناس هم ممن طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم

بمـا كان من نسج العنكبوت وماسفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان ومايشاهد وأبصارهم سليمة والآفات عنها مرتفعة والموانع زائلة ولولا أن هنالك لطيفة لايتساوى الناس فى علمها ولا يتقنون بالابصار احصاء ادراكها لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى وأهل الجبال والقفار والرهاش أزجر وأعرف (وقد ذهب) قوم من أهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الحكم بالقيافة استدلالا على شرف القيافة وعظم خطرها وكبر محلها وتحقيق فضلها لتعجب النبى صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه محرزا المدلجى وقد أنكر جماعة من فقهاء الامصار ممن سلف وخلف الحكم بالقيافة والدليل على فساد الحكم بها الحاق النبى صلى الله عليه وسلم الولد بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه فقال يارسول الله ان امرأتى وضعت غلاما وانه لاسود فقال النبى صلى الله عليه وسلم مقربا الى فهمه وقصدا منه لفساد علته التى قصدها وشك فهل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيهـا أورق قال نعم قال النبى صلى الله عليه وسلم فمن أين ذلك لعل عرقا نزع وقوله صلى الله عليه وسلم فى قصة شريك بن أسحم ان جاءت به على النعت المكروه فهو للذى رميت به فلما جاءت به على النعت المكروه ووجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لى ولك شأن فالحق الولد مع عدم الشبه هنالك ولم يلحق بالشبه ههنا ولم يجعله حكما وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصد نافيه هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر فى معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام فى ذلك وماذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف فى كتابنا المترجم بكتاب الرءوس السبعة فى الاحاطة بسياسة العالم وأسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

ذكر الكهانة وماقيل فى ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة

تنازع الناس فى الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهى مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ماتريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم فى النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهى الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن

أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس فى غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت الا كان فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحى لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأويس الثانى وهاهرمس وأغافيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشئ من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب نفسانى لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يردالهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه فقال وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لا تعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحى الفلكى وأن ذلك فى المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت فى عقد متساوية وأرباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك فى القرانات الكبار (وذهب) كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها فى انتخاب المعانى اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين وهما النفس والجسد ووجدنا

الجسد مواتالاحركة له ولاحس الابالنفس وكان الميت لايعلم سببا ولا يؤديه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافى وهى النفس الحسية والنفس البراعية والنفس الجلية ومنها ماقوته فى الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدى الانسان الى استخراج الغيب وعلم آلاته وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس فى غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها فى دراية الغائب بحسب ماعليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بناعن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هرماس وظريفة الكاهنة وعمران أخى عمرو ومز بقياء وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (واما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدى والاجلح الزهرى وعروة بن زيد الاسدى ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذى قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى

وكهند صاحب المستنير وكان فى نهاية التقدم فى العرافة (والكهانة) أصلها نفسى لالطيفة باقية ومقارنة لاعجاز باهرة وهى تكون فى العرب على الاكثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى وقوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى تفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذ بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فأخبرت عن الاشياء على ماهى به وعليه وربما قويت النفس فى الانسان فاشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك ان الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ماعلى تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت كانت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة (وقد تنازع الناس) فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال فريق

ان النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بملاقاة حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين أحدهما معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها و نفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الادراك الى الحاس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نورها عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالفة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحبوسة لا تدركها الا فى هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من طبعها فيكون فكر الانسان ما لم يتم مانعا للحس حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من اعيان الاشياء فيها قائمة كانها محسوسة لان الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كانها محسوسة تخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذى قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كانه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التى تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت فى المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما ينالها وهى عالمة أيضا فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التى تريد ان تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهر لم يبطل استعمالها و نفسها ولم يبطل استعمال قواها فتنتقل فى الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التى ليست بجسم لا بالقوة الجسمانية الغذائية وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك الا بمشاركة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من

الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا لا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى ان بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء فى كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وأنه يخرج عن البدن فى حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب) الجمهور من المتطببين فى ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون فى منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأحواضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وماقارب به والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى فى منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مفظعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع الملاهى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين فى أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا فى كتابنا الرؤيا والكمال وفى كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وانما تغلغل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم فى اخبارنا عنهم ولم نعرض فى هذا الكتاب لما ذهبت اليه الناس فى تحديد النفس وما قاله افلاطون فى تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعى وحدها من وجه آخر أنه حى

بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وأن الروح يحر وبه البـدن والنفس تبطل أفعالها فى البـدن ولا تبطل هى فى ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره افلاطون فى كتاب السياسة المدنية نهر البستان ومايلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره افلاطلان فى كتابه الى طيماويس وفى كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم فى ذلك فى النفس والصورة (وقـد تـكلم) الناس فى طبقات النفوس وصـفاتها من أصحاب الالسن وغـيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسـلام فى هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهى وماقالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى فى طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير ذلك مما قد أتينا على ايضاحه فى كتاب سر الحياة وغـيره من كتبنا (وقـد كان سطيـح) الـكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عـدى بن مازن بن غسان يدرج سائر جسـده كما يدرج الثوب لا عظم فيـه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليـد يلين عظمها وكان شق بن مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنفر بن انمار بن ربيعة بن نزار معه فى عصر واحد وكان فيهما حمرة الـكهانة وكذلك سمقلة وزوبعة كانا فى عصر واحد والله اعلم

ذكر جمـل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان

(قال المسعودى) قد ذكرنا جملا من الـكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الـكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى أطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعـد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك ان الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن ابن الازد بن الغوث بن كهلان بن سبا وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن وهى بلاد سبا التى ذكرها الله فى القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا فى فرسـخ بناه لقمان الاكبر العادى وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذى كان يردعنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس فى قصة هلـكهم يختلفون وفى سـياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ

القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وأنهار وأزهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة وفي العرض مثل ذلك وأن الراكب والمار كان يسير في تلك الجبال من أولها الى أن ينتهي الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها واحاطتها بها وكان أهلها في اطيب عيش وأرفعه وأهنا حال وأرغد قرى وفي نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء وتدفق الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة وكانت بلادهم في الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلاب الافضال على القاصد والسفر بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال فمكثوا على ذلك ماشاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار في جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد وأذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التي هي أكثر ما يرد الى أرض سبا تظهر من خراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول الخراق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان في هذا الخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة في استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب في مجاريها حتى تأتي الجبال فترويها سقيا وتعم شرب القوم وقد كانت أرض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم لجمعهم من أقطار الارض للالتجاء الى رأيهم والاخذ من محض عقولهم فشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره وذلك انه كان ينحدر من أعالي الجبل هابطا على رأسه يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى براري تقذف به الى البحر وأخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال لان في طباع الماء طلاب الخفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه الخراق على ما وصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهي في جريانه الى الخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهي الثلاثون خراقا الصغار التي

قدمناذكرهاوكانت البلاد عامرة على ماوصفنا آنفاثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله وعمل الماء فى أصول ذلك الخراق وأضعفه ممر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل فى المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فاظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع فلما سكنت ابناء قحطان على ماوصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والخراق والبنيان فقذف به فى جريه ورمى به فى تياره وذلك ابان زيادة الماء واستولى الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض أسكان تلك الارض وزال الواعن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا ولا خلاف بين ذوى الدارية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون ذلك أظهر فى الاعجوبة كما أفار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت فى العبرة وأوعد فى الحجة ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان فى مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ماذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عرد اغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم مر فى ذمهم الى ان انتهى الى ما كان من قصتهم فى ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى اشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مأرب وان مأرب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وان هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مأرب سمة لقصر هذا الملك فى صدر الزمن قال أبو الطمحان فى ذلك

ألم تروا مأربا ما كان حصنه * وما حواليه من سور وبنيان

ظل العباد سيبقى فوق ثلته * ولم يهب ريب دهر حدخوان

حتى تناوله من بعد ما هجعوا * ضربا اليه الى أسباب كتان

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول فى كلمته

ففى ذلك المؤتسى اسوة * بمأرب عفى عليها العرم
وحام بناه لهم حمير * اذا جاء ماؤهم ولم يرم
فاغنى الحروث واغنى بها * على ساعة ماؤهم قد قسم
فطار الفيول وفيالها * بهافى فيافى سراب الظلم
وكانوا بذلكمو حقبة * فمال بهم جارف منهزم
فطاروا سراعا ومايقدمو * ن منه لشرب صبى فطم

(وقد ذكرنا) فى كتابنا أخبار الزمان الملك الذى طال عمره وحسنت سيرته وأنه بنى هذا السد الذى هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا الطول الاعمار وما أكثرت العرب فى صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبصحة بدن الغراب فمن ذلك ماذكره الخارجى فى شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن حكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل * قد صح فى طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الـ * ـدهر وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كم تعيش وكم * تلبس ثوب الحياة يالبد
قد اصبحت دار حمير خربت * وأنت فيها كانك الوتد
تسال غربانها اذا حجلت * كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف فى مواضع من هذا الكتاب ماقالت الاوائل فى علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام فى بدء الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التى جعلها الله جبلة للاسلام فى تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لان طرق الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت الاعمار أزيد وكان العالم فى أولية شأنه تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة فى تناهى النقص فى الاجسام والاعمار (وقد أبى) ماذكرنا من عظم أجسام الناطقين فى صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر وزعموا أن تاثيرهم فى بنيانهم وماظهر فى الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وانها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وابوابهم وممراتهم فيما احدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن فى سائر الارض كديار

ثمود ونحتها المساكن فى الجبال وحفرها فى الصخر الصلد بيوتا صغارا وابوابا لطافا وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض فى الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا فى صفته كثر فلنرجع الآن الى ماعنه عملنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبأ ومارب وما كان من الملك فى ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره فى هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان لعمرو كاهنة من أهل ١ من حمير يقال لها ظريفة الخبر (وكان أول شىء وقع بمأرب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو راى فى كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين اسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذى كانت محنة القوم فى ايام ملكه والله اعلم بكيفية ذلك وبينا ظريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رات فيما يرى النائم ان سحابة غشيت ارضها وارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شىء الا احرقته ففزعت ظريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهى تقول ما رايت مثل اليوم قد اذهب عنى النوم رايت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شىء الا احرق فما بعد هذا الا الغرق فلما راوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها من جاشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك ظريفة فاسرعت نحوه وامرت وصيفا لها يقال له سنان ان يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على ارجلهن واضعات ايديهن على اعينهن وهى دواب يشبهن اليرابيع يكن بأرض اليمن فلما رآهن ظريفة وضعت يدها على عينها وقعدت وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه المناجد عنا فأعلمنى فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بذنبها وتحثو التراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول فلما رأتها ظريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت الى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفا من غير ريح فغدت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان على الفراش فلما رآها استحيا منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال لها هلمى ياظريفة الى الفراش فتكهنت وقالت والنور والظلماء والارض والسماء ان الشجر لهالك وسيعود

١ هكذا بياض بالاصل

الماء لما كان فى الدهر السالف قال عمرو ومن خبرك بهذا قالت أخبرنى المناجد بسنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا قد رأيت سلحفا تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفا قال عمرو متى ترين ذلك قالت هى داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهى قالت أجل أن لى الويل ومالك فيها من فيل فلى ولك الويل مما يجىء به السيل فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال ماهذا يا ظريفة قالت هو جل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قالت تذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر فى السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم أن النقر عقر وأنه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذى يقع قالت وعد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده ياعمرو فليكن الشكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة مايقلبها خمسون رجلا فرجع الى ظريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

أبصرت أمرا عادلى منــــه ألم * وهاج لى أمن هو له برح السقم
من جرذ كفحل خنزير أجم * أوتيس صرم من أفاوين الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخـاليب وأنيـاب فطـم
مافاته سحـلا من الصخر قصـم * كانما يرعى حصـيرا من سـلم

فقالت له ظريفة ان من علامة ماذكرت لك أن تجلس فى مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فانها ستمتلىء بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورمله وقد علمت أن الجنان مظلة مايدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى ظريفة فأخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه احد لعلمته ولا يأتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه فى غدها او فى تلك الليلة ورأى عمرو فى النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم أن ذلك واقع بهم وأن بلادهم ستخرب فكتم ذلك وأخفاه وأجمع أن يبيع كل شىء له بأرض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشى أن يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مارب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ثم دعا

أبناله يقال له مالك ويقال بل كان يتيما فى حجره فقال اذا جلست أطعم الطعام الناس فاجلس عندى ونازعنى الحديث واردد على وافعل بى مثل ما أفعله بك وجاء أهل مأرب فلما جلسوا أطعم الناس وجلس عنده الذى أمر به فجعل ينازعه الحديث ويرد عليه فضرب عمرو وجهه وشتمه فصنع الصبى بعمرو مثل ما صنع فقام عمرو وصاح واذلاه يوم فخر عمرو ومجده يضرب وجهه صبى وحلف ليقتلنه فلم يزالوا بعمرو حتى تركه ففى ذلك قال حاجر الازدى

يارب لطمة غدر قد سخنت بها * بكف عمرو التى بالغدر قد عرفت

ثم قال والله لا أقيم ببلدة صنع هذا بى فيه ولأبيعن عقارى فيه وأموالى فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه أمواله قبل ان يرضى فابتاع الناس منه جميع ماله بارض مارب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شان سيل العرم فخرج ناس من الازد وباعوا أموالهم فلما أكثروا البيع استنكر ذلك الناس فامسكوا بايديهم فلما اجتمعت الى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشان سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفاركم وانى أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذاهم بعيد وجمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذاهم بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهى ارض همدان فلحق به وادعة بن عفر فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها فى ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحى فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت * خزاعة منا فى ملوك كراكر

فى شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصى بن حارثة بن عمرو وبن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهى المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهى أرض الشام قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق فليلحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم

مالك بن فهم الازدى وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام بن الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن الهيمان بن جهم بن عدى بن عمرو بن مازن بن الازد وكان بعدهم بمارب ملكا الى ان كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى المسناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد واقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما ممايلى صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد ورمع فاقاموا على غسان وشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم

اماسالت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بنى مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن الازدى (وللقوم أخبار) فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى ان ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى ان لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة ويقال له الحجاز وانما سمى السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا فى سهله وجبله وماقاربه وهو جبل على تخوم الشام وفرز بينه وبين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والاردن وبلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مارب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عماهم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا ان لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله ان يسلبنا ما انعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

ان كان مايصح فى ضلاله * من ربكم فلينطلق بماله * اليه عنا والى عياله

فاجابتها امرأة مؤمنة فقالت

لولا الاله لم يكن عيالنا * ولم يسع عيالنا اموالنا

هو الذي يجيبنا سؤالنا * ويكشف الغم اذا ماهالنا

فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء ارضهم فاهلك شجرهم واباده وازال اموالهم وانعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله ان يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ماشرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا ان لا نشرك بالله شيا فسألت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ماسالوا فاخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فاتتهم رسلهم فقالوا موعدكم ان تؤمنوا فابوا الا طغيانا وكفرا فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم * (قال المسعودى) * واذقد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مارب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب فلنرجع الآن الى اخبار الكهان وكان اول ماتكهن به سطيح الغسانى انه كان نائما فى ليلة سهاكية مظلمة مع حرمته فى لحاف والحى خلوف اذ زعق من بينهم ورنو تاوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ماطرق قالوا ماطرق ياسطيح قال ماطرق الا الاجلح حين سرى الليل البهيم الافلح ولا هم فيه دح قالوا وماعلامة ذلك ياسطيح قال امر يسد النقرة ذو حبسة فى الوجرة وحرة بعد حرة فى ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بأمره وتعاصفت مدود من اودية هنالك فجأتهم فى ليلة باردة قرة كما ذكر فساقت الانعام والمواشى وكادت ان تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب اخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميرى فى ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة وكافت منها كل ذات جمجمة ومافسراه له فى ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح فى رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سملقة وزوبعة وما كان من امرها وخبر شأن الظليم والسحرة وما كان بين عك وغسان من الحرب فى رقة اللبن وحلاوته وثخنه ونزل غسان اعلى الوادى وعك فى اسفله وما كان فى ذلك من القيافة بينهم فى طول الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموءل بن حسان بن عادياء وما كان من امره وامر خازن الكاهن وماقاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وما كان من العير الاقمر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدى وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا فى اخبار الزمان والكتاب الاوسط والله اعلم

﴿ ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف ﴾

﴿ قال المسعودى ﴾ عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثناعشر شهرا فلنذكر الآن سني وشهور وايام ما اشتهر اهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدا بذكر سني وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سني العرب وشهورها وايامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب فى تسمية الليالى وجمل من ذكر افعال الشمس والقمر وتاثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتامل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى ولى التوفيق

﴿ ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى اسمائها من التاريخ ﴾

اول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول وطوبه وهو كانون الثانى وامشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار وبؤنة وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة ايام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ماسمينا من شهورها وهى ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما واول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت ايام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد ايام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق اوائلها شهور الفرس وكان اول يوم اول آزرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود فى كتب الزيجات فى النجوم وأهل مصر وسائر القبط فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون فى حسابهم فى الشهور غير ماقدمنا وذلك انهم زادوا فى أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم فى عدد أيام السنة التى ملك فيها البختنصر وكان أولها يوم الاربعاء وأما تاريخ القبط فى كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فليلفوس وكان أولها يوم الاحد والذى بين تاريخ البختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع

وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذى بين تاريخ فليلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سنى الروم ومائتان وتسعة وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام الف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فأول هذه التواريخ تاريخ البختنصر ثم تاريخ فليلفوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من أول السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان أولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهرباز بن كسرى بن ابرويز وكان أولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من أول السنة من ملك الاسكندر وكان أولها يوم الاثنين والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك

﴿ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور العرب وعدة أيام السنة ومعرفة الانواء﴾

فاول ذلك أن أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة فى العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون يوما وحزيران ثلاثون يوما ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ماأوجبه حساب الهند وهو أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطال الـ * ـليل والتذ الشراب
ومضى عنك حزيرا * ن وتموز وآب

وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد زكريا ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفى هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى أيلول وارتفع الحرور * وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس فى معنى المهرجان انه كان لهم ملك فى قديم الزمان من ملوك الفرس قد خص ظلمه خواص الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فات فى النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمى ذلك اليوم

الذى مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم فى لغتها ما تؤخر العرب فى كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهى الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس ولخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس وفى هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثانى ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربما وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربما وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثانى أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون فيه بالشأم لاهله عيد يوقدون فى ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما بمدينة أنطاكية وما يكون فى كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها وما يظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم. وذلك أن مدينة أنطاكية بها كرسى البطرك المعظم عندها فى دياتها وأن النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثانى وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهى أقسس واسمها القديم بوزنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وأنطاكية لبيطرس فبدؤا برومية لانها لبيطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا متقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزوروهى كنيسة مزوره وبنيانها من احدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقى الاكثر من هذه الكنيسة

الى هذا الوقت (وقد كان لملك) من ملوك الروم بانطاكية خبر عجيب فى كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهى فى أيدى اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التى كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس و بولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد وذكر فاقصة الملك الذى بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بافطنحس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطنحس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلمائة تسعمائة سنة وأربعون سنة وتكون سنو الاسكندر ألفا ومائتين وخمسا وثمانين ويكون من الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب تفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز واذار احد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب فى اسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر * صن وصنبر وبالوبر

فاذا انقضت ايام شتوتنا * أيام صادرة عن القر

كسع الشتاء موليا هربا * واتتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من اذار يستوى الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال ابو فراس

أما ترى الشمس حلت الحملا * وطاب وزن الزمان واعتدلا

وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الارض من زخارفها * وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد * اصبح وجه الزمان معتدلا

وليس بحلول الشمس الحمل تستوفى الخمر سنة وانما اراد بحلولها قربها من الحول والقوة (قال المسعودى) وأما شهور الروم فهى موافقة لشهور السريانيين فى العدد وذلك ان أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثانى وقد قدمنا ان فى أول يوم منه يكون الغطاس وشباط فبراريوس وآذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس. وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سبطمبر وتشرين الاول اقطوبر وتشرين الثانى نونبر وكانون الاول دشمبر

ذكر شهور الفرس

كلها ثلاثون يوما فأولها فروردى وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة واربعة وسبعون يوما والثانى اردبهشت ماه وخرداد ماه وتيرماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهرماه وابان ماه وآدرماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوحان ودى ماه وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه راكبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ما وصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشأم والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وما عدا ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيأ من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك فى أوقات كثيرة من فصول السنة وأدورون والاردحش ودرماه ودسمهر وردمنا وآدرو بهمن ماه واسفندارمدرون الاسوف واسفندارموز ماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله أعلم

ذكر أيام الفرس

وهى هرمز وبهمان وأدر بهشت وشهرين واسفندار موزخرداد ومردادودينا ودين وادواران وحردمله وتير ونيرس ودى ومهروانرويس وأفرون و بهران وفيه يقول الشاعر

با كربنا لذة المدام * في يوم سبت ويوم رام
شريطتي فيه أن تراني * وقت الضحى فاتر الكلام

و بادور ونبرين وارد وسال واسار وحامار ومار وسعيد ونيران فأما أيامهم المعروفة بالفردحان فهي وهيدكاه وستكاه هوكاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس في كل مائة وعشرين شهرا الربع اليوم الفاضل في الشهور الرومية وتسميه الهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا في كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

﴿ ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها ﴾

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السرياني احد عشر يوما وربع يوم فتنفرق في كل ثلاث وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها فيروز وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله انما النسىء زيادة في الكفر ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة وانما سمته المحرم لتحريمها الحرب والغارات فيه وصفر بالاسواق التى كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يمتارون فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان

انى نهيت بنى ذبيان عن أفق * وعن ترفههم فى كل اصفار

وقيل انما سمى الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من اهلها بخروجهم الى الحرب وهو مأخوذ من قولهم اصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع في غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما في ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما في الزمان الذى سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا ان الحر والبرد يدوران فتنتقل اوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشىء اذا خفته وانشد * فلا تهبها ولا ترجبها * وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك الوقت والوجه الآخر انه اسم من اسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز ان يقال رمضان وانما يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت

تشول فيه ذلك الوقت باذنابها تشاءمت به العرب ولذلك كرهت التزويج فيه وذو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعـدودات أيام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا فى اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثانى يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل فى ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل فى يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ماوصفنا صح أن المعلومات منها والذبح فى يوم النحر ذبح فى المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقـول القائل آتيك فى الشهر والاتيان انما كان فى بعضه وجئتك فى اليوم والمجىء فى بعض اوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا أيام منى لفرض ولا لتطوع لنهى النبي صلى الله عليـه وسـلم عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهى فالواجب الامتناع على ماوصفنا (وقد ذكر) عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة أيام التشريق وفى جميع ماذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام فى أيام التشريق خلاف بين الناس وأيام التشريق أولها ثانى النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذى الحجة (قال المسعودى) وقد اختلف الناس فى علة أيام التشريق وهى أيام منى ولياليها فقالت طائفة انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم فى الشمس وقال آخرون انما سميت أيام التشريق لان أهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى أوطانهم وفيه قول آخر وهو انها انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم فى فضاء من الارض فيسمونها المشارق واحدها مشراق يسبحون ويدعون فسميت بذلك أيام التشريق وفيه قول آخر وهو ان طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسـلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعنى المشقوقـة الاذنين بالطول فهى أيام التشريق وللناس فى التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل أربعاء يوافق أربعا من الشهر مثل أربع خلون وأربع وعشرين وأربع بقين (وأما أسماء الايام) فأولها الاحد وانما سـمى بذلك لانه أول يوم خلقـه الله من الزمان وبذلك

نطقت التوراة وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب ما فى الايام من بدء الخلق والاثنين وسمى لانه ثان والثلاثاء وسمى لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر و يقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها فى الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شبار قال شاعرهم

أؤمل أن اعيش وان يومى * باول اوباهون اوجبار
او المردى دبار فان افته * فمؤنس اوعروبة اوشبار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح امنح احلك كسع زاهر برطحرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) فى اسماء الازمنة فزعمت طائفة منها ان اولها الوسمى وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا فى بلد كذا وشتونا فى بلد كذا وتربعنا فى بلد كذا وصيفنا فى بلد كذا (وشهور العرب) ليست مرتبة على فصول السنة بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة فى الربيع وتارة فى غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التى تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ومقادير ايام كل شهر منها ولياليه فى الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهى اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن اولها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة اربعة شهور معلومة من هذه الاثنى عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم وآذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدى وشباط برجه الدلو وآذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد (قال المسعودى) وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام فى الطبائع وفصول السنة وما يلائم ذلك من المآكل والمشارب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى

والله ولى التوفيق

(ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغيرها)

كانت العرب تخبر عن القمر فى كل ليلة على حسب ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل أهلها برميلة قيل فما أنت لليلتين قال حديث مشيق ذو أفل ونيق قيل فما انت لثلاث قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال غنمة رتع غير جائع ولا مرضع قيل ما انت لخمس قال حديث وانس قيل فما انت لست قال سر وبت قيل فما انت لسبع قال نصف فى السبع وقيل حلجة للضبع قيل فما انت لثمان قال قمر اصبحان وقيل رغيف اقتسمه اخوان قيل فما انت لتسع قال يلتقط الجزع قيل فما انت لعشر قال محب الفجر قيل فما أنت لاحدى عشرة قال أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنتى عشرة قال موفق للسير فى البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى عين الناظر قيل فما أنت لاربع عشرة قال مقتبل الشباب أضاء بين السحاب قيل فما أنت لخمس عشرة قال تم التمام وتقدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق فى الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يكن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطىء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لأطير السرى الاريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع فى الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع فى قسمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال انا فى تلك الليال لاقمر ولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما أنت لسبع وعشرين قال دنا ما دنا فليس فى من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين قال مستقبل سريع الافل (وكانت العرب) تسمى الثلاثة الاولى من ليالى الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التى تليها ثلاث سمر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها قمر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حناديس وفى الثلاث التى

تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قر وست نفل وثلاث درع وثلاث بهم وست حناديس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فأما ماذهب اليه العرب فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا ومالم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار واذا ما حجر وأضاء فهو قمير قال شاعرهم

وقمير بدا ابن خمس وعشريـ * ـن له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حذرة قمرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والليالى الدرع هى التى تسود صدورها وتبيض سائرها والمحاق اذا ما طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون قد خلف الشمس ويقال قد حجر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فابصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس والليالى الزهر الليالى البيض والله الموفق للصواب

(ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم وجمل مما قيل فى ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر فى الجواهر التى قلنا عظيمة الا انها أقصر من أفعال الشمس وهى الثانية بعدها وذلك أن الشهور مايكون على حسب حركته يجرى أمرها وأفعالها ترى أعظم وأبين فى حيوان البحر خاصة وهى تنمى النبات وغيره وتعظم البحار وتسمن الحيوان وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة (قال المسعودى) رحمه الله وقد تنازع الناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم فذهب قوم من أهل القدم الى أن فى المنى قوة تصور الجنين امامنه واما من دم الطمث وذهب قوم الى أن فى الرحم قالبا يتصور فيه الجنين وقد ذكر جالينوس فى كتابه عن بقراط أن مقام المنى مقام الفاعل والمفعول فى تصور الجنين وقال صاحب المنطق ان ذلك بمنزلة الفاعل وان الجنين يتصور فى دم الطمث من المنى قال والمنى يعطى الدم مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم وزعم جالينوس أن الجنين يكون فى المنى وقد يحدث اليه الدم الذى هو الروح من العروق والشريانات فيكون من المنى ومن ذلك الدم الذى يجذبه ومن الريح الذى يصير اليه من الشريانات قال وكون الجنين

بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوره من المنى والدم وتفعل الطبيعة فى الجنين ماتفعله فى النبات لان بزر النبات يحتاج الى أرض لينال منها ما يغتذى به فالجنين والرحم والنبات يرسل عروقه من الاصول ليجذب بها من الارض غذاءه وللجنين فى المشيمة شريانات والعروق نظير لذلك وهى أصول الجنين وبزر النبات منه سوق ومن السوق اغصان كبار ثم من هــذه الاغصان اغصان اخرى تتفرع اولا حتى تنتهى الى الاقاصى ونظير ذلك يوجد فى الجنين فتجد العرق فى بدئه ثلاثة من كل واحد من الاغصان الاصول وهى الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم تجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب كالاغصان المنقسمة الى اغصان اخر حتى ينتهى الى الاطراف ثم قال بعــد ذلك ان المنى هو المحرك لنفسه وان الجنين يكون من الرجل والمراة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن ابيه بليس ان اجزاء الولد منقسمة فى منى الذكر والانثى وان شهوة الجماع تسبق هذه الاجزاء الى ان لا ينام وهذا موجود فى كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم فى كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من اهل القدم الى ان ذلك هو أجزاء تخرج من اعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر اعضاء الانسان فتنصب فى الرحم فيتغذى منه وينمو فيكون من ذلك الجنين (ومنهم) من راى ان هذه الاجزاء الواردة من سائر اعضاء الذكر تقارب بها موادهن الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك فمن ذلك صار الولد يشبه اباه فى الاغلب من سائر الاعضاء وتشكيله واهل بيت ابيه ولهذا وقع الشبه بيــن البنين والآباء فى الاغلب من تشابه الاعضاء ومن ههنا ادركت القافة الحاق النسب عند الشبه والشك فى النسب وذلك على قول من رأى الحاق النسب بالقيافة من القافة وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب فى باب القيافة (وللناس) فى كيفية تصور الجنين فى الرحم ومابدؤه وماعنصره وكيفية تقلبه من النطفة الى العلقة ومن العلقــة الى المضــغة الى استكمال شكله كلام كثير منهم أصحاب الانبيق وغــيرهم ممن تقدم وتأخر أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيــه خروج عما اليه قصدنا فى هــذا الباب ﴿قال المسعودى﴾ رحمــه الله والذى يقضى على سائر ماتقــدم وصــفه وينقطع عــلم العقول عنــده هو ماأخــبر به البارى عز وجــل فى كتابه بقوله (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) ولم يخبر عن كيفية ذلك وماسبب مواده بل استأثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن

المبدأ الذى خلقهم منه فقال (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) وقال عز وجل (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية)

﴿ قال المسعودى ﴾ وللناس فيما سلف من الاوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير فى كيفية أفعال النيرين وتأثيرهما فى هذا العالم وماقالوه فى ذلك وماخصوا به كل واحد منهما وأفردوه وماذهبوا اليه من فعل الثانى منهما وهو القمر ومايظهر من تاثيره فى الجزر والمد فى بحر الصين والحبش واليمن على حسب ماقدمنا فى هذا الكتاب وكذلك فعله فى المعادن وأدمغة الحيوان والبيض وسائر الحيوان والنبات ومايظهر من الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه ومايكون من بحرانات المرضى فى اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادى والعشرين والثامن والعشرين لان للقمر أربعة أشكال هى أثبت صورة فيه شكل التنصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عند التمام وشكل المحاق ولكل شكل من هذه سبعة أيام لانه فى سبع ليال يتنصف وفى الرابعة عشرة يتم وفى الحادية والعشرين يتنصف وفى الثامنة والعشرين ينمحق فكذلك البحرانات وعند هذه الطائفة يصح فى السابع والرابع عشر والحادى والعشرين ويصح أيضا فى تنصيفات هذه اذ كانت هذه الاشكال اثبت اشكال الشئ المنقسم وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب الى غير هذا القول وأن ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك والطبائع الاربعة وغيرها مما قد أتينا على ايضاحه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وفى كتاب المبادى والتراكيب وغير ذلك فى كيفية تاثير الشمس والقمر (وأما الدلائل) وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع مافيها من الكواكب كدورة الكرة وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض مثبتة فى وسط السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض ومايعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التى تطلع الشمس فيها شهورا لاتغرب وتغرب شهورا لاتطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وماقاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وما أوضحنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ماوصفنا فى تدويرها موضوعة

فى جوف الفلك كالمحة فى البيضة والنسيم جاذب أيضا لما فى أبدان الخلق من الخفة والارض جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل اذ كانت الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذى يجذب بطبعه الحديد وأن الارض مقسومة نصفين و بينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب كما أن منطقة الارض أكبر من الفلك وعرض الارض من القطب الجنوبى الذى تدور حوله بنات نعش وأن استدارة الارض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثناعشر ألف ذراع والذراع اثنان وأربعون أصبعا والاصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ (وقد قدمنا) فيما سلف من هذا الكتاب فى باب ذكر الارض والبحار ومبادى الانهار مقدار الميل والذراع الاسود وانما نذكر فى كل موضع من هذا الكتاب ماسنح لنا ونجده فى كتب الناس فننقل ذلك عنهم على ماوجدناه فى كتبهم الا أنا لا نقطع على صحته اذ كان مايذهب اليه فى مقدار الميل من الاذرع والذراع من الاصابع هو ما بيناه آنفا فى باب ذكر الارض والبحار وبين الاستواء وكل واحد من قطبين تسعون درجة واستدارتها عرضا مثل ذلك وزعم هؤلاء أن العمارة فى الارض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة وأن الباقى قد غمه البحر الكبير وأن الخلق على الشمال من الارض والربع الجنوبى خراب لشدة الحر فيه والنصف الباقى من الارض لاساكن فيه وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة اقاليم قد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الارض والاقاليم السبعة وان عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا اربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة فاما قبلة المشرق والمغرب والتيمن والجنوبى فقد ذكرنا جملا من ذلك فى كتابنا اخبار الزمان (وقد حرر ذلك) فى كتابه ابو حنيفة الدينورى وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك فى كثير من كتب ابى حنيفة الدينورى هذا وكان ابو حنيفة هذا ذا محل من العلم كبير وبطليموس فى كتاب المجسطى وغيره ممن تقدم ثم لمن طرا بعد ظهور الاسلام مثل الكندى وابن المنجم واحمد بن الطبيب وماشاء الله وابى معشر والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى فيما ذكره فى كتابه فى الاصول الثلاثين وثابت بن مرة والسديدى ومحمد بن جابر البنانى وغير هؤلاء ممن قد عنى بعلوم الهيئة علوم كثيرة فى هذا المعنى وانما فنقل من ذلك الى هذا الكتاب لمعا طلبا للاختصار والايجاز

﴿ ذكر ارباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب والتيمن والجنوبى والاهوية وغير ذلك من سلطان الكواكب وما لحق بهذا الباب ﴾

فاما الطبائع الاربعة فالنار حارة يابسة والطبيعة الثانية باردة رطبة وهى الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهى باردة يابسة فاثنتان تذهبان الصعداء وهما النار والهواء واثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة اجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الاولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء فى هذا خطب طويل فى وصف هذه الارباع هذه جمل منها ما مضى وما يأتى والمغرب هو الربع الثانى وجميع ما فيه بارد رطب الماء والبن فى الشتاء ورياحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشترى وعطارد ومن البروج الجدى والدلو والحوت والجزء الثالث التيمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء فى الصيف وريحه الصبا وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة والميزان والجزء الرابع هو الجنوبى وجميع ما فيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العفص وله من الكواكب زحل وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفناه فى الهيئة وتختلف فى التاثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التاثير بخلاف ما هو اذا قرب لموجبات متنافية متغايرة وافضل المواضع فى السكنى ما تطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهى عند هذه الطائفة شعاعها فى صفوه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا الى هذا الموضع وهو العراق (قال المسعودى) والمواضع التى لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك الارضين جعلتها يابسة واغاضت مياهها لكثرة التنشيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقليم وارتفاعها عن حوزاته فاكتنف تلك

الارضين البرد واستولى عليها القر والجهد فزاد افراط البرد فى الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشف فلم تلبث الحرارة فى الاجسام ولم تظهر الرطوبة فى انماء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التى تراها مفرطة الحرارة والبرودة هى تناسب ماذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير فى فناء العالم ونقصه وعوده جديدا وذكروا أن السلطان فى هذا الوقت السنبلة والمشترى فى التدبير وأن نهاية العالم فى كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل و بلغ المسافة التى ذكروها فى الفلك فهنالك يقع النفاذ ويكون الدثور بالعالم والكواكب اذا كملت مابها من كرودور عاد التدبير الى الاول منها وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التى كانت له فى حد حركة تأثير الكوكب الذى كان التدبير اليه هكذا عند هؤلاء كان يجرى شأن العالم سرمدا (وزعموا) أن سلطان الحمل اثناعشر ألف سنة وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة وسلطان الجدى ثلاثة آلاف سنة وسلطان الدلو ألفا سنة وعند ذلك هو انقضاء العالم ونقص ما فيه ورجوعه الى كونه (وتكلم هؤلاء) فى الجن الذين كانوا فى الارض قبل خلق آدم واستخلافه فى الارض وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية (وتكلم كلا الفريقين) فى أوج الشمس عند انقصالها الى البروج الجنوبية وما يحدث فى العالم فى كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب ماذكرنا فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف (وقد ذهب) هؤلاء ممن تقدم من الأوائل أن التى وجد بها سائر الموجودات كالأول والثوانى والثوالث على قدر مراتبها فى العقل والنفس والصورة والهيولى وانها المبادى على حسب مارتبناه وقدمناه فى كتاب الزلف فما عدا ما وصفنا فهى الاجسام وأجناسها ستة الجسم السماوى والحيوانى الناطق والحيوانى غير الناطق والنبات والاحجار الحجرية وهى المعدنية والاستقطاعات الاربعة وهى النار والهواء والماء والارض (وتكلم هؤلاء) فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا اذ كان فيه خروج عن الغرض المتمم فيه وقد أتينا على بسط ذلك فى كتاب الرءوس السبعة فى باب السياسة المدنية وعدد أجزائها وملتها الطبيعية وهل ملك تلك المدينة جزء من أجزائها أو من غيرها واليه نهاية أجزائها على حسب ماذكرناه ذكره فرفورنوس فى كتابه فى وصف منازعة فلاطون وارسطاطاليس فى ذلك فاما علة كون الشتاء بارض

الهند فى الحالة التى يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم قد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس فى قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان فى بعض البقاع من الارض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمى بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة فى وجوههم عند تكامل الحرارة فى الوجه على الاغلب من كونها وارتفاعها لغلبة البرد على أجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ماذكرنا فيما سلف من كتبنا فى هذه المعانى المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر مالم يصح عندنا فى العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كاخبار العامة فى كون النسناس وان وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم دور الباب وقولهم فى عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس ناس ونسناس ونسانس وهذا محال من القول لان النسناس انما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقى النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا * خلفا فى أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أى ذهب الناس وبقى من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى أن الجن نوعان أعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحن وأنشد الراجز

* مختلف سحرهم جن وحن *

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده فى العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم فى المشرق وبعضهم فى المغرب فاهل الشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار وقد رووا فى ذلك خبرا مخرجه من طريق الآحاد أن ذلك فى بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصرى عن أبيه يعقوب بن الحرث بن نخيم عن شيبة بن الحرث التميمى قال قدمت الشحر فنزلت على رأسها فتذاكرنا النسناس فقلت صيدوا لنا منها فلما انرجعت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة فقال

لى النسناس أنا بالله و بك فقلت لهم حلوه فخلوه فلما حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيا قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون فى قنصه فلما خرجنا الى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات فى ذقنه ومثل الثدى فى صدره ومثل رجلى انسان رجلاه وقد ألظ به كلبان وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الركبان * واستمعا قولى وصدقانى
انكما حين تحار بانى * ألفيتمانى حضر ايمانى
لولا سباتى ما ملكتمانى * حتى تموتا أوتفارقانى
لست بخوار ولا جبان * ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن * يذل ذا القوة والسلطان

قال فالتقيا به كلبان فاخذاه ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا فقال آخر من شجرة كان يا كل السماق قال فقالوا نسناس آخر خذوه فاخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى انا صمت فاخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى يالسان احفظ الرأس قالوا نسناس خذوه فاخذوه وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها فى بلادها وتاكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم ورووا فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى العالم وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعربد وما تصل بهذا المعنى أن تكون أنواعا من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القدرة الى الفعل

ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع كتاتيه فى غيره من الحيوان فبقى شاذا فريدا متوحشا نادرا فى العالم طالبا للبقاع النائية من البر مباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التى فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله به والمناسبة التى بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا فى باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفى الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذى اليه قصدنا فى هذا الكتاب وقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم أن المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عنى بهذا الشان من الحكماء ان يأتى له ويحتال فى حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل الى اليمامة فى حمل العربد الى بلاد الشحر وفى حمل النسناس فى كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لناقل ذلك الا النقل وان نعزوه الى راويه وهو المقلد بعلم ذلك فيما حكاه ورواه فينظمه على حسب ما يأتى نظمه فى ذلك الموضع المستحق له والله ولى التوفيق برحمته (وأما ماذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسى وأنه ذكر انه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار وإطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما رووه فلا بد من إعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا فى الزمان الاول من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان فى أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أبناء على مثاله وسماها بالعنقاء وأوحى الله تعالى الى موسى ابن عمران انى خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وأنثى وجعلت رزقه فى وحش بيت المقدس وآنستك بهما ليكونا مما فضلت به بنى اسرائيل فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما وأدخل الله موسى وبنى اسرائيل فى التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات

موسى وهرون فى التيه وجميع من كان مع موسى من بنى اسرائيل وكانوا استمائة ألف وخلفهم نسلهم فى التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز فى بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبى من بنى عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليهما فقطع نسلهما فبقيت صورتهما تحكى فى البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوى الدراية الى أن اقوال الناس فى أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون انه جاء بأمر عجيب قال شاعرهم * وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب * والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال لقومه اذا انامت فادفنونى فى حقف من هذه الاحقاف وهى تلول عظام من الرمل واحرسوا قبرى أياما فاذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذى فيه قبرى أياما فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى واخرجونى الى شفير القبر واحضروا لى كاتبا ومعه ما يكتب فيه حتى أملى عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة قال فرصدوا قبره واجتمعوا اليه لينبشوه كما أمرهم فحضر ولده وشهروا سيوفهم وقالوا والله لا تركنا أحدا ينبشه أتريدون أن نعير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها واسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه أهله قال شاعر بنى عبس

بنو خالد لو انكم اذ حضرتم * نبشتم عن الميت المغيب فى القبر
لابقى عليكم آل عبس ذخيرة * من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبار كثيرة فى هذا المعنى وأشباهه من فنون الاخبار من أخبار بنى اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلق الخيل وهو ما حدث به الحسن بن ابراهيم الشعبى القاضى قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أبو الحرث أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه عن جده كثير عن أبيه عفير قال قال عكرمة أخبرنى مولى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبى انى خالق منك خلقا فاجتمعت فامر جبريل فاخذ منها ثم قال الله هذه قبضتى قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك

عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البها ثم لسعة الرزق والغنائم تقتاد على ظهرك
والخير معقود بناصيتك ثم أرسل فصهل فقال باركت فيك بصهيلك أرعب المشركين
واملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم
أخبرني أي الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل
لاذكر ولا أنثى فقال يارب اخترت أحسنهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم
اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفي ولده الى
يوم القيامة يعني الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل بذكر كل نوع لما
ذكرنا (قال المسعودي) رحمه الله وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصري في كتابه المترجم
بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل حسنة أجريت فيها الخيل في الجاهلية
والاسلام ان سليمان بن داود زود أناسا من الازد فرسا يصيدون عليه فسمي زاد
الراكب وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره (وللناس في الخيل) أخبار
عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى ان
الاخبار التي تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هي أخبار الاستفاضة مارواه الكافة
عن الكافة وأن ماعدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى
قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وأنه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل
بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم باوصاف ذكروها (ومن الناس) من
ذهب الى غير هذه الوجوه في فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وماذكرنا من
حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل
واللاحقة بما اوجب العمل دون العلم ولا بالاخبا المضطرة لسامعها الى قبولها عند
ورودها واعتقاد صحيحها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا في خبر
الجائز الممكن الذي ليس بواجب أنه لاحق بالاسرائيليات من الاخبار والاعجاز عن
عجائب البحار ولولا ماقدمنا آنفا من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا
ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار مما رواه أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم
حملة السنن ونقلة الآثار مما لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذي
كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب
الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه
الدراهم وصعد على الدور وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الرقل فحل الكيس ولم

يزل يرمى درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ماروى الشعبى عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الدارى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه اخبره انه ركب البحر فى جماعة من بنى عمه فى سفينة فأضل بهم البحر وألقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ماأنت فقالت أنا الجساسة التى أخرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحبة القصر فنظروا فاذاهم بقصر من حاله ووصفه كذا واذاهم برجل بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد وصفة وجهه كذا وأنه خاطبهم وساءلهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بجمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر فى هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار فى معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام فى الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفى الكتب فى الطبيعيات وغيرها ان للطعام ثلاثة انهضامات أما الاول فهى المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد فى العروق الى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر الى السواقى والمشارب فتهضمه باعضاء الجسد البالية فتصيره الى شبهها اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وماسوى ذلك وأن أفتارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فبالصيف تقوى المرة الصفراء ويكثر اهتياجها والخريف يقوى السوداء والشتاء يقوى البلغم والربيع يقوى الدم ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وان البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام (١) المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وان بقية الاصول من الجسد ربما كانت مستوية

(١) قوله على أربعة أقسام لم يذكر الا اثنين على ما فى أيدينا من النسخ كتبه مصححه

معتدلة الاخلاط وربما كان احد الاخلاط اغلب في البنية فتظهر قوته باعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد قال ابقراط) ينبغي ان يكون كل شيء في هذا العالم مقدرا على سبعة اجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة واسنان الناس سبعة اولها طفل ثم صبي الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب مادام يشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير احوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فمن الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم ابقراط ان تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس واخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن اخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك اهل مصر لما استوت اهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات ابدانهم كثرت شحومهم ولانت ابدانهم وتشبهوا بالنساء في كثير من اخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة ايضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت ابدانهن ورطبت ضعفت ارحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فلما برد كما ذكرنا لان البياض اذا ألحت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن أطراف الاصابع والشفة والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم) أبقراط ان في بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وان أشجارها ذاهبة في الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهي مخصبة لان تلك البلاد لا يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فأجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير انهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط في معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال

الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما نغيرها فى البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها اخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شىء فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التى فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم فى صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت اذابت الهواء وبردته وسخنت البحار والانهار وكل شىء فيه رطوبة وتغير لون كل ذى رطب وحالاته وهى ترخى الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى السماع وغشاوة فى البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذى يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطب الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفى الحواس وتقوى الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تاخر فى الاسلام من الحكماء ان الجنوب اذا هب بأرض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال ابقراط ان الصيف او بأمن الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان اهل العراق يكون الرجل منهم نائما فى فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم فى اصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تأمل ذلك وكذلك يجده من تأمل ما وصفنا فى سائر الامصار فى بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو اظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) ابقراط فى معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة المشرق وهى القبول والثانية تهب من المغرب وهى الدبور والثالثة من التيمن وهى الجنوب والرابعة من التيسر وهى الشمال (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ايراده فرأينا أن نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزارى صاحب كتاب الزيج والقصيدة فى هيئة النجوم والفلك زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة ستمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائة فرسخ ومن مكة الى جدة

اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ فى أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) فى المشرق احد عشر ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ فى مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه) أربعمائة فرسخ فى ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ فى خمسمائة فرسخ (عمل برجان) ألف وخمسمائة فرسخ فى ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ فى سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ (عمل ادريس) الفاطمى ألف ومائتا فرسخ فى مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابى المنتصر أربعمائة فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) ألفان وخمسمائة فرسخ فى ستمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب ألف فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا فى ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا فى أربعين فرسخا (عمل البختة مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا) عمل النجاشى ألف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وستمائة فرسخ فى مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام فى وصف أصول الطب وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس فى ذلك فلم نتعرض لايراده فى هذا الكتاب وان كان متعلقا ومتصلا بالكلام فى الطبائع وجمل المعانى المذكورة فى هذا الباب لانا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده فى هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على اغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين فى المراد لما ذكرنا مايورد فيه من انواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته مالا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصد نافيه من سائر مايحتاج الناس من ذوى المعرفة الى علمه ولما تغلغل بنا الكلام فى نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعانى مما لم يتقدم ذكره وقد اتينا على مبسوط سائر ماذكرناه على الاتساع والايضاح فى كتابنا اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله تعالى اعلم

﴿ ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم ﴾

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم وأن الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارى عز وجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبهم بعض حكمائهم على ان الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وانها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث فى هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل لما يعرض فى الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على انهم اذا عظموا ما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم فى سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولان زحل من شأنه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها الشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بارض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهى بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم انه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك فى اوائل ملك طيمورث ملك فارس وقيل ذلك فى حم سند وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد فى هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من

هنالك يدو النفوس واليها يقع الصدر من هذا العالم (وجد يو داسف) عند الناس عبادة الاصنام والسجود لها لشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكهم أنه أول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده أفضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشأ عمرو ابن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان أظهر الله الاسلام وبعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وانقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على اسماء الكواكب من النيرين والخمسة (وبيت ثان) معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس وكانت فيه اصنام الى ان أخرجها منه يستاسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه احجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من اوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن اراد ان يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو البوبهار الذى بناه منتوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك فى ذلك الصقع وتنقاد الى أمره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرموك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن اجل ذلك سميت البرامكة لان خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من اعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير فيقال والله اعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق ورمت به فأصيب على مسافة خمسين فرسخا وقيل اكثر من تلك المسافة وهذا يدل على زيادته فى الجو وتشييد بنيانه وكانت مسافة البحر المحيط بهذا

البنيان اميالا لم نذكرها اذ كان امر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه (قال المسعودى) وقد ذكر بعض اهل الرواية والتنقير انه قرأ على البوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته قال يوداسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية كذب يوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان (والبيت الخامس) بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه (١) على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه فهو فى وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير على بن موسى الجراح حين نفى الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا (ورأيت غمدان) ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه وصار جبل تراب كانه لم يكن وقد كان اسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب مخاليف اليمن فى هذا الوقت وهو المعظم فى اليمن أراد أن يبنى غمدان فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسنى أن لا يتعرض لشئ من ذلك اذ كان بناؤه على يدى غلام يخرج من أرض سبا وأرض مأرب يؤثر فى صقع هذا العالم تأثيرا عظيما وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبى الصلت أخو أمية واسمه ربيعة فى مدحه لسيف بن ذى يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معد يكرب بن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان ابو امية جاهليا وهو القائل فى اصحاب الفيل

ان آيات ربنا بينات * مايمارى بهن الا كفور
(٢) غلب الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور
حوله من شباب كندة فتيا * ن ملاويث فى الحروب صقور
واضعا خلفه الجرار كما * قطر صخر من جانب محرور

وقيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا فى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى

---

(١) قوله وكان الضحاك بناه قال المجد وغمدان كعثمان قصر باليمن بناه يشرخ باربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا

﴿ ٢ ﴾ المغمس كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل ابرهة ويرجم قاله المجد اه

الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة (والبيت السادس) كارشان شاه بناه كارش الملك بناء عجيبا على اسم المدبر الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربه المعتصم بالله ولهدمه هذا البيت خبر ظريف قد أتينا على ذكره فى كتاب أخبار الزمان (والبيت السابع) بأعالى بلاد الصين بناه ولد عابور بن بعويل بن يافث بن نوح وأفرده للعلة الاولى اذ كان منشأ هذا الملك ومده وباعث الأمور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك فى قديم الزمان وجعله سبعة أبيات فى كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب من ياقوت أو زمرذ على اختلاف ألوان الجواهر ولهم فى هذا الهيكل سر يسرونه فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بالعالم الكون الذى تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية وهى الاجسام السماوية فبضرب من الحركات ظهر فى العالم الطائر وبصرت آخر فرخ وكذلك سائر ما يحدث فى العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع وأهل صناعة النجوم لا يتناكرون أن يقولوا أعطته الزهرة كذا وأعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشترى الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه فى بابه

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت فبيت منها كان

بانطاكية من أرض الشأم على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون فى موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين فخرب عند مجىء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه الملكة المظهرة لدين النصرانية هو المخرب لهذا البيت وكانت فيه الاصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذى بناه سفلانيوس وهو فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابىء الحرانى حين وافى المعتضد فى سنة تسع وثمانين ومائتين فى طلب وصيف الخادم بن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شأنه ما وصفنا (والبيت الثانى) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التى ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميا منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على ما زعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذى بناه الضحاك وأنه سيكون له فى المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد واقاصيص تدعيها المجوس فى هذا المعنى واختلاط طويل فنزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولى التوفيق

﴿ ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم ﴾

البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور النصرانية بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهى تونس وراء بلاد القيروان وهى من أرض الافرنجة وبنى على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثانى بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم يعقدونه وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

﴿ ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة ﴾

كانت فى ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم فى هذا الجبل الذى ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر فى كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت)

اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة
المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده
عصا يحرك بها عظام الموتى من النواويس وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل
وتحت الاخرى غرابيب سود من صور الغداف (١) وغيرها وصور عجيبة لأنواع
من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى
باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر في وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم
أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض
ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن
وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان
من أمره بارض الصقالبة وما احدث فيهم من الدبول والحيل والمخاريق المصطنعة التي
اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة
واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولي التوفيق

﴿ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة للصابئة وغيرها مما لحق بهذا الباب﴾

للصابئة من الحرانيين هياكل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك)
هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدرى أشاروا الى العقل الاول أم الثاني وقد
ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول الفعال
والعقل الثاني وذكر ذلك ثمعيطوس في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب
المنطق وقد ذكر العقل الاول والثاني الاسكندر والافرديوس في مقالة أفردها في
ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هياكل الصابئة) هيكل السلسلة وهيكل
الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل
المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث
الشكل في جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل
القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف
بالحرث بن سنبسطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان
ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذى
بقى) من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم

(١) الغداف كغراب غراب القيظ والنسر الكثير الريش جمعه غدفان اه قاله المجد

بمدينة حران فى باب الرقة يعرف بمصلينا وهو هيكل آزر أبى ابراهيم الخليل عليه السلام عندهم وللقوم فى آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس فى كتابنا هذا ولابن عيسون الحرانى القاضى وكان ذا فهم ومعرفة وتوفى بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التى جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية واسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك فى الوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون ظهور انواع الاصوات وفنون اللغات فى تلك الاسوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجرى الاصوات فى تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل فى قديم الزمان فيصطادون به العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك ومما ذكر فى هذه القصيدة قوله

ان تفيس العجائب * بيت لهم فى سرادب
تعبد فيه الكواكب * اصنامهم خلف غائب

وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة الا انهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم مضافون لخواص حكمائهم اضافة سبب لا اضافة حكمة لانهم يونانية وليس كل اليونانيين فلاسفة انما الفلاسفة حكماؤهم (ورايت) على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوبا بالسريانية قولا لافلاطون فسره مالك بن عفنون منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال افلاطون الانسان نبات سماوى والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة اصلها الى السماء وفروعها فى الارض ولافلاطون كلام كثير فى هل النفس فى البدن او البدن فى النفس كالشمس اهى فى الدار او الدار فى الشمس وهذا قول تغلغل بنا الكلام فيه كالكلام فى تنقل الارواح فى انواع الصور (وقد تنازع) اهل هذه الآراء ممن قصد هذه المقالة فى النقلة على وجهين وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا نبيا مرسلا منهم افلاطون ومن يعم طريقهم فانه حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم وانها حية عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها وانها هى المدبرة للاجسام .

المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها فى ذلك أن تقيمها مقام العدل وماتم به السياسة المستقيمة والنظام غير المفسد وتردهامن الحركة المضطربة الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذو تألم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبير وبطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت لان شخصها يفسد ولان جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لايدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ الخمس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل ثم مابعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى ان ينتهى الى علم مابعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم رجع) بنا الاخبار عن مذاهب الصابئة من الحرانيين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن زكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكنياريون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا الى وصف الآراء والديانات وقد خاطب مالك بن عفنون وغيره منهم بشئ مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا فنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالملح اذا سدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على مايدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بأن بأقاصى بلاد الصين هيكلا مدورا له سبعة أبواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك فى عالى القبة شبه الجوهر يزيد على رأس العجل تضئ منه جميع أقطار ذلك الهيكل وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يدن أحد منها

على مقدار عشرة أذرع شيأ وان حاول أحدمنهم أخذ هذه الجوهرة بشئ من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت وان رميت بشئ كان كذلك فليس شئ من الحيل يؤدى الى تناولها ولا يسبب وان تعرض لشئ من هدم هذا الهيكل مات من يوم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت فى أنواع الاحجار المغناطيسية وفى هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر اكبابا متمكنا تهور فى البئر فصار فى أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند هذه بئر تؤدى الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتى منه وتؤدى هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها والاقتباس منها الامن وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا فليعلم أنا أشد منه بأسا وأقوى حكمة وأكثر علما وأبعث دراية وأتم عناية والارض التى عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب ما هو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب القلب اليه وحريق على بنيته وتأسف على افساد شئ منه أو هدمه والله أعلم بذلك

﴿ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها﴾

فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الاولى والثانية فأول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم فى عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وانها من جنس الآلهة النورية وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها وذلك أنهم جعلوا للنور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وأن الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فالطف يطرح نفسه فى السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع فى صيد الليالى من الغزلان والطير والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج فى الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك فى الليل يظهر من الماء طافيا حتى يقع فى جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وأن بالنور صلاح هذا العالم

وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وانه أصل لكل شئ ومبدأ لكل شئ ومبدأ لكل تمام فلما اخبرافرويدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس و بنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذه بهمن بن استيذاباذ بن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والرى وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان انوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيجره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لايدرى من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها و يقال انه كان فى ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فأخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار و بيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار وذلك زمان لبثه بشرق الصين مما يلى البركة و بيت نار بمدينة أرجان من أرض فارس اتخذه فى آخره بهراسف وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن استبجان نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت بن استبجان بعد ذلك بيوت النيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان زرادشت يستاسف الملك يطلب نارا معظمها جم فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة درابجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة آذر وحواء وتفسير ذلك نار النهر وذلك ان آذر احد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيجره لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذى نقلها الى الكارباه فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس ان تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكارباه ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان فى قديم الزمان فاخرجته حمانى بنت بهمن بن استيذاباذ وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار فتخرب والناس فى وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمن بن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على اعلاها

صور من الصخر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط
بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وابقيت
صورها فزعم من جاور هذا الموضع انها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير
خارجة من ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك ان
سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وانه كان يتغدى ببعلبك
من أرض الشأم ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها
ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشأم يكون منها من الشأم
نحو خمسة أميال او ستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها
وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان (وفى مدينة) سابور من أرض فارس بيت
للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا (وفى مدينة جور) من أرض فارس وهو البلد
الذى يحمل منه ماء الورد الجورى واليه يضاف بيت النار بناه اردشير بن بابك قد
رأيته وهو على ساعة منها على عين هنالك عجيبة وله عيد وهو أحد منتزهات فارس وفى
وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال أخربه المسلمون وبين
جور ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكورى واليها يضاف وهذا
الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل فى العالم لصحة البرية وصفاء
الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار
الى مدينة شيراز وهى قصبة فارس عشرة فراسخ (ولجور وكوار وشيراز وغيرها)
من كور فارس أخبار ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس
وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بنى عليه هيكل وكان
كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة انفس دفع الى أحدهم صرة من لبان
والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا
حتى انتهوا الى السيد المسيح وأمه بارض الشأم والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء النفر
وهذا الخبر موجود فى الانجيل وأن هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد
المسيح عيسى فكانوا اذا ساروا سار معهم ذلك النجم واذا وقفوا وقف بوقوفهم وقد
أتينا فى كتابنا أخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى
وخبر الرغفان التى دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبز تحت الصخرة
وغوصها فى الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت

شعلتي نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر (وقد كان اردشير) بنى بيتاً آخر يقال له باربو في اليوم الثاني من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية في عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدى فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمى سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن اسطرون ملك السريانيين في رستاق يقال له أباحر من بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف بالحضر فمن ذكره منهم أبو دواد بن حارثة بن حجاج الايادي بقوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهي * ذا ثواء وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بن اسطرون والساطرون واسطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا ممن أفناهم الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن تبت بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن سعد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان في نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن فأقام سابور عليه شهرا لا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتأتى له حيلة في دخوله فنظرت النضيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فارسلت اليه ان أنت ضمنت لى أن تتزوجني وتفضلني على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فأرسلت اليه ائت البربار وهو نهر في أعلاه فانثر فيه تبنا ثم أتبعه النظر أين يدخل فأدخل الرجال منه فان ذلك المكان يفضي الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم في الحصن وقد عمدت النضيرة فسقت أباها حتى أسكرته طمعا في تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنضيرة بنت الضيزن فباتت مسهرة فقال لها سابور مالك لا تنامين قالت ان جنبي يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه

وأوطأ وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها افتتنا ولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بم كان أبواك يغذيانك فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجدير أن لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين فامر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلى سبيلهما فقطعاها ففى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى بن الدهمى العبسى

ألم يحزنك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور الجنود
فهدم من بروج الحصن صخرا * كان بناءه زبر الحديد

وفى قتل سابور للنضيرة بنت الضيزن وما كان منها من الغدر بابيها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدى بن زيد العبادى

والحصن صبت عليه داهية * من قصره قد أبد ساكنها
أتته اذلم يوف والدها * محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها لليلتها * تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصبح * وما تجدين سباسبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة فى الموضع المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهياكل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذى ذكره الله عز وجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورسنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض من حسبان وجبل تستر فاحدثته موضعا للاصنام وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو

سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فتحهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهيا كل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وان بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لاماذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وسأله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ماندمن ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل وغيره وهو من صنعة القصاص (وقد تنازع الناس) فى هذه المدينة وأين هى ولم يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيهما من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول فى أيدى الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها مماذكرنا مثل كتاب أفسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له افشانه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد ورساز اد ومثل كتاب وزره وشماس ومافيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب فى هذا المعنى (وقد كان) مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره تماثيل منصوبة وقد كان بنى على المشترى وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهى منائر الآذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريض وهو مبنى الى هذا الوقت فى وسطها وكان يجرى فيه الخمر فى قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء فى مدحها لملوك غسان من

مأرب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبنى بالآجر العادى والحجر عظيم البنيان وفى كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من أبوابه من أعاليه فى بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر أن هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نار لها ﴿قال المسعودى﴾ وقد ذكر أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب فى الارض وقد أعرضنا عن ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد يأجوج ومأجوج وتنازع الناس فى كيفية بنائه كتنازعهم فى ارم ذات العماد على ماذكرنا آنفا وكيفية بناء الاهرام بأرض مصر وما عليها من الكتابة المرسومة وما بصعيد مصر من البرابى المصنوعة وبغير أرض الصعيد من أرض مصر وأخبار مدينة العقاب وماذكر الناس فيها وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بأرض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذباب والكلاب وقصة أرض الذهب التى حذاء سلجماسة من أرض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركب الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء أخذ متاعه وترك الذهب وان أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع وهذا مشهور بأرض المغرب بسلجماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك بأقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر المشيد وذلك ببلاد الشحر من بلاد الاحقاف بين اليمن وحضرموت والبئر ومافيها من الخرف واتصالها بالقرى والفضاء من أعلاها وأسفلها وماقاله الناس فى تأويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره وأخبار مخاليف اليمن وهى القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وماحوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذى عليه السوداقية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون فى أيامه بالشأم وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف

بالسودانية طير فى مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزينها من ذلك على حسب ماذكرنا فى أخبار الطلسمات عن ماليعاس وغيره فى كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التى بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك بن مروان فى نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها وأخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التى أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى فى أطراف مفاوز الهند وما كان من ملوك الهند وعدم وصولهم اليها وما يجرى من وادى الرمل نحوها وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كسرى ببلاد ميرماسين من أعمال الدينور من ماء الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار كتكون المرجان ببحر المغرب وعدمه من غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره (وقد كان) بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم وان الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر فى كتابه والموضع الذى حفره ببحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر واجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه محمد بن على الحرانى من أرض مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر مما يلى بلاد تنيس

ودمياط وبحيرتهما ويعرف هذا الخليج بالزفير والحسة واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هـذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج ذنب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل مافى كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملأته السوافى من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) أن يوصل بين هذين البحرين مما يلى النيل من أعالى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصى صـعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر القلزم الى البحر الرومى فقال يحيى بن خالد يخطف الروم الناس من المسـجد الحرام والطواف وذلك أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلى جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ماذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حكى) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ماافتتحها عمرو ابن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنـه وأثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ماشرعت فيـه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد مافيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

﴿ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب﴾

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس فى بدء العالم ممن أثبت حدوثه وقفاه وماجرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهـم على القول بالقدم من الفلـكيين والطبيعيين وماأوردته الفلـكية من قولهـا ان الحركة الصانعة للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التى بين العقدة التى ابتدأت منها حتى تنتهى اليها راجعة ثم تنفصـل عنها اعادت كل مابدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله اذ كانت العـلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذى كان عند الصـدر ثم مانعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبـل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت فى بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات فى العالم وجعلت لها أصلا فى التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعرت الى النسل وأن

الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه مافيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ الكون على طريقه لان الذى أوجبه أولا قد وجد لحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذى أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات فى الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك أن الشمس تبلغ فى الربيع الى رأس الحمل بادئة فى شرفها آخذة فى ممرها وهى العلة الكبرى فى الاحياء وماحدث من الثمر والزهور فى الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذى قد باد فى الشتاء ويبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها باعادته فى انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شأن الاجسام وتحيط بانتقالها من حال الى حال لشاهدت ممرها فى دائرة الزمان مبتدئة فى رتبها راجعة اليها مشاكلة فى محيط الدائرة باشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة فى المرور كاختلاف الاسباب وفى هذا القول من هذه الطائفة ماصرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب أن الاشياء الموجودة غير خالية من احد منزلين اما أن يكون بدء وانتهاء واما أن يكون بدء لا انتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير عاد لها ولا حاصر لجميعها وقد وجدنا التناهى والابداء فى اجزائها وأبعاضها على الدوام وانا فى كل يوم جديد نعاين خلقا جديدا وصورا فى العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متأثلة وفى هذا مايدل على حصر الاشياء واوقعها فى غاية انتهاء صدرها واوجب أن للاشياء بدء او انتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وان ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب ان لا يزول شئ من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبسطت المتضادة وهذا مستحيل ولو وجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعد ماهو بالنهاية ويوجد فى حوزاتها ايجاد مالم يكن ودخلها فى حوزتها ماهو كائن وفيما ذكرناه أوضح عن تنقل شان المعانى ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحس ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد ان لم تكن فلابد من محدث هو بخلافها

لاشكل له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيأ مثلا حتى يعلم له قدرا ووزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن تحصره بالصفات وتدركه بالاشارات أو يكون ذا غايات ونهايات *(قال المسعودى)* فلنرجع الآن الى الكلام فى حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على ازليته وقد تقدم ذكرنا القول الهند فى ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأخذوا فى ذلك مأخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ماذهبت اليه اليهود واما الصابئة من الحرانيين والكتابيين فقد ذكرنا قولهم فى ذلك فى جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا فى ذلك الى حد معلوم من تمادقوة الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب فى ذلك الى نحو ماذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وأن العالم سيعود بدءا امتخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن الطوفان الى مولد ابراهيم الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ومن مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه ببنى اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه فى بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين أن رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم فى سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سنى ذى القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وسنتان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة

سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام فعلى هذا القول ان جميع جملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (وللمجوس) في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وأن لا بدء له ولا نهاية ومن ذهب منهم الى أن له انتهاء ولا بدء له قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من أهل البحث والنظر من أهل الاسلام أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق الباري جل وعز أحدثه لا من شئ ويبعثه لا من شئ في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده اذ كان الصادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته وان أول العالم من لدن آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس في بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر أوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهتجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها المحسوسات فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول في الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا في كتابه خلق ادم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده وأخبر عن شأن بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر ما لم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدي عيسى بن مريم من المعجزات وعلى يدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين

الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبرنا بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد (١) ونهى أن يتجاوز بالنسب الى مافوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا ان النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من اخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم نذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ماقرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معولنا فى جميع ذلك على ماسلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد اعان على السلامة من كل مخوف. (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والايجاز لمعاسيعر فها من تأمل وينبه بها من رآها (واذ قد ذكرنا) جوامع مايحتاج اليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم واخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض فى كتابنا هذا لكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغى للعاقل ان يحمل البنية على ماليس فى طاقتها ويسوم النفس ماليس فى حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعانى وقليلها القليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولى التوفيق

﴿ ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ﴾

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ فى أخبار العالم واخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط. وما كان من مولد النبى صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا فى هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلنذكر الآن مولده اذ كان طاهرا مظهرا الاغر الازهر الذى اتسمت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته

---

(١) قوله الى معد كذا كرره ولعله الى عدنان وعبارة متن المواهب اجمع العلماء والاجماع حجة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه اهـ

ونطقت له السموات قبل بعثته ﴿ وهو محمد ﴾ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن
أدد بن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسمعيل بن ابراهيم خليل
الرحمن بن تارخ بن آزر بن ماخور بن سار وغ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن
ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ (١) بن خنوخ بن برد بن مهلاييل بن
معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما في نسخة ابن هشام في كتاب
جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء في النسب من نزار وفي نسخة ان نزار بن معد بن
عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صانوع بن يافث بن فيدر بن
اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ارعواء بن أسروح بن فالخ بن شالخ بن
ارفخشذ بن سام بن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن
شيث بن آدم (وفي رواية ابن الاعرابي) عن هشام بن محمد الكلبي هو نزار بن معد بن
عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن تبت بن سلامان بن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم
الخليل بن تارخ بن ناخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ
ابن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن برد بن مهلاييل بن معسوف بن
شيث بن آدم عليه السلام (وفي التوراة) ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين
سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبي عليه
السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة
فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة
وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من نهيه
أن يتجاوز عن معد فقد ثبت أن نتوقف في النسب على ما ذكرنا فالواجب الوقف عند
أمره عليه السلام ونهيه ﴿ قال المسعودي ﴾ وقد وجدت نسب ابن عدنان في السفر
الذي أثبته تاروح بن باريا كاتب أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن معدا بن عدنان بن
أد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن برد بن قساويل بن أبي العوام بن ناسك بن

(١) لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ومتوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية
المضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام بعدها معجمة وخنوخ هو ادريس اهـ
من الزرقاني على المواهب

حر ابن لمدارم بن بدلان بن كالح بن فاحم بن ناسح بن صاعى بن عنصى بن عنف بن عبيد ابن الرعى بن حمران بن سيس بن قنرى بن نحرى بن بلخى بن ارعوا بن عنقاء بن حسان ابن عيسى بن اقياد بن ايهامز بن معصر بن ماحب بن رواح بن مماى بن مر بن عوص ابن عوامر بن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس فى ذلك (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء فى طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفى ذلك يقول الشاعر

لله من قد برا صفوة * وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم * محمد النور أبو القاسم

وهو محمد وأحمد والماحى الذى يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذى يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل وبين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة والفجار (١) حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة استحلوا فيها القتال فى الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو عمرو بن الياس بن مضر بن نزار وكان ولد الياس (٢) عمرا وعامرا وعميرا فعمرو هو مدركة وعامر هو طابخة وعمير هو قمعة وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهى خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد

(١) قال الجوهرى الفجار يوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لانها كانت فى الاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا اه

(٢) قوله وكان ولد الياس الخ قال المجد وولد الياس بن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة وأمهم خندف كزبرج وهى ليلى بنت حلوان بن عمران وكان الياس خرج فى نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير فى الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت مازلت أخندف فى أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف اه

الياس الى أمهم خنـدف وفى ذلك يقول قصى بن كلاب بن مرة

انى أرى الحرب لحي وأبى * عند تناديهم بآل وهب
معـترم الصولة عالى النسب * أمى خنـدف والياس أبى

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا (١) وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو أسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصى وهم حجبة الكعبة بنو زهرة ابن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدى بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهى قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤى بنو أسامة بن لؤى بنو الادرم وهم تيم ابن غالب بنو محارب بن فهر بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤى بنو نباتة وهم سعيد بن لؤى ومن بنى مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا المطيبين وغيرهم من قريش وكان من حرب الفجار ما ذكرنا المتفاخرين بالعشائر والتكاثر وكان الفجار فى شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد * وحماة الذمار عنـد الذمار
ومنعنا الحجون من كل حى * ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفى ذلك قال خداش بن زهير العامرى

فـلا توعـدينى بالفجار فانه * أحل ببطحاء الحجون المخازيا

(وقد كان) الحلف فى ذى القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سـلعة له من العاص بن وائل السهمى فطله بالثمن حتى يئس فعلا جبـل أبى قبيس وقريش فى مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

ياللرجال لمظـلوم بضاعتـه * ببطن مكة نائى الحى والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته * ولا حرام كيومى لابس الغدر

فمشت قريش بعضـها الى بعض وكان أول من سعى فى ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش فى دار الندوة وكانت للحل والعقد وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم

(١) قوله خمسة وعشرون لم يذكرها كلها اه

فساروا الى دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا هنالك ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب

حلفت لتعقدى حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار

نسميه الفضول اذا عقدنا * يبلغه القريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا فى كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ودو فجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشأم فى تجارة خديجة ونظر نسطور الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الاسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها قريش وكان فى حيطانها صور كثيرة بأنواع من الاصابع عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل فى بدء الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ماذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف والاسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ليأخذ كل واحد منهم بجنب من

جنبات هـذا الرداء فشالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضـعه فأخذ عليه السلام الحجر ووضعه فى مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ماظهر من فعـله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا القوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسم بينهم حظوظا وحدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم (وقد تنوزع) فى هذا القائل فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر فى ذلك اليوم فى جمعهم فى صورة رجل من قريش كان قدمات وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهى الوصائل وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة وأبقوا اشكل ذلك واحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل فى النبى صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره * فى الحكم العدل الذى لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا ليعمره * وقد عهدنا أوله وآخره
* فان يكن حقا ففينا أكثره *

(وكان) من بناء الكعبة الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعث أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذى القرنين وكان قـدوم أبرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليـه السـلام) لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعـد ذلك بنتها الخيزران أم الهـادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بأرض الشأم فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد تنوزع فى ذلك فمنهم من قال انه مات بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بشهر ومنهـم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وأمه آمنة) بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله بن الحرث ترضعه (وفى

السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول

الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان * اعيذه بالبيت ذى الاركان

(وفى رواية أن عبد المطلب قال)

لاهم رب الراكب المسافر * محمد قلب بخير طائر
تنحى عن طريقه الفواجر * وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر * فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال مازال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بأمته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى أخواله تزورهم فتوفيت بالأبواء وقدمت به ام أيمن الى مكة بعد خامسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه عمه الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشأم مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

﴿ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته﴾

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ماقدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وانزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة وأول ماانزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق وأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحراء وهو أول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه بأول السورة الى قوله علم الانسان مالم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم أمر باتمامها بعد ذلك وأقرت ركعتين فى السفر وزيد فى صلاة الحضر (وكان مبعثه) صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وذلك

على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفى ذلك يقول الشاعر

فى رأس ألف من السنين * الى ثلاث حصلت يقين
والمائة المعدودة التمام * الى الوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا * وكان فينا هادى السبيلا

(وقد تنوزع) فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستانف الاسلام بل كان تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع فعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وان الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلى اذ كان أقرب الناس اليه وتبعهم له ومنهم من رأى غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال بالنص فى الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا المترجم بكتاب الصفوة فى الامامة وفى كتاب الاستنصار وفى كتاب الزاهى وغيره من كتبنا فى هذا المعنى ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة وعبيد الله فجاء بهم النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء فى صدر الاسلام يذكرهم

فياسائلى عن خيار العباد * صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش * وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوى الهجرة السابقون * ثمانية وحدهم نصره
على وعثمان ثم الزبير * وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا * وجاور قبراهما قبره

فمن كان بعدها فاخرا * فلاتذكرواعندهم فخره

(وقد اختلف) فى أول من أسلم فنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس اسلاما واسبقهم ايمانا ثم بلال بن حمامة ثم عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال على ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم على كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببنا من القول فى ذلك فيما قدمناذكره فى هذا المعنى والله تعالى ولى التوفيق

﴿ ذكر هجرته وجوامع مما كان فى أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته ﴾

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك فى سنة احدى من الهجرة وهى السنة التى نزل فيها الاذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر المقدونى (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة ودخوله الغار واستئجار على له الابل ونومه على فراشه فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وعبد الله بن أريقط الديلمى دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام على ابن أبى طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بأدائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فاقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام فى حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهى تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مأمورة حتى أدركته الصلاة فى بنى سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت فى الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء فى العدد الذى بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعى فى آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا

وأقل من ذلك لايجزى وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم وكان فى بطن الوادى المعروف بوادى رانوناء الى هذه الغاية ثم استوى على ناقته فسارت لاتعرج على شئ ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بنى النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبى صلى الله عليه وسلم يراعى مكارم البارى منه وتوفيقه له فنزل عنها وسار الى منزل أبى أيوب الانصارى وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن سحيم بن مالك بن النجار فاقام فى منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع وأحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التأسف على مافاتهم من نصرته وفى ذلك يقول صرمة بن أنس أحد بنى عدى بن النجار من قصيدة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لايلقى صديقا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه * فلم ير من يوفى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه * وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لايخشى من الناس واحدا * بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا
بذلنا له الاموال فى كل ملكنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لارب غيره * وأن رسول الله للحق رائيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم * جميعا وان كان الحبيب المصافيا

فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر فى الساعة التى دخل فيها المدينة فى منزل عائشة رضى الله عنها وكانت علته اثنى عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع فى اعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادى القرى من غير أن يأتى المدينة وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهى المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر

الاولى وكان خروجه طلبا لكرز بن جابر ثم غزوة بدر الكبرى وهى بدر الثانية التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبنى سليم ثم غزوة السويق طلبا لابى سفيان بن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذى أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الأخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها فى تسع غزوات بدر وأحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فأما ما ذهب اليه الواقدى فانه وافق ابن اسحق فى قتال النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه التسع الغزوات وزاد أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل فى غزوات وادى القرى وذلك أن غلامه المعروف بمدعم رمى بسهم فقتل وقاتل فى يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففى قول الواقدى انه قاتل فى احدى عشرة غزوة وفى قول ابن اسحق فى تسع فقتاله فى التسع باتفاق منهما وزاد الواقدى على ما ذكر وقد قيل ان أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من أهل السير والاخبار فى عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه فى التاريخ قال حدثنى الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر الواقدى كانت سرايا النبى صلى الله عليه وسلم ثمانيا وأربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم فى صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج على) بن أبى طالب لفاطمة عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك (وكانت) أول امرأة تزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكانت وفاتها فى

شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبي طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان أبا طالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضي الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر) بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن على الله الجنة فاجيز له ذلك (وكان عدة) من تزوج من النساء خمس عشرة دخل باحدى عشرة منهن ولم يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع ﴿ قال المسعودى ﴾ وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روى في ذلك عن ابن عباس وهو ماذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس وقد روى عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيي بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل يعني ابن حنظلة أن النبي صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ومات وهو ابن ستين وذكر شيبان عن يحيي بن أبي كثير عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أنا لم نغفل

شيأمما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذى وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى مقدار الثياب للكفن غير ماذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من أموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

﴿ ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم ﴾

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفى بها العالم المستبصر ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث فى تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت فى أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل مأخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (ففى أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله بن الحرث بن سحنة بن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان (وفى السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفى السنة السادسة) أخرجته أمه الى اخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة ونمى ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفى السنة التاسعة) خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وقيل انه خرج مع عمه أبى طالب الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم من بين سائر اخوته وهم العباس وحمزة والزبير وجحل والمقوم وضرار والحرث وأبو لهب وهم عشرة بنو عبد المطلب وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الا صفية أم الزبير ابن العوام وقد تنوزع فى أروى فنهم من قال انها أسلمت وفى خروجه عليه السلام مع عمه فى هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم براعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا

لخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا أنه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين وأنها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وانها انما سميت بهذا الاسم الذى هو الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمى وكان نخاسا للجاهلية بياعا للجوارى وكانت هذه احدى الدلائل المنذرة بنبوته عليه السلام والتيمن بحضوره (وفى سنة ست وعشرين) كان تزويجه بخديجة بنت خويلد وهى يومئذ بنت أربعين وقيل فى سنها غير هذا (وفى سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ما قدمنا (وفى سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس فى تاريخ مبعثه عليه السلام (وفى سنة) ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (وفى سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفى هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ماذكرنا على غير هذا التفصيل (وفى سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ما نطق به التنزيل (وفى سنة) أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها وهى ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهى بنت ثمان عشرة سنة وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة (وفيها) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان وأرى عبد الله بن زيد كيفية الاذان فى منامه (وفيها) كان تزوج على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من التنازع فى التاريخ (وفى سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفى هذه السنة) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفى آخر هذه السنة) وهى سنة اثنتين من الهجرة كان دخول على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كانت وقعة بدر وذلك فى يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفى سنة ثلاث) كان

تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفى هذه السنة) كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان بن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن على بن أبى طالب على ما فى ذلك من التنازع فى التاريخ (وفيها) كانت غزوة أحد (وفى هذه السنة) استشهد حمزة ابن عبد المطلب (وفى سنة أربع) كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع وفى هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس على حسب ما ذكرنا فى كيفية ذلك من التنازع (وفيها) كان تزويجه بام سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بنى النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم وأضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بنى المصطلق (وفيها) وهى سنة أربع كان مولد الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفى سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بنى قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان يقول أهل الافك على عائشة رضى الله تعالى عنها (وفى سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفى سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى صفية بنت حيي بن أخطب لنفسه (وفيها) تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية خالة عبد الله بن عباس فى سفره حين اعتمر فى عمرة القضاء على ما ذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهاء فى ذلك وتنازع الناس فى نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن أبى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر وفى سنة ثمان استشهد جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشأم وأعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفى سنة ثمان) كان افتتاح النبى صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس

فى فتحها أصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيرأخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء (وفيها) غزاغزوة حنين وكان على هوازن مالك بن عوف النضرى ومعه دريد بن الصمة (وفيها) كانت غزوة الطائف (وفيها) كان اعطاؤه للمؤلفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفى سنة تسع) حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ على بن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر أن لايحج مشرك وأنه لايطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلى الى اليمن وأحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وماقاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها ومن الذى صلى عليها العباس بن عبد المطلب أم بعلها على ولما قبضت جزع عليها جزعا شديدا واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد * دليل على أن لايدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولد له صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى أبى لهب فطلقاهما الخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام لزينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد أتينا فى

كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه ومن مبعثه الى هجرته ومن هجرته الى وفاته ومن وفاته الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازى والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

﴿ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الانام﴾

قال أبو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله المسعودى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قوما وهم الغاية فى الفصاحة والنهاية فى البلاغة وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار فى المكارم وفى الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهنهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سنتهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مع كونه عربيا مبينا (وقد تنازع الناس) فى نظم القرآن واعجازه وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام مخبرا عما أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدوها خدعة كما قال عليه السلام وهذا يعرفه كل ذى رأى صحيح وذى رياسة وسياسة (ثم قال) العائد

فى هبته كالعائد فى قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان القىء لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) فى هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذى لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله احثوا فى وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى فى وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذا امامدح أحد أحدا اذا كان هذا النهى عموما للصادق والكاذب وأن يحثى فى وجه الجميع التراب وهذا خلاف ماجاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع مايذكر فى هذا مستفيض فى السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس وتستعمل العوام كثيرا منه فى ألفاظها وتورده فى أمثالها وخطاباتها والاكثر منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله وقال عليه الصلاة والسلام مطل الغنى ظلم ومن أتبع على ملىء فليتبع وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله ياخيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينتطح فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة السديد من غلب نفسه بورك لامتى فى بكورها ساقى القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدأ بمن تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير مالم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم المرء كثير بأخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها الخير السعيد من وعظ بغيره عدة المؤمن كالاخذ باليد ان من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا عفو الملوك بقاء للملك ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء المكر والخديعة فى النار المرء مع من أحب وله ما اكتسب ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر

كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤذى الضالة الا ضال حبك الشئ يعمى ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على حب من أحسن اليها امنك من أعتبك مانقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن لا ذنب له الشاهد يرى مالا يرى الغائب خذ حقك فى عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير أجرته قبل أن يجف عرقه أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه اتقوا النار ولو بشق تمرة أعروا النساء يلزمن الحجاب الكلمة الطيبة صدقة لا خير لك فى صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ما أملق تاجر صدق الدعاء سلاح المؤمن خير الامور اوسطها اذا أتاكم الزائر فأكرموه اشفعوا تحمدوا وتؤجروا الايمان الصبر والسماحة أفضلكم أفضلكم معرفة ماهلك امرؤ عن مشورة ماعال امرؤ اقتصد ماهلك امرؤ عرف قدره شر العمى عمى القلب الكذب مجانب للايمان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى من أثنى فقد كفى قلة الحياء كفر المؤمنون هينون لينون شر الندامة يوم القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة أن تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة فى كل عام ترذلون زرغبا تزدد حبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أو قال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله أحد الا نادما من عمل خيرا قال ياليتنى ازددت ومن عمل غير ذلك قال ياليتنى قصرت وهذا مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سببا لهلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معانى كثيرة منها أن يكون اخبارا أن من غش المسلمين على حسب الحال فى الوقت أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهى عن الغش وقد قيل غير ذلك والله أعلم مثل ما روى عنه أبو مسعود البدرى قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة أحد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن أبى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم لجزع الاكثر فافضى ذلك الى على رضى الله عنه

فقال صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على أموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودى) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر أبو اسحق الزجاجي النحوي صاحب أبي العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ماسهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج اليه في هذه المعاني فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فاغنى ذلك عن اعادتها والله تعالى ولى التوفيق

باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

(قال المسعودى) ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه في سقيفة بنى ساعدة ابن كعب بن الخزرج الانصارى في يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق في سائر الروايات على ماذكرنا وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ايامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده في هذا الكتاب بعد ذكرنا الايام بنى أمية وبنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ الثاني من الهجرة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة أبي اسحق المتقى بالله أو بعد ذلك من الاوقات الى حيث ينتهى بنا التصنيف وماذكره أصحاب الزيجات في النجوم وماارخوه في مقادير السنين والشهور والايام وبين تاريخ أصحاب السير والاخباريين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا في ذلك على ماذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

كان اسم أبي بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد

ابن تيم بن مرة بن كعب وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا وقيل انما سمى عتيقا لعتق أمهاته واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ماعليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وماهو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى فلما شاهد من أبى بكر ماوصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤى يوما فى سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فأردتم أن أكون ملكا جبارا فى الجاهلية جبارا فى الاسلام لاها الله لاتكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد فى هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) أبا بكر رضى الله عنه عن أبى سفيان صخر بن حرب أمر فأحضره وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبى بكر فقال لقائده على من يصيح ابنى فقال له على أبى سفيان فدنا من ابى بكر وقال له أعلى أبى سفيان ترفع صوتك ياعتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له ياأبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وأبوه باق غير أبى بكر (وأم أبى بكر) سلمى وتكنى ام الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن أسعد بن تيم ابن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة أيام (وكان له) من الولد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد فاما عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبى صلى الله عليه وسلم فلحقه جراحة وبقى الى خلافة أبى بكر ومات فى خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن بن أبى بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلى الجادة من طريق العراق فى الموضع المعروف بالضفيسان والمسح ومحمد بن أبى بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبى طالب وخلف عليها حين استشهد عبد الله

وعوناو محمدا ابنى جعفر فقتل عون و محمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين بن على ولا عقب لهما وعقب عبد الله بن جعفر على واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق نخلف منها محمدا ثم تزوجها على بن أبى طالب فأولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبى صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر وكان محمد بن أبى بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده ورباه على بن أبى طالب وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله فى أيام معاوية بن أبى سفيان (ومات أبو قحافة) فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهى السنة التى استخلف فيها عمر بن الخطاب رضى عنه وقد قيل انه مات فى سنة اربع عشرة (ولما بويع) ابو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال افسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال ابو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومحادثة فى الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشام فقتل هناك فى سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا اهل المستنجدين ومن بينهما واناسا من العرب قدم عدى بن حاتم بأهل الصدقة الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه ففى ذلك يقول الحرث بن مالك الطائى .

وفينا وفا لم ير الناس مثله * وسربلنا مجدا عدى بن حاتم

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد سمته اليهود فى شئ من الطعام وأكل معه الحرث ابن كلدة فعمى وكان السم لسنة ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولما احتضر قال ما آسا الا على ثلاث فعلتها وددت انى تركتها وثلاث تركتها وددت انى فعلتها وثلاث وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التى فعلتها ووددت انى تركتها فوددت أنى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ووددت أنى لم أكن حرقت الفجاءة واطلقته نجيحا أوقتلته صريحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التى

تركتها وودت انى فعلتها وددت انى يوم اتيت بالاشعث بن قيس اسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لى انه لا يرى شرا الا اعانه ووددت انى كنت قد قذفت المشرق لعمر بن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله ووددت انى يوم جهزت جيش الردة ورجعت قمت مكانى فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدر اللقاء اومددا وكان ابو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وددت أنى سألته عن ميراث العمة وبنت الاخ فان بنفسى منهما حاجة ووددت أنى سألته هل للانصار فى هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات أسماء ذات النطاقين وهى أم عبد الله بن الزبير وعمرت مائتى سنة حتى عميت وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع فى بيعة على) بن أبى طالب اياه فنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة أشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما انفذ ابو بكر الامراء الى الشأم كان فيما وصى به يزيد بن أبى سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فأنجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسى بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه أول خيرك اليهم وأقلل جلسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذى تلى كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها واستوف عسكرك وأدل حرسك وأكثر مفاجأتهم فى ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن من سواك (وقد أعرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار فى هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر لعيسى الكذاب المعروف بلهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبئه ومقتله وما كان من فيرو زوغيره من الانبياء فى أمرهم وخبر طليحة وتنبئه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى أم صادرة وهى التى يقول فيها قيس بن عاصم

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ❊ وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

﴿وفيها يقول الشاعر﴾

أضل الله سعى بنى تميم * كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثى وعمرو بن يحيى وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشى له مع رجل من الانصار وذلك فى سنة احدى عشرة وما كان من أمره مع الانصار فى يوم سقيفة بنى ساعدة والمهاجرين وقول المنذر بن الحباب أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلى الاوس عن معاضدة سعد خوفا ان يغوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاختيار فى الامامة وما قالوه فى امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

قد كان عندك انباء وهينمة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن ذكره هاهنا والله أعلم

﴿ ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فأقام الحج فى تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتل فى صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة أبو بكر الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبى بكر وحج فى خلافته تسع حجج وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وصلى عليه صهيب الرومى وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

﴿ وذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره ﴾

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رداح بن عدى ابن كعب وفى كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمه خيثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمى الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمى بأمير المؤمنين سماه عدى بن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعاله بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعرى فلما اقرئ ذلك على عمر قال انى لعبد الله وانى لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن الملبس شديدا فى ذات الله واتبعه عماله فى سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه كل يشبه به ممن غاب أو حضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد بن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تفل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم فى الشهر لا يخرج الينا فقال عمر على به فلما جمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لا يخرج الينا قال نعم ليس لى خادم فأغسل ثوبى ثم أجففه فأمسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرا قال ثم بعث اليه عمر بألف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتينا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بنى فلان ومسكين آل فلان حتى بقى منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال أنفقى هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسى وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر

بالمدائن قال له سعد بن أبى وقاص ياأباعبدالله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكى فقال له ياأباعبدالله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولى فنظروا فلم يجدوا فى البيت الا دواة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشأم أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى فعذل على ذلك وقيل له انك بالشأم وأمير المؤمنين وحولنا الاعداء فغير من زيك وأصلح من شارتك فقال ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدى) فى كتابه فى فتوح الامصار أن عمر قام فى المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبى صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى أرض فارس فقام أبو عبيدة فقال ياأمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فأمر أبا عبيدة وفى حديث آخر انه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان أول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقى جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة بن أسلم ايها الرجل انه ليس لك علم بما نرى وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبرارى فلا تريد الا أن تهلكهم فى هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد جم ماترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله ياسليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأى فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يغير حتى يغيروا عليه ولا

يقطع الجسر فخالفه وقال سليط فى بعض قوله لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدفا من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيدة وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش فارس فى هذا اليوم حادويه ومعه راية فارس التى كانت لافريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهى المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا وفى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها فى الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد وأمرهم بالتاهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ودعا الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلى ماترى يا أبا الحسن أسير أم أبعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس فى جل مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه عبد الرحمن ابن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فديت بابى وأمى أقم وابعث فانه ان انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدون أن لا اله الا الله أبدا قال أشر على من أبعث قال قلت سعد بن ابى وقاص قال عمر أعلم أن سعدا رجل شجاع ولكنى أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاور فانما أردت ان تحدث اليه فانه لن يخالف امرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر على أسير أم أقيم فقال عثمان أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان أتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضربها قال عمر ومن هو قال

علي بن أبي طالب قال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه أو لا فخرج عثمان فلقي عليا فذاكره ذلك فابى على ذلك وكرهه فعاد عثمان فاخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قال ليس بصاحب ذلك قال عثمان وطلحة بن عبيد الله قال له عمر أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذاك ولكنه رجل غائب في عمل قال عمر أرى أن اوجهه وأكتب اليه أن يسير من وجهه ذلك قال عثمان ومره فليشاور قوما من أهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربعا فاظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بنا حية الايلة ثم صاعدا الى ناحية المدائن ونمى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان في عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيدة وسليط فقالت بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأى وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن امهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فاقامت الفرس أياما بالمدائن ثم أخذوا في العبور فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن سرع معه من بجيلة فثبتوا ساعة فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة واخذ المسلمون ما كان في عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالبجلة فاقبل اليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلي وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في ايهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ولحسان في ذلك ابيات

ألم ترني خالست مهران نفسه * باسمر فيه كالخلال طرير
فخر صريعا والتقاني برجله * وبادر في راس الهمام جرير
فقال قتيلي والحوادث جمة * وكاد جرير للسرور يطير
فقال اباعمرو وقتلي قتلته * ومثلي قليل والرجال كثير
فارسل يمينا ان رمحك ناله * واكرم ان تحلف وانت امير

(وقد تنازع) اهل الاخبار والسير فى جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى ان جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من راى ان جريرا على قومه والمثنى على قومه ولما قتل مهران اعظمت الفرس ذلك وسار شيراز فى جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم امامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهى من الكوفة على ثلاثة اميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه فى يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبى وقاص فنزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ثم اتى سيراف وأتاه الناس من الشأم وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون فى ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل النجدات فانشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبد الله الاسدى فى ذلك اليوم وهو يقول

قد علمت واردة المسالح * ذات البيان واللسان الواضح
أنى سنام البطل المسالح * وفادح الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فاسره غالب أسرا فاتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمر وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب * مثل اللجين يتغشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يصيبه السبب * مثلى على مثلك يعديه الكتب

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فجالا ثم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج فى مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة فاتى به سعد بن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفى الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة تحافيف

الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيول فبعث الى بنى أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فامرهم بمعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طلحة بن خويلد الاسدى مع فرسان بنى أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على بنى أسد فى هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فى خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضى الله عنه كتب الى أبى عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر فى كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ماذكرنا وقد كان فى نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع فى اوائل المدد فايقن أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم مالحقهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت قال أنا بهمن حادويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع يالثارات أبى عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارز الهم على ماذكرنا من قتله اياهم فجالا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع حمل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر ففيه يقول القعقاع

جبوبة حباشة بالنفس * هدارة مثل شعاع الشمس
فى أغواث من قبيل الفرس * أنخس بالقوم أشد نخس
حتى يفيض معرى وقسى

وبارز فى ذلك اليوم الاعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخوه الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر * من يوم أغواث دواوين الثغر
* من غير ضحك كان أسوا وأشر *

واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد توافف

الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتمون فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده فى أعلى القصر ان تم الناس على الانتماء فلا توقظونى فانهم أقوياء على عدوهم وان سكتوا فايقظونى فان ذلك شر واشتد القتال فى الليل وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر فسمع انتماء الناس فى آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة الباس فتاسف على ما يفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه ويستقيله ويساله أن يخلى عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك فى خير فقالت وماذاك قال تخلين عنى وتعيرينى البلقاء ولله على ان سلمنى الله ان أرجع اليك حتى أضع رجلى فى القيد فقالت وما أنا وذلك فرجع يرسف فى قيده وهو يقول

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد فاغلقت * مصارع من دونى وصم المناديا
وقد كنت ذامال كثير وثروة * فقد تركونى واحدا لا أخاليا
فلله عهد لا أخيس بعهده * لئن فرجت أن لا أزور الجوانيا

فقالت سلمى انى استخرت الله ورضيت بعهدك فاطلقته وقالت شانك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فاوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم وفكس آخرين والفريقان يرمقونه بابصارهم وقد تنوزع فى البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص فى المسلمين فخرج فى ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فاوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدوله فارس الا هتكه فاوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس الا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب فهذا هو الخضر قدمن الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا وقال قائل منهم لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان

المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم بن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر ويقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر * بانا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات * وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادس لم يشعروا بى * ولم أشعر بمهرجتى الزحوفا
وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم عريفا
فان أحبس فذلكم بلائى * وان أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شئ حبسك هذا الرجل تعنى سعدا قال والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وانا أمرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فاصف القهوة وتداخلنى أريحية فالتذ بمدحى اياها فلذلك حبسنى لانى قلت فيها

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

وهى أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فاقامت مغاضبة له عشية أزمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا اصبحت اتته فرضته وصالحته ثم اخبرته خبرها مع ابى محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فما انا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا اجبت لسانى الى صفة قبيح ابدا واصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس واصبحت الاعاجم على مواقفها واصبح بين الفريقين كالدجلة الغوراء والفرات فى عرض ما بين الصفين وقد قتل من المسلمين الفان وخمسمائة ما بين رثيث وميت وقتل من الاعاجم مالا يحصى فقال سعد ايها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم واقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء

والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن في كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فأريحوني تحت ظل هذه النخلة فيرتاح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمي يا نخلة بين فارس * وبين العذيب لا يجاورك النخل

وسمع آخر من بني تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيا نخلة الجرحى ويا نخلة العدا * سقتك الغوادي والغيوث الهواطل

وأثخن الاعور بن قطنة فحمل من المعركة فسأل حماله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

أيا نخلة بين العذيب فتلعة * سقتك الغوادي الداجنات من النخل

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية وهي صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت في نهر العقيق والريح دبور فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع حباله ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فازال من ظهره فقارة ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الي الي فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه وتنادوا وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون ألفا منهم قرنوا أنفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين أيديهم قناديل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى ان قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ما قدمنا ومنهم من رأى أن قاتله

رجل من بنى أسد ولذلك يقول شاعرهم فى ذلك اليوم وهو عمرو بن شاس الاسدى من أبيات

جلبنا الخيل فى أكناف هف * الى كسرى يوافقها رعالا
تركنهم على الاصنام سحرا * و بالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا * تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنامنهم حيث التقينا * قياما لايريدون ارتحالا

وأخذضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كاسان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية غير ماذكرنا من المقربين وغيرهم عشرة آلاف (وقد تنازع الناس) ممن سلف وخلف فى عام القادسية والعذيب فذهب كثير من الناس الى أن ذلك كان فى سنة خمس عشرة ومنهم من رأى أنه كان فى سنة أربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق أنها كانت فى خمس عشرة وقال فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائنى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس أنها مصرت فى ربيع سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء وتكريت وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الحربية ومصر سعد بن أبى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغسانى وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم ﴿ قال المسعودى ﴾ وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندى غلاما نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لاهل المدينة فان رأيت أن تأذن لى فى الارسال به فعلت فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى ابالؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ماشاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر وما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم أحدث عنك أنك تقول لو شئت

أن أصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى أبو لؤلؤة فقال عمر أما العلج فقد توعدني آنفا فلما أزمع بالذي أوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله أو غنمه لا راعي بها للمته وقلت له كيف تركت أمانتك ضائعة فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد فاستخلف عليهم فقال ان استخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر وان أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من أم وعبد الرحمن وفاطمة وبنات أخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بأبي شحمة من أم (وذكر عبد الله بن عباس) أن عمر أرسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان من أهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت ان تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم اره منك وأعياني ذلك فما رأيك في العمل قال لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيء اخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريا من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عملك هنالك فاني قلما رأيت أو ظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس اني خشيت أن يأتي على الذي هو آت وانت في عملك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون غيركم اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك انتم أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد فرغت لك قال فما رأيك قال قلت أراني لا أعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك قال فاشر على قلت اني أرى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة بن عبد الله المري عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان فقال له أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان الجناحان فان قطعت أحد الجناحين فأي الرأس بالجناح

الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أراني الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمد وه وبعث معه الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فارسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم وهو يقال له ذو الجناحين فقطع اليهم نهرهم فقيل لذي الجناحين ان رسول العرب هاهنا فشاور أصحابه فقال ما ترون فقالوا اقعد له في بهجة الملك فصعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط وأسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فاخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه في بسطهم يخرقها لينظر وافيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرنا كم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا في شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبي صلى الله عليه وسلم ببعثه وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما هاهنا ونغلب عليه واني أرى هاهنا هيئة وبزة ما من خلفي بتاركيها يصيبوها أو يموتوا فقالت لي نفسي لو جمعت جراء مئزري ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يلكزوني بأرجلهم ويجذبوني بأيديهم فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم هكذا وان كنت فجرت واستخففت فلا تؤاخذوني فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فتسلسلوا كل خمسة وستة حتى لا تفروا فدنونا اليهم فضايقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال اني هاز لوائي ثلاث مرات فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان واني داع الى الله بدعوته واقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز ثلاثا ثم أدلى درعه

وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فأتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناجين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين فأتيت الى مكان النعمان فصادفته و به رمق فأتيته باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا قلت معقل بن يسار قال مافعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى لأشعث بن قيس وارسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فأخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما ❊ قال المسعودى ❊ رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان ابن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيي قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر ساله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ماقال من الثناء ثم ساله عن السلاح فاخبره بما علم ثم ساله عن قومه فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيأ قال سلنى عن أيهم شئت قال أخبرنى عن ملة بن خالد قال هم فرسان اغراضنا وشفاة أمراضنا وهم أعتقنا وانجبنا وأسرعنا طلبا واقلناهربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا واسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفخرة قال فاخبرنى عن بنى زبيد قال انا عليهم ضنين ولو سالت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فاخبرنى عن طيء قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول فى عبس قال حجم عظيم وزبن أثير قال أخبرنى عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرنى عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرنى عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فاخبرنى عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال فاخبرنى عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرنى عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرنى عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرنى عن غسان قال أرباب فى الجاهلية نجوم فى الاسلام قال فاخبرنى عن الاوس والخزرج قال

هم الانصار وهم أعز نادارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم اذيقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فاخبرني عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فاى العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومى فوادعة من همدان وغطيف من مرادو بلحرث من مذحج وأما من معد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر بن وائل ثم لو جلت بفرسى على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقنى حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحرث بن شهاب التيمى وأما عبداها فعنترة وسليك ثم ساله عن الحرب فقال سألت عنها خبيراهى والله ياأمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد احسن واصفها واجاد

الحرب أول ماتكون فتية * تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فاخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك امك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل أمك قارعتك والله انى لا هم أن اقطع لسانك فقال الحمى اصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

اتوعدنى كانك ذورعين * بانعم عيشة اوذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك * عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح اهله بادوا وامسى * ينقل من اناس فى اناس
فلا يغررك مالك كل ملك * يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال مافعلت مافعلته الالتعلم ان الاسلام افضل واعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يساله ويذاكره الحروب واخبارها فى الجاهلية فقال له عمر ياعمرو وهل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام لاحدثك حديثا لم احدث به احدا قبلك خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد اريد الغارة فاتينا قوما سراة فقال عمر كيف عرفت انهم سراة قال رايت مزاود وقدورا مكفاة وقباب ادم حمر ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فاهويت الى اعظمها قبة بعدما حوينا السبى وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما

نظرت الي والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكي على نفسي ولكني ابكي حسد البنات عمي يسلمن وابتلي انا من بينهن فظننت والله انها صادقة فقلت واين هن قالت في هذا الوادي فقلت لاصحابي لا تحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسي حتى علوت كثيبا فاذا انا بغلام اصهب الشعر اهذب اقني اقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الي رمى النعل من يده ثم احضر غير مكترث فاخذ سلاحه واشرف على ثنية فلما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم اقبل نحوي وهو يقول

اقول لما منحتني فاها * وألبستني بكرة رداها

اني ساحوي اليوم من حواها * فليت شعري اليوم من دهاها

فحملت عليه وانا اقول

عمرو على طول الردى دهاها * بالخيل تتبعها على هواها * حتى اذا حل بها حواها

فاذا هو ازوغ من هر فزاغ عني ثم حمل على فضر بني بسيفه ضربة جر حني فلما افقت من ضر بتي حملت عليه فزاغ والله ثم حمل علي ثم صرعني ثم استاق ما في ايدينا ثم استويت على فرسي فلما رآني اقبل وهو يقول

انا عبيد الله محمود الشيم * وخير من يمشي بساق وقدم

عدوه يفديه من كل السقم

فحملت عليه وانا اقول

انا ابن ذي التقليد في الشهر الاصم * انا ابن ذي الاكليل قتال البهم

من يلقني يودي كما اودى ارم * اتركه لحما على ظهر وضم

فزاغ والله عني ثم حمل على فضر بني ضربة اخرى ثم صرخ صرخة ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء وخفته خوفا لم أخف قط أحدا مثله وقلت له من أنت ثكلتك أمك فوالله ما اجترأ على أحد قط الا عامر بن الطفيل لاعجابه بنفسه وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت قال بلى من أنت خبرني والا قتلتك قلت أنا عمرو بن معديكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم قلت اختر مني احدى ثلاث خصال ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز مناوان شئت اصطرعنا وان شئت السلم وأنت يا ابن أخي حدث قد جرحتني جراحتين ولا يزال الان بي فوالله ما كف عني حتى نزلت عن فرسي فأخذ بعنانه ثم أخذ بيدي في يده وانصرفنا الى الحي وانا أجر رجلي حتى طلعت علينا الخيل فلما رأوني غمز واخيولهم الى فناديتهم اليكم

وأرادوا ربيعة فضى والله كانه ليث حتى شقهم ثم اقبل على فقال ياعمرو ولعل اصحابك يريدون غير الذى تريد فصمت والله القوم مافيهم احد ينطق واعظموا امارأوا منه فقلت ياربيعة بن مكدم لايريدون الاخيرا وانما سميته ليعرفه القوم فقال لهم ماتريدون فقالوا ومانريد قد جرحت فارس العرب وأخذت سيفه وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهى ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندى بعضها مالبثت فى الدنيا الا قليلا فضحك وماينطق أحد من أصحابى فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة فى صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة بن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب فى الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلاسنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال ياعمرو خل عن الظعينة ومامعك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال ياعمرو اما ان تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف من الغارة من رماها قف لى يا ابن اخى فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق * لست بمأمون ولا فى حرق
وأسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الفرق
وجدتنى بالسيف هتاك الخلق

حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

أنا الغلام ابن الكنانى لابذخ * كم من هزبر قد رآنى فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك ياعمرو ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لاينصرف الا أحدنا فقف لى فحمل عليه حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضا وقال خذها اليك ياعمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امرأته السنان لله درك فأخرج سنانا من مسبج ازاره كأنه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلاسنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد أتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يابنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لايتحدث العرب أن قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم

لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط فانصرفوا عنه واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه ﴿ قال المسعودى ﴾ رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخبار كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية الى الشأم والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسير فى الاسلام وأخبار وسياسات حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

﴿ ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ﴾

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين لجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية أيام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة الا ثمانية أيام

﴿ ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره ﴾

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بأبى عبد الله وأمه أروى بنت بكر بن جابر بن حبيب بن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأم أبان وأم سعيد وأم عمرو وعائشة وكان عبد الله الاكبر يلقب بالمطرف لجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان أبان أبرص أحول قد حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنن وولى لبنى مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل أبوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) فى نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل فى القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا فى فعله وبنى داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة

ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفى أيام عثمان) اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهى المعروفة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تنزلها التجار وأرباب الاموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية وماذكر من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس والف عبد وألف أمة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة بن عبيدالله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وبناحية سراة أكثر مماذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبدالرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا (وابتنى سعد) بن أبى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (ومات يعلى) بن أمية وخلف خمسمائة الف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة الف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى ايامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فأنفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبدالله لقد اسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد شكا الناس اميرهم سعد بن ابى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسألهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبدالله بن مسعود على بيت المال وامره ان يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر والشطر الآخر بين عبدالله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر

ممن ذكرناو أين هو ممن وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن أبى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى أمية ومروان هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى غربه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط على الكوفة وهو ممن أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار وعبدالله بن أبى سرح على مصر ومعاوية بن أبى سفيان على الشأم وعبدالله ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ماروى أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم أربعا وقال تريدون أن أزيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد أطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ماتريد لازادك الله مزيد الخير والله لأعجب الا ممن بعثك الينا واليا وعلينا أميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح ويتمثل بابيات لتابط شرا

ولست بعيدا عن مدام وقينة * ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر هامتى * وأمشى الملا بالساحب المتسلسل

(وفى ذلك يقول الحطيئة)

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم ثملا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا * لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلاة ولو * خلوا عنانك لم تزل تجرى

وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الازدى وأبو جندب بن زهير الازدى وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لا يعقل فايقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايا عليهم ماشرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فاتوا عثمان ابن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر فقال عثمان ومايدريكما أنه شرب خمرا فقالا هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية وأخرجا خاتمه فدفعاه اليه فرزأهما ودفع فى صدورهما وقال تنحيا عنى فخرجا وأتيا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة

فأتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وأبطلت الحدود فقال له عثمان فما ترى قال أرى أن تبعث الى صاحبك فان أقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فاقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة فالقى عثمان السوط الى على فقال على لابنه الحسن قم يا بنى فاقم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا الغضب عثمان لقرابته منه أخذ على السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال يا صاحب مكس فقال عقيل بن أبى طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبى معيط كانك لا تدرى من أنت وأنت علج من أهل صفورية وهى قرية بين عكا واللجون من أعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن أباه كان يهوديا منها فاقبل الوليد يزوغ من على فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك أن تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولى الكوفة) بعده سعيد بن العاص فلما دخل سعيد الكوفة واليا أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل وأمر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة واشتبه بالاموال وقال فى بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطين لقريش فقال له الاشتر وهو مالك ابن الحرث النخعى أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج الى عثمان فى سبعين راكبا من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسالوا عزله عنهم فمكث الاشتر وأصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شىء وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان أمراؤه من الامصار منهم عبد الله ابن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشأم وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد ابن العاص من الكوفة فأقاموا بالمدينة أياما لا يردهم الى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا الى الكوفة وكره أن يعزله حتى كتب اليه من بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ما ترون فقال معاوية أما أنا فراض بى جندى وقال عبد الله ابن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم احدهم ان يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه

فقالا له الينا فصار اليهما فقالا فما وراءك قال الشر ماترك شيأ من المنكر الا اتى به وامر به وجاء الاشتر فقالا له ان عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء فكيف وقد قمنا وايم الله على ذلك لولا انى انفذت النفقة وانضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى امنعه دخولها فقالا له فعندنا حاجتك التى تفوتك فى سفرك قال فأسلفانى اذا مائة الف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما خمسين الف درهم فقسمها بين اصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد ثم قال اما بعد فان عاملكم الذى انكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث فبايعونى على ان يدخلها فبايعه عشرة آلاف من اهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة اومكة فلقى سعيد ابواقصة فأخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله ما منعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك ول من أحببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو ابو موسى الاشعرى فولوه (وفى سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها من فعله (منها) ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من اجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من اجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة فى مسجد الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلى جسر بابل يقال له زرارة يعمل انواعا من الشعبذة والسحر يعرف بطروى فأحضر فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل وهو ان اظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقة يمشى على جبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثم أمر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدى فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وأن جنديا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى وقال ان كنت صادقا فأحى نفسك فانكر عليه الوليد ذلك وأراد ان يقيده به

فمنعه الازدفحبسه وأرادقتله غيلة ونظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح فقال له انج
بنفسك فقال له جندب تقتل بى قال ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله والدفع عن ولى من
أولياء الله فلما أصبح الوليد دعابه وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره
بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن ذلك) مافعل بابى ذروهو
نه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال
كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر فى صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودى
ثم تلا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان اترون
باساً ان ناخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه
فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع بها فى صدر كعب وقال يا ابن اليهودى
ما اجرأك على القول فى ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لى غيب وجهك عنى فقد
آذيتنى فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان اباذر تجتمع اليه الجموع
ولا آمن ان يفسدهم عليك فان كان لك فى القوم حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان
بحمله فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى اتوا به
المدينة قد تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال
هيهات لن اموت حتى انفى وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه فاحسن اليه فى
داره اياما ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر فى ولد ابى العاص اذا
بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر فى الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان
فى ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهرى من المال فنضت البدر
حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان انى لأرجو لعبد الرحمن خيرا لانه
كان يتصدق ويقرى الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا امير المؤمنين
فشال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن
اليهودى تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة
وتقطع على الله بذلك وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرنى ان اموت
وادع ما يزن قيراطا فقال له عثمان وارعنى وجهك فقال اسير الى مكة قال لا والله قال
فتمنعنى من بيت ربى اعبده فيه حتى اموت قال اى والله قال فالى الشام قال لا والله قال
البصرة قال لا والله فاختر غير هذه البلدان قال لا والله ما اختار غير ما ذكرت لك ولو
تركتنى فى دار هجرتى ما اردت شيأ من البلدان فسيرنى حيث شئت من البلاد قال فانى

مسيرك الى الربذة قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبرني بكل ما انا لاق قال عثمان وما قال لك قال اخبرني باني امنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث ابو ذر الى جمل له فحمل عليه امراته وقيل ابنته وامر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبدالله بن جعفر وعمار بن يسار فاعترض مروان فقال يا علي ان أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أباذر في مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط بين اذني راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما أراد علي الانصراف بكى أبو ذر وقال رحمكم الله أهل البيت اذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا مروان الى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أباذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي واما أمرك فلم ارده قال عثمان أو لم يبلغك اني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه فقال علي أو كل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة لله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين اذني راحلته قال علي اما راحلتي فهي تلك فان اراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما انا فو الله لئن شتمني لاشتمنك انت مثلها بما لا اكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فو الله ما انت عندي بأفضل منه فغضب علي بن ابي طالب وقال ألي تقول هذا القول وبمروان تعدلني فأنا والله افضل منك وابي افضل من ابيك وامي افضل من امك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه اهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا وقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك اباذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له علي والله ما اردت تشييع ابي ذر الا لله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول ابي سفيان

صخر بن حرب فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو امية فقال ابو سفيان افيكم احد من غيركم وقد كان عمى قالوا الا قال يا بنى امية تلقفوها تلقف الكرة فو الذى يحلف به ابو سفيان مازلت ارجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ماقال ونمى هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار فى المسجد فقال يا معشر قريش اما اذا صرفتم هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما انا بآمن ان ينزعه الله فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه فى غير اهله وقام المقداد فقال ما رايت مثل ما اوذى به اهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما انت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال انى والله لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن أعجب من قريش وانت تطولهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم اما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار الشورى والدار (ولما كان) سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن أهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس الشلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الجموح الخزاعى وسودان بن أحمد التجيبى ومنهم محمد بن أبى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى على بن أبى طالب فأحضره وساله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار على اليهم فكان بينهم خطب طويل فاجابوه الى ما أراد وانصرفوا فلما صاروا الى الموضع المعروف بحمس اذا هم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتاملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فاقر وأظهر كتابا الى ابن أبى سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا وأحصى اكثر من فى الجيش وامر فيهم بما امر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رايهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم

من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه فى داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال
الا احد يسقينا وقال بم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان او قتل نفس
بغير نفس و والله مافعلت ذلك فى جاهلية او اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه
بثلاث قرب ماء فما وصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم و بنى أمية
وارتفع الصوت وكثر الضجيج وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان
يخلى عنه وفى الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من احلافها وهذيل لانه
كان منها و بنو مخزوم واحلافها لعمار وغفار وأحلافها لاجل أبى ذر وتيم بن مرة مع محمد
ابن أبى بكر وغير هؤلاء ممن لا يحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث
بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم و بعث
الزبير ابنه عبد الله و بعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم
اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح
الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية
فتركوا القوم فى القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا
عليها وكان ممن وصل اليه محمد بن أبى بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله
ومواليه مشاغيل بالقتال فاخذ محمد بن أبى بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك
لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان
المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين
فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية فوجدوه وقد فاضت نفسه رضى
الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين والانصار
فاسترجع القوم ودخل على الدار وهو كالواله الحزين فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين
وأنتما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن
الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ماقتل
وهرب مروان وغيره من بنى أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة
بنت الفرافصة من قتله وانت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن
أبى بكر فلم ينكر ماقالت وقال والله لقد دخلت عليه وانا أريد قتله فلما خاطبنى بما قال
خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى والله ماكان لى فى قتله سبب ولقد قتل وأنا

لأعلم بقتله وكان مدة ماحوصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان بن حمران المرادى ضربه بالسيف على حبل عاتقه فخله (وقد قيل) ان عمرو بن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمى التميمى وخضخض بسيفه بطنه (ودفن) على ماوصفنا فى الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بنى امية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه يصلى بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم على وقيل ان عثمان قتل ومعه فى الدار من بنى أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفى مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر
ومالى لا أبكى وتبكى قرابتى * وقد غيبوا عنا فضول أبى عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله اعلم بما قاله من ابيات

خذلته الانصار اذحضر المو * ت وكانت ولاية الانصار
من عذيرى من الزبير ومن طل * حة اذجا امر له مقدار
فتولى محمد بن أبى بك * ر عيانا وخلفه عمار

فى شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالؤ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان حسان عثمانيا منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار فى قوله فى شعره

ياليت شعرى وليت الطير يخبرنى * ما كان شأن على وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

وكان عثمان رضى الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها مالا يعرف لغيرها منه وهى

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها * لا خير فى لذة من بعدها النار

وكان الوليد بن عقبة بن أبى معيط أخا عثمان لامه فسمع فى الليلة الثانية من مقتل

عثمان يندبه وهو يقول

بنى هاشم ايه فما كان بيننا * وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بنى هاشم ردوا اسلاح ابن أختكم * ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهى أبيات فاجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بنى هاشم ونسب اليهم الفضل بن العباس ابن أبى لهب فقال

فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم * أضيع والقاه لدى الروع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا * فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولى العهد بعد محمد * على وفى كل المواطن صاحبه
على ولى الله اظهر دينه * وانت مع الأشقين فيما تحاربه
وانت امرؤ من أهل صيفور مارح * فما لك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق * فما لك فى الاسلام سهم تطالبه

﴿ قال المسعودى ﴾ رحمه الله ولعثمان أخبار وسير ومآثر حسان قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

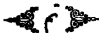
﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله ذكر خلافة امير المؤمنين سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه ﴾

﴿ تنبيه ﴾

وقع بصحيفة ٩٢ سطر ٢٣ كلمة (مسكا) هكذا خطأ وصوابها (سهكا) بالهاء بعد السين وبصحيفة ٣٧٨ سطر ١٣ خطأ فى كلمة (للصائبة) وصوابها (للصابئة) بتقديم الباء على الياء

﴿ فهرست الجزء الاول من مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ﴾

صحيفة


تم


Bibliotheca Alexandrina
03378415